المقامات الحريرية

مشتملة على خمسين حكاية

قد طبع مرة ثانية باهتمام اضعف العباد

عبد الله

في المطبع الطبي في بلدة چچرة من محلات بندر هوگلی

وتصحيح المدرس المولوي منصور احمد البردواني من مدرسي المدرسة المحسنية

والمعاون المولوي جواد علي من معاوني المدرسة الكلكتيه

في سنة ١٢٦١ من الهجرة النبوية عليه وعلى آله السلام والصلوة الزكية

موافقا للسنة ١٨٤٥ المسيحية

الحمد لله الذي انشأ الموجودات بقدرته * وكرّم من بينهم الناس بحسن خلقته * فضّله بفصاحة البيان على جمّ غفير من مخلوقاته * وشرّفه بالغدوات والروحات بمنّته وعطيّاته * وبعدُ فلمّا كانت المقاماتُ التي ابتدعها المحقّق الفاضل * المدقّق الكامل * نِحْرير العُلَماء * اديب الادباء * الذي تَفَوَّقَ افاويق البلاغة والبراعة * وفاق في مِضْمار الفصاحة اصحابَ البراعة * لا يُماثِله ضديد * وما سُمِع له نديد * ابو محمّد القاسمُ بن عليّ بن محمد بن عثمان الحريري البصريّ برّد الله مَضْجَعه * وطيّب مُنْتَجَه ومَنْجَعه * اكثرُ فائدةً في العلوم الادبية * واوفر فائدة في انشاء الحكايات العربيّة * وقد تلقّاها بالقبول لدرس الطُّلّاب الّذين جُبِلوا على اكتساب الفضائل * ورُزِقوا طبائعَ راغبة عن الرذائل * مَنْ هو مركزُ دائرة الفضل وحميد الخصائل * قُطْبُ فَلَكِ الفواضل وجميل الشّمائل * رافع الوية فنون العلوم في الآفاق * مُبشّرا رباب تلك السِّلَع بنفاق الاسواق *

نظم

اليها ما شاكلها * فاتمّها خمسين * وقيل عمل اربعين مقامة وحملها الى بغداد من البصرة * وعرضها على جلال الدين عبد الدولة فاتّهمه * من يحسده * فقال الوزير ان كان صادقا * فليصنع مقامة اخرى * فقال نعم وانفرد بناحية من الايوان ومكث زمانا كثيرا * فلم يفتح الله سبحانه عليه شيأ يسيرا * فقام وهو خجلان * وفي ايدي الناس ندمان * وعاد الى البصرة * واملأ عشر مقامات اخرى * وارسلهن الى الوزير * واعتذر من عيّه في الديوان * وما لحقه من المهانة بين الاعيان * ثم بان فضله على الانام * وقد نجا عن الاتّهام * واعتنى بمقاماته الادباء * واقتدى باستعاراته الخطباء * وقد اكبّ على تعاورها الشيخة والشّبان * واخذوها مقبولة من بين الدفاتر والديوان * وشرحوا لها شروحا قد زادت على الخمسين * واستكشفوا عن خباياها بالافانين * ولله درّ الزّمخشريّ حيث قال في توصيفها * وقد اصاب في تعريفها *

نظم

* اُقسم بالله وآياته * ومشعر الحجّ وميقاته *

* ان الحريريّ حريّ بان * تكتب بالتبر مقاماته *

هذا ما وصل من خبره * ونظم من نثره * .

* فِي قلبهِ مِقياسُ نورٍ أيّما مقياس * بَدْرُ ضياءٍ وجهه مُغْنٍ عن النِّبراس *

قد فاز بالقِدْح المعلّى في محاسن الشّيَم بذهنه النقّاد * ووصل الى الدرجة العليا من المَعارف بطَبْعه الوقّاد * الصاحب الجلي الشان على الاقران ميتهولسدن المدرس المعروف بين الاعيان والاركان * دامت دولته مادامت الرِّياح تَهُزّ الأفنان * وتهتزّ الأغصان على شَجَر البيان * وصارت لكَرّ الازمنة والدُّهور * ومَرّ القَبول والدّبور * قد ضاعت في ايدى الناس * ووقع في نُسَخها الاختلافُ والالتباس * حتى صعُب فهم المراد على الطُّلّاب غاية الاستصعاب * فاراد الصاحب الرفيع المكان طَبْع الكتاب المسطور * وأمَران يُجْتَهَد في تصحيحه بالجهد الموفور * ويُكْتَب في اوله نَبْذ من احوال المصنّف والمصنَّف * ويُملأ في آخره ما أُدرِك من استعارات المؤلِّف في المؤلَّف * ليسْهُل من الطالبين فهمُ مُعْضلاته * ولا يحتاجون كثيرا في استكشاف مُغْلَقاته * فاستُجمع سبعةُ أسْفار * مقروّة على الأحبار * وأُوْثر من عباراتها عند لبس الاساس * ما كان في كثير منها وقُرُب من القياس * فصُحِّحَتْ الفاظُها من اغْلاط النَسْخ والسهو * وطُبِعَت حتى صارت كالشمس في الصَّحْو * وقد ذُكر في حالاته * أنَّه كان من رُؤساء بَلْدته * بارعا في العلوم كلها * سيّما في التصريف والنحو والحديث واللغة بكثْرها وقُلّها * عاش سَبْعين سَنة من السنين القمريّة * وتُوفّي سنة خمسمائة وستة عشر من الهجْرة النَّبَويّة * وانتسابه بالحريرقيل لتجارتها * وقيل الحريرُ قرية ولد فيها * فنسب اليها * وبالبَصْرة لانه اقام بها * وذكر ابن الجَوْزيّ انه عرَض المقامة الحراميّة على الوزير انوشيروان وزير المسترشد بالله فاستحسَنها * وأمَره ان يُضِيف

ولا نُرْهَقَ بتَبِعَةٍ ولا مَعْتَبةٍ * ولا نلْجأ الى مَعْذِرةٍ عن بادِرةٍ * اَللّٰهُمَّ فحقِّق لنا هٰذه المُنْيةَ * وأنِلْنا هٰذه البُغْيةَ * ولا تُقْصِنا عن ظِلِّكَ السّابِغِ * ولا تجْعلنا مُضْغةً للْماضِغِ * فقد مَدَدْنا اليكَ يَدَ المَسْئلة * وبَخَعْنا لكَ بالاستكانة والمَسْكنة * واسْتنزلنا كرمَكَ الجَمَّ * ومَنَّكَ الّذي عَمَّ * بِضَراعةِ الطَّلَبِ وبِضاعةِ الأمَلِ * ثُمَّ بالتَّوسُّل بمحمّدٍ سيِّدِ البَشَر * والشَّفيعِ المُشفَّعِ في المحشَر * الّذي خَتمتَ به النَّبيّين * وأعليتَ دَرَجَتَه في عِلّيّين * ووصفتَه في كتابكَ المُبين * فقلتَ وأنتَ اصدقُ القائلين * وما ارسلناكَ الّا رحمةً للْعالَمين * اللّٰهُمَّ فصلِّ عليه وعلى آله الهادين * واصحابه الّذين شادُوا الدّين * واجعلنا لهَدْيه وهَدْيهم مُتّبعين * وانفعنا بمحبّته ومحبّتهم اجمعين * انّك على كلِّ شيءٍ قدير * وبالإجابة جديرٌ * وبعدُ فانّه قد جرى ببعض أنْدِيَةِ الأدَبِ الّذي ركدتْ في هٰذا العصر رِيحُه * وخَبَتْ مَصابيحُه * ذِكْرُ المَقامات الّتي ابتدعها بديعُ الزَّمان * وعلّامةُ هَمَذان * رحمه اللّٰه وعزى الى ابي الفتح الإسكندريّ نَشْأتَها * والى عيسى بن هشامٍ رِوايتَها * وكلاهما مجهولٌ لا يُعرف * ونكرةٌ لا تتعرَّف * فأشارَ مَن اشارتُه حُكْمٌ * وطاعتُه غُنْمٌ * الى ان أُنْشِئَ مَقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البديع * وان لم يُدْرِكِ الظّالِعُ شَأْوَ الضّليع * فذاكرتُه بما قيلَ فيمَنْ الَّفَ بين كَلِمتين * ونظمَ بيتًا او بيتَين * واستقلْتُ من هٰذا المَقامِ الّذي فيه يَحارُ الفهمُ * ويَفْرُطُ الوهمُ * ويُسْبَرُ به غَوْرُ العقل * وتتبيّنُ فيه قيمةُ المرء * ويُضْطَرُّ صاحبُه الى ان يكونَ كحاطِبِ ليلٍ * او جالبِ رَجْلٍ وخَيْلٍ * وقلّما سَلِمَ مِكْثارٌ * او أُقيلَ له عِثارٌ * فلمّا لم يُسْعِفْ بالإقالة * ولا أعفى من المَقالة * لبّيتُ دعوتَه تلبيةَ المُطيع * وبذلتُ في مطاوعته

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الشيخ الاجلّ الاوحد ابو محمّدٍ القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريّ البصريّ برّد الله مضجعه * اللّهمّ انّا نحمدك على ما علّمت من البيان * والهمت من التّبيان * كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * واسبلت من الغطاء * ونعوذ بك من شرّة اللّسن * وفضول الهذر * كما نعوذ بك من معرّة اللّكن * وفضوح الحصر * ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح * واغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * وهتك الفاضح * ونستغفرك من سوق الشّهوات * الى سوق الشّبهات * كما نستغفرك من نقل الخطوات * الى خطط الخطيّات * ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرّشد * وقلبا متقلّبا مع الحقّ * ولسانا متحلّيا بالصدق * ونطقا مؤيّدا بالحجّة * واصابةً ذائدةً عن الزّيغ * وعزيمةً قاهرةً هوى النّفس * وبصيرةً ندرك بها عرفان القدر * وان تسعدنا بالهداية الى الدّراية * وتعضدنا بالاعانة على الابانة * وتعصمنا من الغواية في الرّواية * وتصرفنا عن السّفاهة في الفكاهة * حتّى نأمن حصائد الالسنة * ونكفى غوائل الزّخرفة * فلا نرد مورد مأثمة * ولا نقف موقف مندمة *

الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * على اني وان اغمض لي الفطن المتغابي * ونضح عني المحب المحابي * لا اكاد اخلص من غمر جاهل * او ذي غمر متجاهل * يضع مني لهذا الوضع * ويندد بانه من مناهي الشرع * ومن نقد الاشياء بعين المعقول * وانعم النظر في مباني الاصول * نظم هذه المقامات في سلك الافادات * وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات * ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات * واثم رواتها في وقت من الاوقات * ثم اذا كانت الاعمال بالنيات * وبها انعقاد العقود الدينيات * فاي حرج على من انشا ملحا للتنبيه * لا للتمويه * ونحا بها منحى التهذيب * لا الاكاذيب * وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم * وهدى الى صراط مستقيم *

شعر

* على انني راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا علي ولا ليا *

وبالله اعتضد * فيما اعتمد * واعتصم * مما يصم * واسترشد الى ما يرشد * فما المفزع الا اليه * ولا الاستعانة الا به * ولا التوفيق الا منه * ولا الموئل الا هو * عليه توكلت * واليه انيب *

المقامة الاولى الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب * وانأتني المتربة عن الاتراب * طوحت بي طوائح الزمن * الى صنعاء اليمن * فدخلتها خاوي الوفاض * بادي الانفاض *

جهد المستطيع * وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة * وفطنة خامدة * وروية ناضبة * وهموم ناصبة * خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله * ورقيق اللفظ وجزله * وغرر البيان ودرره * وملح الأدب ونوادره * إلى ما وشحتها به من الآيات * ومحاسن الكنايات * ورصعته فيها من الأمثال العربية * واللطائف الأدبية * والأحاجي النحوية * والفتاوى اللغوية * والرسائل المبتكرة * والخطب المحبرة * والمواعظ المبكية * والأضاحيك الملهية * مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي * وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري * وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه * وتكثير سواد طالبيه * ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية * وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية * وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره * ومقتضب حلوه ومره * هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات * وصاحب آيات * وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة * ولو أوتي بلاغة قدامة * لا يغترف إلا من فضالته * ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته * ولله در القائل *

نظم

* فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم *

* ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم *

وأرجو أن لا أكون في الهذر الذي أوردته * والمورد الذي توردته * كالباحث عن حتفه بظلفه * والجادع مارن أنفه بكفه * فألحق بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحيوة

نَفْسَکَ فِهِیَ اَکْبَرُ اَعْدائِکَ * اَمَّا الْحِمامُ مِیعادُکَ * فَمَا اِعْدادُکَ * وبِالْمَشِیبِ اِنْذارُکَ * فَمَا اِعْذارُکَ * وفِي اللَّحْدِ مَقِیلُکَ * فما قِیلُکَ * والی اللّٰهِ مَصِیرُکَ * فَمَنْ نَصِیرُکَ * طَالَمَا اَیقظَکَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ * وجَذَبکَ الْوَعْظُ فتقاعَسْتَ * وتَجَلَّتْ لکَ الْعِبَرُ فَتَعامَیْتَ * وحَصْحَصَ لکَ الْحَقُّ فما رَیْتَ * وَاَذْکَرکَ الْموتُ فتناسَیْتَ * واَمْکَنکَ اَنْ تُوَاسِیَ فما آسَیْتَ * تُؤْثِرُ فَلْسًا تُوعِیه * علیٰ ذِکْرٍ تَعِیْه * وَتَخْتارُ قَصْرًا تُعْلِیه * علیٰ بِرٍّ تُولِیْه * وتَرْغَبُ مِن هادٍ تَستهدِیْه * الیٰ زادٍ تَستهدِیْه * وتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِیْه * علیٰ ثَوابٍ تَشْتَرِیْه * یَواقِیْتُ الصِّلاتِ * اَعْلَقُ بِقَلْبِکَ مِن مَواقِیْتِ الصَّلٰوةِ * ومُغالاةُ الصَّدُقاتِ * آثَرُ عِنْدَکَ مِن مُوالاةِ الصَّدَقاتِ * وصِحافُ الْاَلْوانِ * اَشْهیٰ الیکَ مِنْ صَحائِفِ الْاَدْیانِ * ودُعابَةُ الْاَقْرانِ * آنَسُ لکَ مِن تِلاوَةِ الْقُرْآنِ * تاْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِکُ حِماهُ * وتَحْمِیْ عَنِ النُّکْرِ ولا تَتَحاماهُ * وتُزَحْزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثم تَغْشاهُ * وتَخْشَی النَّاسَ وَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشاهُ * ثم اَنْشَدَ

نظم

* تَبًّا لِطالِبِ دُنْیا * ثَنیٰ اِلَیْهَا انْصِبابَهْ *

* ما یَسْتَفِیْقُ غَرامًا * بِها و فَرْطَ صَبابَهْ *

* ولَوْ دَریٰ لَکَفاهُ * مِمَّا یَرُوْمُ صُبابَهْ *

ثم اِنَّه لَبَّدَ عَجاجَتَه * وغَیَّضَ مُجاجَتَه * وَاعْتَضَدَ شَکْوَتَه * وتَاَبَّطَ هِراوَتَه * فَلَمَّا رَنَتِ الْجَماعَةُ الی تَحَفُّزِه * ورَاَتْ تَاَهُّبَهُ لِمُزَایلَةِ مَرْکَزِه * اَدْخَلَ کُلٌّ منهم یَدَهُ فی جَیْبِه * فَاَفْعَمَ

لا أملك بلغة * ولا أجد في جرابي مضغة * طفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم * أجول
في حوماتها جولان الحائم * وأرود في مسارح لمحاتي * ومسايح غدواتي وروحاتي * كريما
أخلق له ديباجتي * وأبوح إليه بحاجتي * أو أديبا تفرج رؤيته غمتي * وتروي روايته غلتي *
حتى أدتني خاتمة المطاف * وهدتني فاتحة الألطاف * إلى ناد رحيب * محتو على زحام
ونحيب * فولجت غابة الجمع * لأسبر مجلبة الدمع * فرأيت في بهرة الحلقة * شخصا
شخت الخلقة * عليه أهبة السياحة * وله رنة النياحة * وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه *
ويقرع الأسماع بزواجر وعظه * وقد أحاطت به أخلاط الزمر * إحاطة الهالة بالقمر * والأكمام
بالثمر * فدلفت إليه لأقتبس من فوائده * وألتقط بعض فرائده * فسمعته يقول حين خب
في مجاله * وهدرت شقاشق ارتجاله * أيها السادر في غلوائه * السادل ثوب خيلائه *
الجامح في جهالاته * الجانح إلى خزعبلاته * إلام تستمر على غيك * وتستمرئ مرعى
بغيك * وحتام تتناهى في زهوك * ولا تنتهي عن لهوك * تبارز بمعصيتك * مالك
ناصيتك * وتجترئ بقبح سيرتك * على عالم سريرتك * وتتوارى عن قريبك * وأنت
بمرأى رقيبك * وتستخفي من مملوكك * وما تخفى خافية على مليكك * أتظن أن
ستنفعك حالك * إذا آن ارتحالك * أو ينقذك مالك * حين توبقك أعمالك * أو يغني
عنك ندمك * إذا زلت قدمك * أو يعطف عليك معشرك * يوم يضمك محشرك *
هلا انتهجت محجة اهتدائك * وعجلت معالجة دائك * وفللت شباة اعتدائك * وقدعت

وتاجُ الأدباءِ * فانصرفتُ من حيثُ أتيتُ * وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ *

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال كَلِفتُ مذْ مِيطتْ عنّي التمائمُ * ونِيطتْ بي العمائمُ * بأنْ أغشى معانَ الأدبِ * وأُنضيَ إليه رِكابَ الطلبِ * لِأَعلقَ منه بما يكونُ لي زينةً بينَ الأنامِ * ومُزنةً عندَ الأُوامِ * وكنتُ لفَرْطِ اللهَجِ باقتباسِه * والطمعِ في تقمّصِ لباسِه * أُباحثُ كلَّ مَنْ جلَّ وقلَّ * واستسقي الوبْلَ والطلَّ * واتعلّلُ بعسى ولعلَّ * فلما حللتُ حُلوانَ * وقد بلوتُ الإخوانَ * وسبرتُ الأوزانَ * وخبرتُ ما شانَ وزانَ * ألقيتُ بها أبا زيدٍ السَّروجيَّ يتقلّبُ في قوالبِ الانتسابِ * ويخبطُ في أساليبِ الاكتسابِ * فيدّعي تارةً أنّه من آلِ ساسانَ * ويعتزي مرّةً الى أقيالِ غسّانَ * ويبرزُ طورًا في شعارِ الشعراءِ * ويلبسُ حينًا كِبْرَ الكبراءِ * بيدَ أنّه مع تلوّنِ حالِه * وتبيّنِ مُحالِه * يتحلّى برُواءٍ وروايةٍ * ومُداراةٍ ودِرايةٍ * وبلاغةٍ رائعةٍ * وبديهةٍ مُطاوعةٍ * وآدابٍ بارعةٍ * وقدمٍ لأعلامِ العلومِ فارعةٍ * فكانَ لمحاسنِ آلاتِه * يُلبَسُ على علّاتِه * ولسعةِ روايتِه * يُصبى الى رؤيتِه * ولخلابةِ عارضتِه * يُرغَبُ عن مُعارضتِه * ولعذوبةِ إيرادِه * يُسعَفُ بمرادِه * فتعلّقتُ بأهدابِه * لخصائصِ آدابِه * ونافستُ في مُصافاتِه * لنفائسِ صفاتِه *

شعر

* فكنتُ به أجلو همومي وأجتلي * زماني طلقَ الوجهِ مُلتمعَ الضيا *
* أرى قُربَه قُربى ومغناه غُنيةً * ورؤيتَه ريًّا ومُحيّاه لي حيا *

لہ سَجلا من سَیبه * وقال اصرِف هذا في نفقتِک * او فرِّقه علی رُفقتِک * فقبِلهٗ منهم مُغضِیاً * وانثنی عنهم مُثنِیًا * وجعَل یُودِّع من یُشیِّعه * لیَخفی علیهم مَهیَعه * ویسرِّب مَن یتبعه * لکَی یُجهَل مَربعه * قالَ الحارث بن همام فاتَّبعته مُواریًا عنه عِیاني * وقفوتُ اثرہ من حیث لا یرانی * حتّی انتهی الی مَغارةٍ * فانساب فیها علی غَرارةٍ * فامهَلته رَیثما خلَع نعلَیه * وغسَل رِجلیه * ثم هجَمتُ علیه * فوجدته مُحاذِیًا لتلمیذ * علی خُبزٍ سمیذ * وجَدیٍ حنیذٍ * وقبالتَهما خابِیة نبیذٍ * فقلتُ یا هذا أیکونُ ذاک خبرک * وهذا مخبرک * فزفر زفرةَ القیظ * وکاد یتمیز من الغیظ * ولم یزل یُحملِق اِلیَّ * حتّی خِفتُ ان یسطوَ علیَّ * فلمّا أن خبَت نارہ * وتواری اُوارہ * انشد *

نظم

* لبِستُ الخمیصةَ ابغي الخبیصة * وانشبتُ شِصّی في کُلِّ شیصة *

* وصیّرتُ وعظِي اُحبُولةً * اُریغُ القنیصَ بِها والقنیصة *

* والجاني الدّهرُ حتّی ولجتُ * بلطفِ احتیالی علی اللّیثِ عیصهٗ *

* علی انّنی لم اَهبْ صرفه * ولا نبضت لیَ منه فریصة *

* ولا شرَّعت بي علی مَوردٍ * یُدنّس عِرضي نَفسٌ حریصة *

* ولو انصف الدّهرُ في حُکمِه * لما ملَّك الحُکم اهلَ النّقیصة *

ثمّ قال لی اُدنُ فکُل * وإن شئتَ فقُم وقُل * فالتفتُّ الی تلمیذہ وقلتُ عزَمتُ علیک بمَن یستدفَع بِه الاذی * لتُخبِرني مَن ذا * فقالَ هذا ابوزید السّروجیّ سِراجُ الغُرباء *

نَفْسِی الْفِدَاءُ لِثَغْرٍ رَاقَ مَبْسِمُهُ * وَ زَانَهُ شَنَبٌ نَاهِیکَ مِنْ شَنَبِ *

یَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ * وَعَنْ اقَاحٍ وَ مِنْ طَلْعٍ وَعَن حَبَبِ *

فاستجادهُ مَن حضر واستحلاه * واستعادهُ منه واستملاه * وسُئل لِمَن هذا البیتُ * وهل حیٌّ قائله ام میتٌ * فقال ایمُ اللهِ الحقُّ احقُّ ان یتبع * وللصدق حقیقٌ بان یستمع * انّه یا قوم * لَنجیّکم مُذ الیوم * قال فکانّ الجماعة ارتابت بعزوته * وابت تصدیقه عزوته * فترجّس ما هجس فی افکارهم * وفطِن لما بطن من استنکارهم * وحاذر ان یفرط الیه ذمٌّ * او یلحقه وصمٌ * فقرأ انَّ بعض الظّنِ اثمٌ * ثم قال یا رواة القریض * واساة القولِ المریض * اِنّ خلاصة الجوهر تظهر بالسبک * ویدُ الحقِّ تصدع رداء الشّکِ * وقد قیل فیما غبر من الزّمان * عند الامتحان یکرم الرّجلُ او یهان * وها انا قد عرّضتُ خبیئتی للاختبار * وعرضتُ حقیبتی علی الاعتبار * فابتدر احدٌ مَن حضر * وقال اعرف بیتا لم ینسج علی منواله * ولا سمحت قریحةٌ بمثاله * فان آثرت اجتلاب القلوب * فانظم علی هذا الاسلوب * وانشد * شعر *

* فامطرت لؤلؤا من نرجسٍ فسقت * وردا وعضّت علی العنّاب بالبردِ *

فلم یکن الا کلمحِ البصر او اقرب * حتّی انشد واغرب * **نظم**

* سَاَلْتُهَا حِینَ زَارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِهَا * الْقَانِی وَ اِیدَاعَ سَمْعِی اَطْیَبَ الْخَبَرِ *

* فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَّی سَنَا قَمَرٍ * وَسَاقَطَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ خَاتَمٍ عَطِرِ *

ولبثنا على ذلك برهة * ينشي لي كل يوم نزهة * ويدرأ عن قلبي شبهة * الى ان جدحت له يد الاملاق * كاس الفراق * واقراه عدم العراق * بنطليق العراق * ولفظته معاوز الارفاق * الى مفاوز الآفاق * ونظمه في سلك الرفاق * خفوق راية الاخفاق * فشحذ للرحلة غرار عزمته * وظعن يقتاد القلب بازمته *

نظم

* فما راقني من لاقني بعد بعده * ولا شاقني من ساقني لوصاله *
* ولا لاح لي مذ ند ند لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاله *

واستسر عني حينا * لا اعرف له عرينا * ولا اجد عنه مبينا * فلما ابت من غربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتادبين * وملتقى القاطنين منهم والمتغربين * فدخل ذو لحية كثة * وهيئة رثة * فسلم على الجلاس * وجلس في اخريات الناس * ثم اخذ يبدي ما في وطابه * ويعجب الحاضرين بفضل خطابه * فقال لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظر فيه * فقال ديوان ابي عبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرت فيما لمحته * على بديع استملحته * فقال نعم قوله *

شعر

* كانما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح *

فانه ابدع في التشبيه * المودع فيه * فقال له يا للعجب * ولضيعة الادب * لقد استسمنت يا هذا ذا ورم * ونفخت في غير ضرم * اين انت من البيت الندر * الجامع مشبهات الثغر * وانشد *

نظم

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني واخداناً لي نادٍ * لم يخب فيه منادٍ * ولا كبا قدح زنادٍ * ولا ذكت نار عنادٍ * فبينما نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طرف الاسانيد * اذ وقف بنا شخص عليه سمل * وفي مشيه قزل * فقال يا اخاير الذخائر * وبشائر العشائر * عموا صباحاً * وانعموا اصطباحاً * وانظروا الى من كان ذا ندي وندى * وجدة وجدى * وعقار وقرى * ومقار وقرى * فما زال به قطوب الخطوب * وحروب الكروب * وشرر شر الحسود * وانتياب النوب السود * حتى صفرت الراحة * وقرعت الساحة * وغار المنبع * ونبا المربع * واقوى المجمع * واقض المضجع * واستحالت الحال * واعول العيال * وخلت المرابط * ورحم الغابط * واودى الناطق والصامت * ورثى لنا الحاسد والشامت * وآل بنا الدهر الموقع * والفقر المدقع * الى ان احتذينا الوجى * واغتذينا الشجا * واستبطنا الجوى * وطوينا الاحشا * على الطوى * واكتحلنا السهاد * واستوطنا الوهاد * واستوطأنا القتاد * وتناسينا الاقتاد * واستطبنا الحين المجتاح * واستبطأنا اليوم المتاح * فهل من حر آس * او سمح مواس * فوالذي استخرجني من قيلة * لقد امسيت اخا عيلة * لا املك بيت ليلة * قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره * ولويت الى استنباط فقره * فابرزت له ديناراً * وقلت له اختباراً * ان مدحته نظماً * فهو لك حتماً * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال

نظم

اكرم به اصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته *

فحار الحاضرون لبداهته * واعترفوا بنزاهته * فلما آنس استيناسهم بكلامه * وانصبابهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم قال ودونكم بيتين آخرين * وانشد *

نظم

* واقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر *

* فلاح ليل على صبح اقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر *

فحينئذ استسنى القوم قيمته * واستغزروا ديمته * واجملوا عشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رأيت تاهب حذوته * وتالق جلوته * امعنت النظر في توسمه * وسرحت الطرف في ميسمه * فاذا هو شيخنا السروجي * وقد اقمر ليله الدجوجي * فهنأت نفسي بموردة * وابتدرت استلام يده * وقلت له ما الذي احال صفتك * حتى جهلت معرفتك * واي شيء شيب لحيتك * حتى انكرت حليتك * فانشأ يقول *

نظم

* وقع الشوائب شيب * والدهر بالناس قلب *

* ان دان يوما لشخص * ففي غد يتغلب *

* فلا تثق بوميض * من برقه فهو خلب *

* واصبر اذا هو اضرى * بك الخطوب وألب *

* فما على التبر عار * في النار حين يقلب *

ثم نهض مفارقا موضعه * ومستصحبا القلوب معه *

وحبه عند ذوی الحقائق * یدعو الی ارتکاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع یمین سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شکا الممطول مطل العائق
ولا استعیذ من حسود راشق * وشر ما فیه من الخلائق
ان لیس یغنی عنک فی المضائق * الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن یقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوی الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأی فی وصلک لی ففارق

فقلت له اما اغزر وبلک * فقال والشرط املک * فنفحته بالدینار الثانی * وقلت له عوذهما بالمثانی * فالقاه فی فمه * وقرنه بتوأمه * وانکفأ یحمد مغداه * ویمدح النادی ونداه * قال الحارث بن همام فناجانی قلبی بانه ابوزید * وان تعارجه لکید * فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشیک * فاستقم فی مشیک * فقال ان کنت ابن همام * فحییت باکرام * وحییت بین کرام * فقلت انا الحارث * فکیف حالک والحوادث * قال اتقلب فی الحالین بؤس ورخاء * واتقلب مع الریحین زعزع ورخاء * فقلت فکیف ادعیت القزل * وما مثلک من هزل * فاستسر بشره الذی کان تجلی * ثم انشد حین ولی *

نظم

تعارجت لا رغبة فی العرج * ولکن لاقرع باب الفرج

ماثورة سمعته وشهرته * قد اودعت سر الغنى اسرته

وقارنت نجح المساعي خطرته * وحببت الى الانام غرته

كانما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته

وان تفانت او توانت عترته * يا حبذا نضاره ونضرته

وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به استتبت امرته

ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته

وبدر تم انزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته

اسر نجواه فلانت شرته * وكم اسير اسلمته اسرته

انقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلت قدرته * ثم بسط يده * بعدما انشده * وقال انجز حر ما وعد * وسح خال اذ رعد * فنبذت الدينار اليه * وقلت خذه غير ماسوف عليه * فوضعه في فيه * وقال بارك اللهم فيه * ثم شمر للانثناء * بعد توفية الثناء * فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام * سهلت علي ائتنافه اغترام * فجردت دينارا آخر * وقلت هل لك في ان تذمه * ثم تضمه * فانشد مرتجلا * وشدا عجلا

نظم

تبا له من خادع مماذق * اصفر ذي وجهين كالمنافق *

يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق *

مَنْزِلَةَ اميري * واُحِلَّ انيسي * محلّ رئيسي * واُوْدِع معارفي * عوارفي * واُوْلي
مرافقي * مرافقي * والين مقالي * للقالي * واُديم تساءلي * من السالي *
وارضى من الوفاء * باللفاء * واقنع من الجزاء * باقلّ الاجزاء * ولا اتظلّم * حين
اُظلم * ولا انقم * ولو لدغني الارقم * فقال له صاحبه ويك يا بنيّ انّما يضنّ بالضنين *
وينافس في الثمين * لكن انا لا اتي * غير المواتي * ولا اسيم العاتي * بمراعاتي * ولا اصافي *
من يأبى انصافي * ولا اواخي * من يلغي الاواخي * ولا امالي من يخيّب آمالي * ولا ابالي *
بمن صرم حبالي * ولا اداري * من جهل مقداري * ولا اُعطي زمامي * من يخفر ذمامي *
ولا اُبذل ودادي * لأضدادي * ولا ادع ايعادي * للمعادي * ولا اغرس الايادي *
في ارض الاعادي * ولا اسمح بمواساتي * لمن يفرح بمساءتي * ولا ارى التفاتي *
الى من يشمت بوفاتي * ولا اخصّ بحبائي * الا احبّائي * ولا استطبّ لدائي * غير
اودّائي * ولا اُملّك خلّتي * من لا يسدّ خلّتي * ولا اُصفي نيّتي * لمن يتمنّى منيّتي *
ولا اُخلص دعائي * لمن لا يفعم وعائي * ولا اُفرغ ثنائي * على من يفرّغ انائي *
ومن حكم بان ابذل وتخزن * والين وتخشن * واذوب وتجمد * واذكو وتخمد *
لا والله بل نتوازن في المقال * وزن المثقال * ونتحاذى في الفعال * حذو النعال * حتى
نأمن التغابن * ونكفى التضاغن * والّا فلم اُملّك وتعلّني * واُقلّك وتستقلّني * واجترح
لك وتجرحني * واسرح اليك وتسرّحني * وكيف يجتلب انصاف بضيم * وانّى تشرق

وألقي حبلي على غاربي * وأسلك مسلك من قد مرج

فإن لامني القوم قلت اعذروا * فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارث بن همام قال ظعنت الى دمياط * عام هياط ومياط * وانا يومئذ مرموق الرخاء * موموق الاخاء * اسحب مطارف الثراء * اجتلي معارف السراء * فرافقت صحباً قد شقوا عصا الشقاق * وارتضعوا افاويق الوفاق * حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء * وكالنفس الواحدة في التيام الاهواء * وكنا مع ذلك نسير النجاء * ولا نرحل الا كل هوجاء * واذا نزلنا منزلاً * او وردنا منهلاً * اختلسنا اللبث * ولم نطل المكث * فعن لنا اعمال الركاب * في ليلة فتية الشباب * غدافية الاهاب * فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه * وسلت الصبح خضابه * فحين مللنا السرى * ملنا الى الكرى * صادفنا ارضاً مخضلة الربا * معتلة الصبا * فتخيرناها مناخاً للعيس * ومحطاً للتعريس * فلما حلها الخليط * وهدا بها الاطيط والغطيط * سمعت صيتاً من الرجال * يقول لسميره في الرحال * كيف حكم سيرتك * مع جيلك وجيرتك * فقال ارعى الجار * ولو جار * وابذل الوصال * لمن صال * واحتمل الخليط * ولو ابدى التخليط * واود الحميم * ولو جرعني الحميم * وافضل الشفيق * على الشقيق * وافي للعشير * وان لم يكافني بالعشير * واستقل الجزيل * للنزيل * واغمر الزميل * بالجميل * وانزل سميري *

لَمَحْتُ ابا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحادَثانِ * وعليهما بُرْدانِ رَثّانِ * فعلِمْتُ انّهما نجيّا ليلتي * وصاحِبا روايتي * فقصدتُهما قَصْدَ كَلِفٍ بِدَماثتِهما * راثٍ لرثاثتِهما * وابحتُهما التحوُّلَ الى رَحْلي * والتحكّمَ في كُثْري وقُلّي * وطَفِقْتُ اُسَيِّرُ بينَ السَّيّارةِ فَضْلَهما * وأهُزُّ الأعوادَ المُثمِرةَ لهما * حتّى غَمِرا بالنّحلانِ * واتّخذا من الخُلّانِ * وكُنّا بِمُعَرَّسٍ نتبيّنُ منه بُنْيانَ القُرى * ونتنوّرُ نيرانَ القِرى * فلمّا رأى ابوزيدٍ امتلاءَ كِيسِهِ * وانجلاءَ بُؤسِهِ * قال لي انّ بَدَني قد اتّسَخ * ودَرَني قد رَسَخ * أفتأذَنُ لي في قصدِ قريةٍ لاستحمّ * واقضيَ هذا المُهِمّ * فقلتُ اذا شئتَ فالسُّرعةَ السُّرعةَ * والرَّجعةَ الرَّجعةَ * فقال ستجِدُ مَطْلَعي عليك اسْرَعَ مِنَ ارتدادِ طَرْفِكَ اليك * ثمّ اسْتَنَّ استنانَ الجوادِ في المِضْمارِ * وقال لابنهِ بَدارِ بَدارِ * ولم نَخَلْ انّه غَرّ * وطلب المَفَرّ * فلبِثْنا نرقُبُهُ رِقبةَ اهِلّةِ الأعيادِ * ونستطلِعُهُ بالطّلائعِ والرُّوّادِ * الى ان هَرِمَ النّهارُ * وكادَ جُرُفُ اليومِ ينهارُ * فلمّا طالَ امَدُ الانتظارِ * ولاحتِ الشّمسُ في الأطمارِ * قلتُ لأصحابي قد تناهَيْنا في المُهلةِ * وتمادَيْنا في الرِّحلةِ * الى ان اضَعْنا الزّمانَ * وبانَ انّ الرّجُلَ مانَ * فتأهّبوا الظّعنِ * ولا تلْوُوا على خضراءِ الدِّمَنِ * ونهضتُ لاحْدِجَ راحِلتي * واتحمّلَ لرِحلتي * فوجدتُ ابا زيدٍ قد كتب على القَتَبِ *

نظم

يا مَنْ غَدا لي مُساعِدا * ومُساعِدا دونَ البَشَرِ

لا تحسَبَنْ انّي نايْتُكَ مِنْ مَلالٍ اوْ اشَر

شمسٌ مع غيم * ومتى اَصْحبَ وُدٌّ بعَسف * وايُّ حُرٍّ رَضِيَ بخُطَّةِ خَسفٍ * ولِلّٰهِ ابوك اذ يقولُ

نظم

جَزَيْتُ مَن اَعْلَق بِي وُدَّهُ * جزاءَ مَن يَبْنِي على اُسّهِ

وكِلْتُ لِلْخِلّ كما كالَ لِيْ * على وفاءِ الكَيْلِ اوبَخْسِهِ

ولم اُخَسِّرْه وشرُّ الوَرىٰ * مَنْ يومُهُ اَخْسَرُ مِنْ اَمْسِهِ

وكلُّ مَن يطلُبُ عندي جَنًى * فما لَهُ الا جَنٰى غَرْسِهِ

لا اَبتغِي الْغبْنَ ولا اَنْثَنِي * بصَفْقَةِ الْمغبونِ في حِسّهِ

ولَسْتُ بالْمُوجِب حَقًّا لِمَنْ * لا يوجِبُ الْحَق على نَفْسِهِ

ورُبَّ مَذّاقِ الْهَوىٰ خالَنِي * اَصْدُقُهُ الْوُدَّ على لَبْسِهِ

وما دَرىٰ من جَهْلِهِ اَنَّنِي * اَقْضِي غَرِيْمِي الدَّيْنَ مِن جِنْسِهِ

فَاهْجُرْ مَنِ اسْتَغْباكَ هَجْرَ القِلىٰ * وَهَبْهُ كالْمَلحود في رَمْسِهِ

وَالْبَسْ لِمَنْ في وصلِهِ لُبْسَةٌ * لِباسَ مَن يَرْغَبُ عن اُنْسِهِ

ولا تُرَجّ الْوُدَّ ممن يَرىٰ * اَنَّكَ مُحتاجٌ الى فَلْسِهِ

قال الحارث بن همام فلمّا وَعَيْتُ ما دار بينهما * تُقْتُ الى اَنْ اَعْرِف عَيْنَهما * فلمّا لاحَ ابْنُ ذُكاءَ * وَالْحَف الْجَوَّ الضِياءَ * غَدَوتُ قبلَ استقلالِ الرِّكابِ * ولا اغتداءَ الْغُرابِ * وَجعلتُ اَستقري صَوْبَ الصَوْتِ اللَّيْلِيّ * واَتوسَّمُ الوُجُوهَ بالنَّظَرِ الْجَلِيّ * الى اَنْ

وَيَثْنِي عنكم يَنُثُّ البِرّا * قال الحارث بن همام فلما خَلَبنا بعذوبة نُطْقِه * وعلمنا
ماوراء بَرْقِه * اِبْتَدَرْنا فتحَ الباب * وتلقيناه بالترحاب * وقلنا للغلام هَيَّا هَيَّا * وهلمّ
ما تهيّأ * فقال الضيف والذي احلّني ذَرَاكُمْ * لا تلمّظتُ بِقِراكم * اَوْ تضمنوا لي اَنْ
لا تتخذوني كَلًّا * ولا تتجشّموا لاجلي اُكلا * فرُبَّ اَكْلةٍ هاضت الآكِلَ * وحرمتْه مآكِلَ *
وشرّ الاضياف مَن سَامَ التكليف * وآذى المُضِيفَ * وخصوصًا اذىً يعتلق بالاجسام *
ويُفضِي الى الاسقام * وما قيلَ في المَثَلِ الذي سار سائرُه * خيرُ العشاءِ سوافرُه *
الّا ليُعجّل التعشّي * ويُجتنب اَكْلُ الليلِ الذي يُعشّي * اللّهمّ الّا اَنْ تقدَ نارُ الجوع *
وتحولَ دونَ الهجوع * قال فكانّه اطّلع على ارادتنا * فرمى عن قوسِ عقيدتنا * لاجرم
انّا آنسناه بالتزامِ الشرط * واثنينا على خُلُقِه السبط * فلمّا احضرَ الغلامُ ما راجَ * واذكى
بيننا السراجَ * تأمّلته فاذا هو ابو زيد فقلتُ لصحبي ليَهْنِكُم الضيفُ الوارد * بل المغنم
البارد * فان يكن اَفَلَ قمرُ الشِّعرى فقد طلع قمرُ الشِّعر * او استسرّ بدرُ النثرة فقد تبلّج
بدرُ النثر * فسرت حُمَيّا المسرّة فيهم * وطارت السِّنَةُ عن مآقيهم * ورفضوا الدعةَ التي
كانوا نووها * وثابوا الى نشرِ الفكاهةِ بعد ما طووها * وابو زيد مكبّ على اعمالِ يديه *
حتّى اذا استرفع ما لديه * قلتُ له اَطرِفنا بغريبةٍ من غرائبِ اسمارك * اوعجيبةٍ
من عجائبِ اسفارك * فقال لقد بلوتُ من العجائبِ ما لم يَرَهُ الراؤون * ولا رواه
الراوون * وانّ من اعجبها ما عاينتُه الليلةَ قُبيلَ انتيابكم * ومصيري الى بابكم *

لٰكِنَّنِي مُـــذْ لم اَزَلْ * مِمَّن اذا طَعِمَ انْتَشَـــر

قال فاقرأتُ الجماعةَ القَتَبَ * ليَعذِرَهُ مَنْ كان عَتَبَ

فَاعْجَبُوا بخُرَافَتِهِ * وتَعوَّذُوا مِن آفتِهِ * ثمّ اِنَّا ظَعَنَّا * ولَمْ نَدْرِ مَنِ امْتَاضَ عَنَّا *

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارثُ بنُ همّام قال سَمَرْتُ بالكُوْفةِ في لَيْلةٍ اَديمُها ذُوْلَوْنَين * وقَمَرُها كتعويذٍ من لُجَيْنٍ * مع رُفْقَةٍ غُذُوا بِلِبَانِ البيان * وسَحَبُوا على سَحْبان ذَيلَ النِّسيان * ما فِيهم الّا مَنْ يُحفَظ منه * ولا يُتَحفَّظ منه * ويَمِيلُ الرّفيقُ اليه ولا يَمِيلُ عنه * فَاسْتَهْوَانا السَّمَرُ * الى اَنْ غَرَبَ القَمَرُ * وغَلَبَ السَّهَرُ * فلَمّا رَوّقَ اللّيلُ البَهِيمُ * ولم يَبْقَ اِلَّا التَّهويمُ * سمِعْنا مِنَ البابِ نَبْأَةَ مستنبِحٍ * ثمّ تلتها صَكَّةُ مُسْتفتِحٍ * فقلنا مَنِ المُلِمُّ * في اللّيل المُدْلَهِمِّ * فقال *

نظم

يا اَهْلَ ذا المَغْنى وُقيتم شَرًّا * و لا لَقِيتم ما بَقِيتم ضُرًّا

قد دَفَعَ اللّيلُ الّذي اكْفَهَرّا * الى ذَرٰكم شَعِثًا مُغْبَرّا

اَخَا سِفَارٍ طالَ و اسْبَطَرّا * حَتّى انْثَنى مُحْقَوقِفًا مُصْفَرّا

مِثْلَ هِلالِ الاُفقِ حينَ افْتَرّا * وقد عَرَا فِناءَكُمْ مُعْتَرّا *

وَامَّكم دُوْنَ الاَنامِ طُرًّا * يبْغِي قِرىً منكم و مُسْتَقَرّا

فَدُوْنَكُم ضَيْفًا قَنُوعًا حُرًّا * يَرْضى بما احْلَوْلى وما اَمَرّا

ومنزلي حلف ثقيف * ولكن يا فتى ما اسمك * فقد فتنني فهمك * فقال اسمي زيد *
ومنشأي فيد * ووردت الى هذه المدرة امس * مع اخوالي من بني عبس * فقلت له
زدني ايضاحا عشت ونعشت * فقال اخبرتني امي برة * وهي كاسمها برة * انها نكحت عام
الغارة بماوان * رجلا من سراة سروج وغسان * فلما آنس منها الاثقال * وكان
باقعة على ما يقال * ظعن عنها سرا * وهلم جرا * فما يعرف أحي هو فيتوقع * أم
أودع اللحد البلقع * قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي * وصدفني
عن التعرف اليه صفر يدي * ففصلت عنه بكبد مرضوضة * ودموع مفضوضة *
فهل سمعتم يا اولي الالباب * باعجب من هذا العجاب * قلنا لا ومن عنده علم
الكتاب * فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق * وخلدوها بطون الاوراق * فما سير
مثلها في الآفاق * فاحضرنا الدواة واساودها * ورقشنا الحكاية على ما سردها *
ثم استنبطناه عن مرتآه * في استضمام فتاه * فقال اذا ثقل ردني * خف علي ان
اكفل ابني * فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال * الفناه لك في الحال *
فقال وكيف لا يقنعني نصاب * وهل يحتقر قدره الا مصاب * قال الراوي فالتزم
منه كل منا قسطا * وكتب له به قطا * فشكر عند ذلك الصنع * واستنفد في الثناء الوسع *
حتى اننا استطلنا القول * واستقللنا الطول * ثم انه نشر من وشي السمر * ما ازرى
بالحبر * الى ان اظل التنوير * وجشر الصبح المنير * فقضيناها ليلة غابت شوائبها * الى

فاستخبرناه من طُرفةِ مَرْآه * في مَسْرحِ مَسْراه * فقالَ اِنَّ مَرامِيَ الغُرْبة * لَفَظَتْني الى هذهِ التُرْبة * وانا ذو مَجاعةٍ وبُؤسي * وجِرابٍ كفُؤادِ اُمّ مُوسى * فنَهضتُ حينَ سَجا الدُجى * على ما بي من الوَجى * لِاَرتادَ مُضيفاً * او اَقتاتَ رَغيفاً * فساقَني حادي السَّغَب * والقَضاءُ المُكنَّى ابا العَجَب * الى اَنْ وقَفتُ على باب دارٍ * فقلتُ على بِدارٍ *

نظم

حُيِّيتُمُ يا اَهْلَ هذا المَنْزِلِ * وعِشْتُمُ في خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلِ

ما عِنْدَكُمْ لِابْنِ سبيلٍ مُرْمِلِ * نِضْوِ سُرىً خابِطِ ليلٍ اَلْيَلِ

جَوِي الحَشى على الطَوى مُشْتَمِلِ * ما ذاقَ مُذْ يَوْمانِ طَعْمَ مأكَلِ

ولا لَهُ في اَرْضِكُمْ من مَوْئِلِ * وقد دَجى جِنْحُ الظَلامِ المُسْبَلِ

وهوَ مِنَ الحَيْرةِ في تَمَلْمُلِ * فهَلْ بِهذا الرَبْعِ عَذْبُ المَنْهَلِ

يقولُ لِي اَلْقِ عصاكَ وادْخُلِ * اَبْشِرْ بِبِشْرٍ وقِرىً مُعَجَّلِ

قالَ فبرزَ اليَّ جُوذَرٌ * عليه شَوْذَرٌ * وقال *

نظم

وحُرْمَةِ الشَيْخِ الَّذي سَنَّ القِرى * واَسَّسَ المحجوجَ في اُمِّ القُرى

ما عِنْدَنا لطارِقٍ اِذا عَرى * سِوى الحَديثِ والمُناخِ في الذَرى

وكَيْفَ يَقْرِي مَنْ نَفى عنه الكَرى * طَوىً بَرى اَعْظُمَهُ لمّا انبَرى

فما ترى فيما ذَكَرْتُ ما تَرى * فقلتُ ما اَصْنَعُ بمَنْزِلٍ اقفَرٍ *

المقامة السادسة المراغية وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همّام قال حضرتُ ديوانَ النّظر بالمراغة * وقد جرى به ذِكر البلاغة * فاجمع من حضر من فرسان البراعة * وارباب البراعة * على انّه لم يبق من ينقّح الانشاء * ويتصرّف فيه كيف شاء * ولا خلف * بعد السّلف * من يبتدع طريقةً غرّاء * او يفترع رسالة عذراء * وانّ المُفاق من كتّاب هذا الاوان * المتمكّن من ازمّة البيان * كالعيال على الاوائل * ولو ملك فصاحة سحبانِ وائل * وكان بالمجلس * كهلٌ جالسٌ * في الحاشية * وعند مواقف الحاشية * فكان كلّما شطّ القوم في شوطهم * ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم * ينبيء تخازُرُ طرفه * وتشامخ انفه * انّه مخرنبق لينباع * ومجرمّز سيمدّ الباع * ونابضٌ يبري النبال * ورابضٌ يبغي النضال * فلمّا نثلت الكنائن * وفاءت السّكائن * وركدت الزعازع * وكفّ المنازع * اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيأً ادّا * وجُرتم عن القصد جدّا * وعظّمتم العظام الرفات * وافتنتم في الميل الى من فات * وغمصتم جيلكم الّذين فيهم لكم اللِّدات * ومعهم انعقدت المودّات * انسيتم يا جهابذة النّقد * وموابذة الحلّ والعقد * ما ابرزته طوارف القرائح * وبرّز فيه الجذع على القارح * من العبارات المهذّبة * والاستعارات المستعذبة * والرسائل الموشّحة * والاساجيع المستملحة * وهل للقدماء اذا انعم النّظر * من حضر * غيرُ المعاني المطروقة الموارد * المعقولة الشّوارد * المأثورة منهم لتقادم المولد لا لتقدّم الصّادر على الوارد * وانّي لأعرف

ان شابت ذوائبها * وكمل سعودها * الى ان انفطر عودها * ولما ذرقرن الغزالة * طمر طمور الغزالة * وقال انهض بنا لنقبض الصلات * ونستنض الاحالات * فقد استطارت صدوع كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت جناحه * حتى سنيت نجاحه * فحين احرز العين في صرته * برقت اسارير مسرته * وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك * والله خليفتي عليك * فقلت اريد ان اتبعك لأشاهد ولدك النجيب * وانا فثه لكيما يجيب * فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع * وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد *

نظم

يا من تظنى السراب ماء * لما رويت الذى رويت

ما خلت ان يستسر مكري * وان يخيل الذى عنيت

والله ما برة بعرسي * ولا لي ابن به اكتنيت

وانما لي فنون سحر * ابدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الاصمعي فيما * حكى ولا حاكها الكميت

تخذتها وصلة الى ما * تجنيه كفي متى اشتهيت

ولو تعافيتها لحالت * حالي ولم احو ما حويت

فمهد العذر وانسامح * ان كنت اجرمت اوجنيت

ثم انه ودعني ومضى * واودع قلبي جمرا لغضا

احدى كلمتيها يعمها النقط * وحروف الاخرى لم يعجمن قط * وقد استانيت بيانى
حولا * فما احار قولا * ونبهت فكرى سنة * فما ازداد الا سنة * واستعنت بقاطبة
الكتاب * فكل منهم قطب وتاب * فان كنت صدعت عن وصفك باليقين * فأت بآية
ان كنت من الصادقين * فقال له لقد استسعيت يعبوبا * واستسقيت اسكوبا * واعطيت
القوس باريها * وانزلت الدار بانيها * ثم فكر ريثما استجم قريحته * واستدر لقحته *
وقال له القِ دواتك * وخذ اداتك * واكتب * الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين *
واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين * والاروع يثيب * والمعور يخيب * والحلاحل
يضيف * والماحل يخيف * والسمح يغذي * والمحك يقذي * والعطاء ينجي * والمطال
يشجي * والدعاء يقي * والمدح ينقي * والحر يجزي * والالطاط يخزي * واطراح ذي الحرمة
غي * ومحرمة بني الامال بغي * وما ضن الا غبين * ولا غبن الا ضنين * ولا خزن الا شقي *
ولا قبض راحة تقي * وما فتيء وعدك يفي * وآراءك تشفي * وحلمك يغضي * وهلالك
يضيء * وآلاءك تغني * واعداءك تثني * وحسامك يغني * وسوددك يبني *
ومواصلك يجتني * ومادحك يقتني * وسماحك يغيث * وسماءك تغيث * ودرك
يفيض * وردك يغيض * ومؤملك سبخ حكاه في * ولم يبق له شيء * املك يظن
خرصه يشب * ومدحك بنخب مهورها تجب * وصرامه يخف * واوار صدره تشف *
واطراءه يجتذب * وملامه يجتنب * وورآءه ضفف * ومسهم شظف * وحصهم جنف *

الآنَ مَنْ اذا أنشا * وَشّى * واذا عبّـر * حبّر * واذا أسهَبَ * أذهَب * واذا أوْجزَ * أعجزَ * وإن بدهَ * شدَهَ * ومَتى اخترعَ * خرعَ * فقـال له ناظورَةُ الدّيوان * وعَينُ أولئكَ الأعيان * مَنْ فارِعُ هذي الصّفاة * وقريعُ هذهِ الصِّفات * قال إنّه قِرنُ مَجالِكَ * وقرينُ جِدالِكَ * واذا شئتَ فرُضْ نجيبًا * وادْعُ مُجيبًا * لترى عجيبًا * فقال لهُ يا هذا إنَّ البِغاثَ بأرضِنا لا تَستنسِرُ * والتمييزَ عندَنا بين الفِضّةِ والفِضّةِ متيسّرٌ * وقلَّ مَن استهدَفَ للنِّضال * فتخلّص مِنَ الدّاءِ العُضالِ * أو استثارَ نقعَ الامتحان * فلـم يُقذَ بالامتهان * فلا تعرّضْ عِرضَكَ للمَفاضِحِ * ولا تُعرِضْ عن نَصاحةِ النّاصِحِ * فقال كُلُّ امرِءٍ أعرفُ بوَسْمِ قِدحِه * وسينفرِي اللّيلُ عن صُبحِه * فتناجتِ الجماعةُ فيمـا يُسبَرُ بهِ قليبُهُ * ويُعتمَدُ فيهِ تقليبُهُ * فقالَ أحدُهم ذرُوهُ في حِصّتي * لأرمِيَهُ بحجرِ قِصّتي * فإنّها عُضلةُ العُقَد * ومِحَكُّ المُنتقَد * فقلّدوهُ في هذا الأمـرِ الزّعامةَ * تقليدَ الخـوارِجِ أبا نَعامةَ * فأقبلَ على الكَهْلِ وقال اعلمْ أنّي أوالي * هذا الوالي * وأرَقّحُ حالي * بالبيانِ الحالي * وكنتُ أستعينُ على تقويمِ أوَدِي * في بلدِي * بسعةِ ذاتِ يدِي * مع قلّةِ عَدَدِي * فلمّا ثقُلَ حاذِي * ونفِدَ رَذاذِي * أمَمتُه من أرجائِي * برجائِي * ودَعوتُهُ لإعادةِ رُوائي * وإروائي * فهَشَّ للوِفادةِ وارتاحَ * وغدا بالإفادةِ وراحَ * فلمّـا استأذنتُه في المَراحِ الى المُراحِ * على كاهلِ المِراحِ * قالَ قد أزمعتُ أن لا أزوّدكَ بتاتًا * ولا أجمعَ لكَ شتاتًا * او تُنشِئَ أمامَ ارتحالِكَ * رسالةً تودِعُها شرحَ حالِكَ * حروفُ

او يفتدي عيش مضى * لغدته مهجتي الكريمه

فالموت خير للفتى * من عيشه عيش البهيمه

تقتاده برة الصغا * ر الى العظيمة والهضيمه

ويرى السباع تنوشها * ايدي الضباع المستضيمه

والذنب للايام لولا شومها لم تنب شيمه

ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نمى الى الوالي * فملأ فاه باللآلي * وسامه ان ينضوي الى احشائه * ويلي ديوان انشائه * فاحسبه الحباء * وظلفه عن الولاية الاباء * قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته * قبل ايناع ثمرته * وكدت انبه على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى الي بايماض جفنه * ان لا اجرد عضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخرج * وفصل فائزا بالفلج * شيعته قاضيا حق الرعاية * ولاحيا له على رفض الولاية * فاعرض متبسما * وانشد مترنما *

نظم

لجوب البلاد مع المتربه * احب الي من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة * ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع * ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السرا * ب ولا تأت امرا اذا ما اشتبه

وعمهم قشف * وهو في دمع يجيب * وولهٍ يذيب * وهم تضيف * وكمدٍ نيف * لمأمولٍ خيّب * وإهمالٍ شيّب * وعدوٍّ نيّب * وهدوٍّ تغيّب * ولم يزغ ودّه فيغضب * ولا خبث عوده فيقضب * ولا نفث صدره فينغض * ولا نشز وصله فيبغض * وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فيبيض أمله بتخفيف ألمه * يفت حمدك بين عالمه * بقيت لإماطة شجب * وإعطاء نشب * ومداواة شجنٍ * ومراعاة يفنٍ * موصولاً بخفض * وسرورٍ غض * ما غشي معهد غني * أو خشي وهم غبي * والسلام * فلما فرغ من إملاء رسالته * وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته * أرضته الجماعة فعلاً وقولاً * وأوسعته حفاوة وطولاً * ثم سئل من أي الشعوب نجاره * وفي أي الشعاب وجاره * فقال

نظم

غسان أسرتي الصميمة * وسروج تربتي القديمة

والبيت مثل الشمس إشـ ـراقاً ومنـزله جسيمة

والربع كالفردوس * مطيبة ومنـزهة وقيمة

واها لعيش كان لي * فيها ولذات عميمة

أيام أسحب مطرفي * في روضها ماضي العزيمة

أختال في برد الشبا * ب وأجتلي النعم الوسيمة

لا أتقي نوب الزما * ن ولا حوادثه الملمة

فلو ان كرباً متلف * لتلفت من كربي المقيمة

وكم اَخْطِرُ في بالٍ * ولا اَخْطُرُ في بالٍ

فليتَ الدَّهرَ لمَّا جارَ اَطفى لِيَ اَطفالي

فلولا اَنَّ اَشبالِيَ اَغلالِيْ واَغلالي

لَما جَهَّزتُ آمالِيْ * الى آلٍ ولا وَالٍ

ولا جَرَّرتُ اَذيالِي * على مَسْحَبِ اِذْلالِي

فمِحْرابِيَ اَحْرى بِي * وَاَسْمالِيَ اَسْمى لِي

فهل حُرٌّ يَرى اِتخفيفَ اَثقالِيْ بمِثقالٍ

ويُطْفِي حَرَّ بَلْبالِيْ * بِسِرْبالٍ وسِرْوالٍ

قال الحارث بن همام فلمَّا استعرضتُ حُلَّةَ الابيات تقتُ الى معرفة مُلْحِمِها * ورا قم عَلَمها * فناجاني الفِكْرُ بانَّ الوُصلةَ اليه العجوزُ * وافتاني بانَّ حُلْوانَ الْمعرِفِ يجوزُ * فرصدتُها وهي تستقري الصفوفَ صفًّا صفًّا * وتستوكِفُ الاكُفَّ كفًّا كفًّا * وما اِنْ يُنْجِحُ لها عَناءٌ * ولا يَرشَحُ على يدِها اِناءٌ * فلمَّا اَكدى استعطافُها * وكَدَّها مَطافُها * عادتْ بالاسترجاع * ومالت الى ارتجاع الرِّقاع * وانساها الشَّيطانُ ذِكْرَ رُقعتي * فلم تَعُجْ الى بُقعتي * وآبتْ الى الشيخ باكيةً للحِرمان * شاكيةً تحامُلَ الزَّمان * فقال اِنَّا لله * واُفوِّضُ اَمري الى اللّه * ولا حولَ ولا قُوَّةَ الَّا باللّه * وانشد

نظم

لم يَبْقَ صافٍ ولا مُصافٍ * ولا مَعِينٌ ولا مُعِينٌ

وكم حالمٍ سرّه حلمه * وأدركه الروع لمّا انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد * وقد شمت برق عيد * فكرهت الرحلة من تلك المدينة * أو أشهد بها يوم الزينة * فلمّا أظلّ بفرضه ونفله * وأجلب بخيله ورجله * تبعت السنّة في لبس الجديد * وبرزت مع من برز للتعييد * وحين التأم جمع المصلّى وانتظم * وأخذ الزحام بالكظم * طلع شيخ في شملتين * محجوب المقلتين * وقد اعتضد شبه المخلاة * واستقاد لعجوز كالسعلاة * فوقف وقفة متهافت * وحيّا تحيّة خافت * ولمّا فرغ من دعائه * أجال خمسه في وعائه * فأبرز منه رقاعاً قد كتبن بألوان الأصباغ * في أوان الفراغ * فناولهنّ عجوزه الحيزبون * وأمرها أن تتوسّم الزبون * فمن آنست ندى يديه * ألقت ورقة منهنّ لديه * قال فأتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب *

نظم

لقد أصبحت موقوذاً * بأوجاعٍ وأوجالِ

وممنوّاً بمختالٍ * ومحتالٍ ومغتالِ

وخوّانٍ من الإخوا * ن قالٍ لي لإقلالي

وإعمالٍ من العمّا * لِ في تضليع أعمالي

فكم أصلى بأنذالٍ * وإمحالٍ وترحالي

وَيَدي زِمامُهُ * وظِلّي امامُهُ * والعجوزُ ثالثةُ الاَثافِي * وَالرَّقيبُ الّذي لا يَخفى عليه خافٍ * وَلمّا استخلصَ وُكنتي * وَاحضرتُهُ عُجالةَ مُكنتي * قالَ يا حارثُ * اَمَعَنا ثالثٌ * فقلتُ ليس الّا العَجوزُ * فقال ما دونها سِرٌّ محجوزٌ * ثم فتحَ كريمتَيْه * ورَأرأَ بنُو اُمتَيْه * فاذا سِراجا وَجْهِهِ يَقِدانِ * كانّهما الفَرقَدانِ * فابتهجتُ بِسَلامةِ بَصَرِهِ * وعَجِبْتُ من غرائبِ سِيَرِهِ * ولم يَلقِنِي قرارٌ * ولا طاوَعَني اصطبارٌ * حتى سألتُهُ ما دَعاكَ الى التّعامِي * مع سَيرِكَ في المَعامِي * وجَوبِكَ المَوامِي * وايغالِكَ في المَرامِي * فتظاهَرَ باللُّكْنة * وتشاغَلَ باللُّهْنة * حتى اذا قَضى وَطَرَهُ * اَتْأَرَ اليَّ نَظَرَهُ * وانشد *

نظم

ولَمّا تعامى الدَّهرُ وهوَ ابُو الوَرى * عن الرُّشدِ في اَنحائهِ ومَقاصدِهِ

تَعامَيْتُ حتى قِيلَ اِنّي اَخُو عَمىً * ولا غَرْوَ اَن يَحْذُو الفَتى حَذْوَ والدِهِ

ثم قال لي انهَضْ الى المِخدَعِ فأْتِني بغَسُولٍ يرُوقُ الطَّرْفَ * ويُنقّي الكَفَّ * ويُنعِمُ البَشَرةَ * ويُعطّرُ النَّكهَةَ * ويَشُدُّ اللِّثةَ * ويُقوِي المَعِدَةَ * وليَكُنْ نظيفَ الظَّرفِ * اَرِيجَ العَرْفِ * فتِيَّ الدَّقِ * ناعِمَ السَّحقِ * يَحسَبُهُ اللامِسُ ذَرُورًا * ويَحالُهُ النّاشِقُ كافورًا * واقرِنْ به خِلالةً نَقِيّةَ الاَصلِ * محبوبةَ الوَصْلِ * اَنيقةَ الشَّكلِ * مَدعاةً الى الاَكْلِ * لها نَحافةُ الصَّبِّ * وصِقالُ العَضْبِ * وآلةُ الحَرْبِ * ولَدُونةُ الغُصْنِ الرَّطْبِ * قال فنهضتُ كما اَمَرَ * لا دْرأَ عنهُ الغَمَرَ * ولم اَهِمْ اَنّهُ قصدَ اَن يَخدَعَ * بادخالي المِخدَعَ * ولا تَظَنّيتُ اَنّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسولِ * في استدعاءِ الخِلالةِ والغَسولِ * فلمّا عُدتُّ بالمُلتَمَسِ *

وفي المساوي بدا التساوي * فلا امينٌ ولا ثمينٌ

ثم قال لها امتني النفس وعديها * واجمعي الرقاع وعديها * فقالت لقد عددتها لما استعدتها * فوجدت يد الضياع * قد غالت احدى الرقاع * فقال تعساً لك يا لكاع * أتحرمين ويحك القنص والحبالة * والقبس والزبالة * إنها لضغث على إبالة * فانصاعت تنقص مدرجها * وتنشد مدرجها * فلما انتني قرنت بالرقعة * درهماً وقطعة * وقلت لها إن رغبت في المشوف المعلم * وأشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المبهم * وإن أبيت أن تشرحي * فخذي القطعة واسرحي * فمالت الى استخلاص البدر التم * والابلج الهم * وقالت دع جدالك * وسل عما بدا لك * فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته * والشعر وناسج بردته * فقالت إن الشيخ من أهل سروج * وهو الذي وشى الشعر المنسوج * ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * ومرقت مروق السهم الراشق * فخالج قلبي أن ابا زيد هو المشار اليه * وتأجج كربي لمصابه بناظريه * وآثرت أن أفاجيه وأناجيه * لأعجم عود فراستي فيه * وما كنت لأصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهي عنه في الشرع * وعفت ان يتأذى بي قوم * او يسري الي لوم * فسدكت بمكاني * وجعلت شخصه قيد عياني * الى ان انقضت الخطبة * وحقت الوثبة * فخففت اليه * وتوسمته على التعام جفنيه * فاذا المعيتي المعية ابن عباس * وفراستي فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصي * وآثرته بأحد قمصي * واهبت الى قرصي * فهش لمعارفتي وعرفاني * ولبى دعوة رغفاني * فانطلق

سوادَ العين * يُفشي الاحسانَ * ويُنشِىءُ الاستحسانَ * ويُغذِي الانسانَ * ويتحامى اللّسانَ * ان سُوِّدَ جادَ * وانْ وَسَمَ اَجادَ * واذا زُوِّدَ وهبَ الزّادَ * ومتى استُزِيدَ زادَ * لا يستقرُّ بمَغْنًى * وقلّما ينكِحُ الّا مَثْنَى * يَسْخُو بموجودِهِ * ويَسْمُو عند جُودِهِ * ويَنْقادُ مع قرينتِهِ * وانْ لم تكُنْ من طِينتِهِ * ويُستمتَعُ بزِينتِهِ * وان لم يُطْمَع في لِينتِهِ * فقالَ لهما القاضي اِمّا اَنْ تُبِينا * والّا فبِينا * فابْتَدَرَ الغلامُ وقالَ *

نظم

اَعارَني اِبْرةً لِاَرْفُوَ اَطْما * راً عَفاها البِلى وسوّدَها

فانخرمتْ في يدي على خَطَإٍ * مِنّي لَمّا جَذَبْتُ مِقْوَدَها

فلم يَرَ الشّيخُ اَن يُسامِحَني * بارْشِها اِذْ رَاَى تأوُّدَها

بل قالَ هاتِ اِبْرةً تُماثِلُها * او قِيمةً بعدَ اَنْ تُجوِّدَها

واعتاقَ مِيلِيْ رَهْناً لَدَيهِ وما * هَيْكَ بها صَفْقَةً تزوّدَها

فالعَيْنُ مَرْهِيٌّ لرهنِهِ ويدي * تقْصُرُ عن اَنْ تفُكَّ مِرْوَدَها

فاسْبُرْ بذا الشّرحِ غَوْرَ مَسكنتي * وارْثِ لِمَنْ لم يكُنْ تعوّدَها

نظم

فاَقْبَلَ القاضي على الشّيخِ وقالَ اِيهٍ * بغيرِ تمويهٍ * فقالَ *

اُقسِمُ بالمَشعرِ الحرامِ ومَنْ * ضَمَّ من النّاسكينَ خَيْفُ مِنًى

لوما عقتني الاَيّامُ لم تَرَني * مرتهِناً مِيلَهُ الّذي رَهَنا

ولا تَصَدَّيتُ اَبْتغي بَدَلاً * من اِبْرةٍ فالَها ولا ثَمَنا

في اقربَ من رَجعِ النفَس * وجدتُ الجوَّ قد خلا * والشيخُ والشيخةُ قد اجفلا * فاستشطتُّ من مكرهِ غضبا * واوغلتُ في اثرهِ طلبا * فكان كمن قُمِسَ في الماء * او عُرِجَ به الى عَنان السماء *

المقامة الثامنة المعرّية

اخبر الحارث بن همّام قال رأيتُ من اعاجيبِ الزمان * ان تقدّم خصمان * الى قاضي معرّة النعمان * احدهما قد ذهبَ منه الأطيبان * والآخرُ كانّه قضيبُ البان * فقال الشيخُ ايّد الله القاضي * كما ايّد به المتقاضيَ * انّه كانت لي مملوكةٌ رشيقةُ القدّ * اسيلةُ الخدّ * صبورٌ على الكدّ * تخُبُّ احيانًا كالنّهد * وترقدُ اطوارًا في المهد * وتجدُ في تمّوزَ مسَّ البرد * ذاتُ عقلٍ وعنانٍ * وحدٍّ وسنانٍ * وكفٍّ ببنانٍ * وفمٍ بلا اسنانٍ * تلدغُ بلسانٍ نضناضٍ * وترفُلُ في ذيلٍ فضفاضٍ * وتُجلَى في سوادٍ وبياضٍ * وتُسقَى ولكن من غيرِ حياضٍ * ناصحةٌ خدعةٌ * خُبَأةٌ طُلَعَةٌ * مطبوعةٌ على المنفعة * ومطواعةٌ في الضيقِ والسعة * اذا قطعتَ وصلتْ * ومتى فصلتَها عنك انفصلت * وطالما خدمتْك فجمّلتْ * وربّما جنتْ عليك فالمتْ وململتْ * وانّ هذا الفتى استخدمنيها لغرضٍ * فاخدمتُه ايّاها بلا عِوَضٍ * على ان يجتنيَ نفعها * ولا يكلّفها الّا وسعها * فاولجَ فيها متاعه * واطال بها استمتاعه * ثمّ اعادها وقد افضاها * وبذل عنها قيمةً لا ارضاها * فقال الحدثُ امّا الشيخُ فاصدقُ من القطا * وامّا الافضاءُ ففرطَ عن خطا * وقد رهنتُه * عن ارشِ ما اوهنتُه * مملوكًا لي مُتّنا سبَ الطرفين * منتسبًا الى القَين * نقيًّا من الدّرنِ والشّين * يقارن محلّه

واستنباطِ سِرِّهِمَا * فقال له نِحرِيرُ زُمرتهِ * وشَرارةُ جَمْرَتِهِ * انّه لن يتمّ استخراجُ خَبْأَهما * الّا بهما * فَقِفّا هما عَوْناً يرجعهما اليه * فلمّا مَثُلا بين يَدَيْه * قال لهما اصدُقانِي سِنّ بَكْرِكما * ولكما الأمانُ من تَبِعَةِ مَكرِكما * فَاحْجَمَ الحَدَثُ واستقالَ * واَقْدَمَ الشيخُ وقال *

نظم

انا السُّروجيُّ وهذا وَلَدِي * والشِبْلُ في المَخْبَرِ مِثْلُ الاَسَدِ

وما تَعَدَّتْ يدُه ولا يدي * في اِبْرةٍ يومًا ولا في مِرْوَدِ

وانَّما الدهرُ المُسِيْءُ المُعْتدِي * مالَ بنا حتّى غَدَوْنا نَجْتَدِي

كُلَّ نَدِي الرَّاحةِ عَذْبِ المَوْرِدِ * وكُلَّ جَعْدِ الكَفِّ مغلولِ اليدِ

بكُلِّ فَنٍّ وبكل مَقْصِدِ * بالجِدِّ انْ اَجدى والّا بالدَّدِ

لنجْلِبَ الرَّشْحَ الى الحَظِّ الصَّدِي * ونُنْفِدَ العمرَ بعَيْشٍ انْكَدِ

والموتُ من بعدُ لنا بالمَرْصَدِ * إن لم يُفاجِ اليومَ فاجِي في غَدِ

فقال له القاضي لِلّهِ دَرُّكَ فما اَعْذَبَ نَفَثاتِ فِيكَ * ووَاهًا لكَ لولا خِداعٌ فيكَ * واِنِّي لكَ لمن المُنْذِرِين * وعليكَ من الحَذِرِين * فلا تُماكِرْ بعدها الحاكِمِين * واتَّقِ سَطْوةَ المُتَحَكِّمِين * فما كُلُّ مُسَيطِرٍ يُقِيلُ * ولا كُلُّ اوانٍ يُسمَعُ القِيلُ * فعاهدهُ الشيخُ على اتِّباعِ مَشُورتِهِ * والارتداعِ عن تلبيسِ صورتهِ * ونَصَلَ عن جِهَتِهِ * والخَتْرُ يَلْمَعُ من جَبْهتِهِ *

قال الحارث بن همام فلم اَرَ اَعْجَبَ منها في تصاريفِ الاَسْفارِ * ولا قرأتُ مِثْلَها

لكنّ قوسَ الخُطوبِ ترشُقِنى * بمُصمِياتٍ من ها هُنا و هُنا

و خَبِّرُ حالِى كخُبْرِ حالتِهِ * ضُرّاً و بُؤْساً و غُرْبةً و ضَنى

قد عَدَلَ الدّهْرُ بيننا فأنا * نظيرُه فى الشّقاءِ وهو أنا

لا هو يستطيع فَكّ مِرْوَدِه * لمّا غدا فِي يَدَيَّ مُرتهَنا

ولا مجالى لضِيقِ ذاتِ يَدِى * فيهِ اتّساعٌ للعفوِ حين جَنى

فهٰذه قِصّتى و قِصّتُه * فانظُرْ إلينا و بيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قَصَصهما * وتبيّن خصاصتهما وخصَصهما * أبرز لهما دينارا من تحتِ مُصلّاه * وقال اقطعا به الخِصامَ وافصِلاه * فتلقّفه الشيخُ دون الحدَث * واستخلصه على وجهِ الجِدّ لا العَبث * وقال للحدَثِ نِصْفُه لى بسَهْمِ مَبرّتى * وسَهْمُك لي عن أرشِ إبرتى * ولستُ عن الحقّ أمِيلُ * فقُم وخُذِ المِيلَ * فعرى الحدَثَ * لِما حدَث * اكتيابٌ وجَم له قلبُ القاضي * وهيّج أسفه على الدينارِ الماضي * إلّا أنّه جبر بالَ الفتى وبلبالَه * بدُرَيهماتٍ رضَخ بها له * وقال لهما اجتَنِبا المعامَلاتِ * وادرَءا المخاصَماتِ * ولا تحضُرانى فى المحاكَماتِ * فما عِندي كِيسُ الغراماتِ * فنهضا من عندِه * فرِحَين برِفْدِه * مُفصِحَين بحَمْدِه * والقاضى ما يخبُو ضجَرُه * مُذ بَضّ حجَرُه * ولا ينْصُل كمَدُه * مذ رشَح جَلْمَدُه * حتى إذا أفاق من غَشْيِه * أقبلَ على غاشِيَته * وقال قد أُشرِبَ حِسّى * ونبّأنى حَدْسى * أنّهما صاحبا دَهاءٍ * لا خَصْما ادّعاءٍ * فكيف السبيلُ الى سَبْرِهما *

دُرّة الى دُرّة * فبا مهما ببدرةٍ * فافترّا بي بزخرفة محاله * وزوّجنيه قبل اختبار حاله *
فلما استخرجني من كناسي * ورحّلني من اناسي * ونقلني الى كسره * وحصّلني
تحت اسره * وجدته قعدة جثمة * والفيته ضجعة نومة * وكنت صحبته برياش وزيّ *
واثاث وريّ * فما برح يبيعه في سوق الهضم * ويتلف ثمنه في الخضم والقضم * الى ان
مزّق مالي باسره * وانفق مالي في عسره * فلما انساني طعم الراحة * وغادر بيتي انقى
من الراحة * قلت له يا هذا انّه لا مخبأ بعد بوس * ولا عطر بعد عروس * فانهض
للاكتساب بصناعتك * واجتني ثمرة براعتك * فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد *
لما ظهر في الارض من الفساد * ولي منه سلالة * كانّه خلالة * وكلانا ما ينال معه شبعة *
ولا ترقأ له من الطوى دمعة * وقد قدته اليك * واحضرته لديك * لتعجم عود دعواه *
وتحكم بيننا بما اراك الله * فاقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك *
فبرهن عن نفسك * والّا كشفت عن لبسك * وامرت بحبسك * فاطرق اطراق
الافعوان * ثم شمّر للحرب العوان * وقال * نظم

اسمع حديثي فانّه عجب * يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه * عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها * والاصل غسّان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحّر في العلم طلابي وحبّذا الطلب

في تَصانيف الأسْفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طَحابي مَرَحُ الشَّباب * وهَوَى الاكتساب * الى اَنْ جُبْتُ ما بينَ فَرْغانَة * وفَانَة * اَخُوضُ الغِمارَ * لاَجْنِيَ الثِّمارَ * واَقتحمُ الأخطارَ * لكي اُدرِكَ الأوطارَ * وكنتُ لَقِفتُ من افواهِ العلماء * وثَقِفتُ من وَصايا الحُكَماء * اَنَّه يَلزَم الاديبَ الاريبَ * اذا دخل البلَدَ الغريبَ * اَن يَستميلَ قاضِيَه * ويَستخلِصَ مَراضِيَه * ليشتدَّ ظَهْرُه عند الخِصام * ويأْمَنَ في الغُرْبة جَوْرَ الحُكَّام * فاتَّخذتُ هذا الأدَبَ اِماماً * وجعلتُه لمصالحي زِماماً * فما دَخلتُ مَدينةً * ولا وَلَجتُ عَرِينَةً * الّا وامتزَجْتُ بحاكِمِها امتزاجَ الماءِ بالرَّاح * وتَقوَّيتُ بعنايتِهِ تَقَوِّيَ الأَجْسادِ بالأَرْواح * فبينما انا عندَحاكِمِ الاِسْكَنْدَرِيّة * في عَشِيّةٍ عَرِيَّة * وقد اَحْضَرَ مالَ الصَّدَقات * ليقُضَّه على ذَوِي الفاقات * اذ دَخل شيخٌ عِفْرِيةٌ * تَعتِلُه امرأةٌ مُصْبِيَةٌ * فقالتْ اَيَّدَ اللّهُ القاضِيَ * واَدامَ به التَّراضِيَ * انّي امْرأةٌ من اكرمِ جُرثُومةٍ * واطهرِ اَرُومةٍ * واشرفِ خُؤُولةٍ وعُمومةٍ * مِيسَمِيَ الصَّوْنُ * وشِيمتِيَ الهَوْنُ * وخُلقِي نِعْمَ العَوْن * وبيني وبينَ جاراتي بَوْنٌ * وكان ابي اذا خَطَبني بُناةُ المَجْد * وأَرْبابُ الجَدّ * سَكّتَهم وبَكَّتَهم * وعافَ وُصْلَتَهم وصِلَتَهم * واحتجَّ بأنَّه عاهدَ اللّهَ تعالى بحَلْفةٍ * اَنْ لايُصاهِرَ غيرَذي حِرْفةٍ * فقَيَّضَ القَدَرُ لنَصَبي ووَصَبي * اَنْ حضَر هذا الخُدَعةُ نادِيَ ابي * فاَقسم بينَ رَهْطِه * اِنَّه وَفْقُ شَرْطِه * وادَّعى اَنَّه طالما نَظَم

لم اَرَ الّا جِهـا زَها مَرَضَا * اَجُولُ في بَيْعِه واَضْطرِبُ

فَجُلتُ فيه والنّفسُ كارِهةٌ * والعينُ عَبرىِ والقلبُ مُكتئِبُ

وَمَا تَجاوَزْتُ اذ عَبِثْتُ بهِ * حَدَّ التّراضِى فيحدُثَ الغضَبُ

فإن يكُنْ فاظَها توهّمُهـا * انّ بنانِىْ بالنّظْمِ تَكْتسِبُ

اوانّنِي اِذ عَزمْتُ خِطبتَهـا * زَخرفتُ قولِى لِيُنْجَحَ الأَرَبُ

فوالّذى سَارتِ الرّفاقُ الى * كَعبتهِ تَستحثّهـا النّجُبُ

ما المَكْرُ بالمُحصَنات من خُلُقي * ولا شِعارِى التّمْويهُ والكِذبُ

ولاَ يدِى مُذ نَشأتُ نِيطَ بها * الآمَواضِى اليَراعِ والكُتُبُ

بل فِكرتِى تَنْظِمُ القلائدَ لا * كَفّي وشَعْرِى المنظومُ لاَ السُّخَبُ

فهـذه الحِرفةُ المُشارُ الى * ما كنتُ اَحوِىْ بها واَجْتلِبُ

فَأْذَنْ لشَرْحِى كما اَذِنتَ لها * ولا تُراقِبْ وَاحكُمْ بما يَجِبُ

قال فلمّا اَحكَمَ ما شادَه * واَكْملَ اِنشادَه * عطفَ القاضى الى الفَتاةِ * بعد اَنْ شُغِفَ بالاَبيات * وقال اَمَا اِنّهُ قد ثَبت عند جميع الحُكّام * ووُلاةِ الاَحْكام * انقراضُ جِيلِ الكِرام * وَمَيْلُ الاَيّامِ الى اللِّئام * واِنّى لَاَخالُ بَعْلَكِ صَدُوقًا فى الكلام * بَرِيًّا من المَلام * وها هو قد اِعْترف لكِ بالقَرْض * وصَرّح عن المَحْض * وبَيّنَ مِصداقَ النَّظْمِ * وتبيّنَ اَنّه معروقُ العَظْم * واِعْناتُ المُعذِرِ مَلَامَةٌ * وحَبْسُ المُعسِرِ مَأْثَمةٌ * وكِتمانُ الفَقرِ زَهادةٌ *

وراسَ مالِيْ سِحْرُ الكلامِ لَذِي * مِنْه يُصاغُ القريضُ والخُطَبُ

أَغُوصُ في لُجّةِ البيانِ فَاخْــتارُ اللّآلِيْ منها وأَنْتَخِبُ

وَأَجْتني اليانِعَ الجَنيّ من الـعُقول وغيرِيْ للعُوْد مُحْتَطِبُ

وآخُذُ اللّفـظَ فِضّةً فإذا * ما صُغْتُه قيلَ إِنّه ذَهَبُ

وكنتُ من قبلُ أَمْتري نَشَبًا * بالأدبِ المُقْتنيْ واَحْتلِبُ

ويَمْتطِي أَخْمَصِي لِحُرْمتهِ * مَراتِبًا ليس فوقَها رُتَبُ

وطالَما زُفّتِ الصِّلاتُ الى * رَبْعِي فلم أَرْضَ كلَّ من يَهَبُ

فاليومَ مَنْ يَعْلَقُ الرَّجاءُ بِهِ * أَكْسَدُ شيءٍ في سُوقِهِ الأَدَبُ

لا عِرْضُ أَبْنائِهِ يُصانُ ولا * يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلٌّ ولا سَبَبُ

كأنّهـــم في عِراصِهم جِيَفٌ * يُبْعَدُ من نَتْنِها ويُجْتنَبُ

فحارَ لُبّيْ لِمـــا مُنِيتُ به * من اللّيالِيْ وصَرْفُها عَجَبُ

وضاقَ ذَرْعِي لِضِيْقِ ذاتِ يَدِيْ * وساوَرَتْني الهُمومُ والكُرَبُ

وقادَنِي دَهْرِي المُلِيمُ إلى * سُلوكِ ما يَسْتشِينُه الحَسَبُ

فبِعْتُ حتى لم يَبْــقَ لي لَبَدٌ * ولا بَتَـــاتٌ اليه أَنْقلِبُ

وادّنتُ حتى أَثْقلتُ سالِفَتي * بحَمْلِ دَيْنٍ من دُوْنِه العَطَبُ

ثمّ طَـــوَيتُ الحَشا على سَغَبٍ * خَمْسًا فلمّا أَمَضَّنِي السَّغَبُ

فضحِک القاضی حتی هَوَتْ دَنِیَّتُه * وَذَوَتْ سَکِینَتُه * قال فلمّا فاءَ الی الوَقار * وعقَّبَ الاستغرابَ بالاستغفار * قال اللّهمَّ بحُرمةِ عبادِکَ المقرَّبین * حَرِّمْ حَبْسِی علی المتأدّبین * ثمّ قال لذلک الامین علیَّ به * فانطلق مُجِدًّا فی طَلَبِه * ثمّ عادَ بعدَ لَأْیِه * مُخبِرًا بِنَأْیِه * فقال القاضی اَمَا اِنّه لو حَضَر * لکُفِیَ الحَذَرَ * ثمّ لَاَوْلَیتُه ما هو به اَوْلَی * ولَاَرَیْتُه اَنّ الآخرةَ خیرٌ له من الاُولی * قال الحارث بن همام فلمّا رأیتُ صَغْوَ القاضی الیه * وفَوْتَ ثَمَرةِ التنبیه علیه * غَشِیَتْنی نَدامةُ الفَرَزْدَق حین اَبَانَ النَّوارَ * او الکُسَعِیِّ لمّا استبانَ النَّهارُ *

المقامة العاشرة الرحبية

حکی الحارث بن همام قال هَتَفَ بی داعی الشّوقِ * الی رَحْبَةِ مالکِ بنِ طَوْق * فلبّیتُه مُمْتَطِیًا شِمِلَّةً * ومُنْتَضِیًا عَزْمَةً مُشْمَعِلَّةً * فلمّا اَلْقَیتُ بها المَراسِی * وشدَدتُّ اَمْراسِی * وبَرَزتُ من الحمّامِ بعدَ سَبْتِ رَاسِی * رأیتُ غلامًا اُفْرِغَ فی قالَبِ الجمال * واُلْبِسَ من الحُسْنِ حُلّةَ الکَمال * وقد اعْتَلَقَ شیخٌ برُدْنِه * یدّعِی اَنّه فتَکَ بابنِه * والغُلامُ یُنْکِرُ عِرْفَتَه * ویُکْبِرُ قِرْفَتَه * والخِصامُ بینهما مُتَطایِرُ الشِّرار * والزِّحامُ علیهما یَجْمَع بین الاَخْیار والاَشْرار * الی اَنْ تَراضَیا بعدَ اشتطاطِ اللَّدَد * بالتَّنافُرِ الی والی البَلَد * وکان ممّن یُزَنّ بالهَنات * ویُغَلِّبُ حُبَّ البَنِینَ علی البَنات * فاَسْرَعا الی نَدْوَتِه * کالسُّلَیْکِ فی عَدْوَتِه * فلمّا حَضَراه * جدَّدَ الشّیخُ دَعْواه * واستَدْعی عَدْواه * فاستَنْطَقَ

وانتظارُ الفَرَج بالصبرِ عِبادةٌ * فَارْجِعِي الى خِدْرِكِ * واَعْذِرِي اَبا عُذْرِكِ * ونَهْنِهِي من غَرْبِكِ * وسَلِّمِي لقَضاءِ رَبِّكِ * ثم اِنَّه فَرَضَ لهما في الصَّدَقاتِ حِصَّةً * وناوَلَهما من دراهِمِها قَبْضَةً * وقال لهما تَعَلَّلا بهذه العُلالة * وتَنَدَّيا بهذه البُلالة * واصْبِرا على كَيْدِ الزمان وكَدِّه * فعسى اللّهُ اَنْ ياتِيَ بالفتحِ او اَمْرٍ من عنده * فنَهَضا وللشيخ فَرْحَةُ المُطْلَقِ من الإِسار * وهِزَّةُ المُوْسِرِ بعدَ الاِعْسار * قال الرّاوي وكنتُ عَرَفتُ اَنَّه ابوزيد ساعةَ بَزَغَتْ شَمْسُه * ونَزَغَتْ عِرْسُه * وكِدتُّ اُفْصِحُ عن افتنانه * واِثْمارِ اَفنانه * ثم اَشْفَقْتُ من عُثورِ القاضي على بُهْتانه * وتزويقِ لسانه * فلا يَرى عند عِرْفانه * اَن يُرَشِّحَه لاحسانه * فاَحْجمتُ عن القولِ اِحجامَ المُرتاب * وطَوَيتُ ذِكْرَه كطَيِّ السِّجِلِّ للكِتاب * اِلاّ اَنِّي قلتُ بعد ما فَصَل * ووَصَل الى ما وَصَل * لواَنَّ لنا من يَنْطَلِقُ في اَثَرِه * لاَتانا بفَصِّ خَبَرِه * وما يَنشُرُ من حِبَرِه * فاَتبَعَه القاضي اَحَدَ اُمَنائِه * واَمَرَه بالتجسُّسِ من اَنبائِه * فما لَبِثَ اَن رَجَعَ مُتَدَهْدِهاً * وقَهْقَرَ مُقَهْقِهاً * فقال له القاضي مَهْيَمْ * يا ابا مَرْيَم * فقال لقد عايَنتُ عَجَباً * وسَمِعتُ ما اَنْشَأَلي طَرَباً * فقال له ماذا رَاَيتَ * وما الذي وَعَيتَ * قال لم يَزَلِ الشيخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بيَدَيْه * ويُخالِفُ بين رِجْلَيْه * ويُغَرِّدُ بمِلْءِ شِدْقَيْه * ويقول *

نظم

كِدْتُ اُصْلِى بَبِلِّيَة * من وَقاحِ شَمَّرِيَّة

واَزُوْرُ السِّجْنَ لو لا * حاكُمُ الاِسكنْدَرِيَّة

حبالةِ الشّيخ ثم يَقْتَنِصَه * فقال للشيخ هل لكَ فيما هو اَلْيقُ بالاَقْوى * واَقْربُ للتّقْوى *
فقال اِلَمَ تُشيرُ لاَقْتفِيه * ولا اَقِفَ فيه * قال اَرى اَنْ تُقْصِرَ من القِيْل والقال * وتَقْتَصِرَ
على مائة مِثْقال * لاَ تحمَّلَ منها بَعْضًا * واَ جْتنِيَ الباقيَ لكَ مُرْضًا * فقال الشّيخ مامِنّي
خلافٌ * فلاَ يكُنْ لَوَعْدِكَ اِخْلافٌ * فنَقَده الوالي عِشْرِين * ووَزّع علىَ وَ زَعتِه تكْمِلةَ
خَمْسِين * ورَقّ ثَوْبُ الاَصِيل * وانقطعَ لاَجْلِه صَوْبُ التّحصيل * فقال له خُذْ ما راجَ *
ودَ عِ اللّجاجَ * وعَلّيَ في غَدٍ ان اَتوَصّلَ * الى اَنْ يَنِضّ لكَ الباقي وَيَتحصّلَ * فقال
الشّيخُ اَفعلُ ذ اكَ على ان الازَمه لَيلتي * ويَرْعاهُ اِنْسانُ مُقْلتِي * حتّى اذ ا اَعْفى بعدَ
اِسْفارِ الصُّبْح * بما بَقِيَ من مال الصُّلْح * تَخلّصتْ قائِبةٌ من قُوْب * وبَرِئَ بَراءةَ
الذئب من دَمِ اِبْنِ يعقوب * فقال له الوالي ماَ اَراكَ سُمْتَ شَطَطاً * ولا رُمْتَ فَرَطاً *
قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ حُجَجَ الشيخ كالحُجَجِ السَّرُوْجِيّة * عَلِمتُ اَنّه عَلَمُ
السَّرُوجيّة * فلَبِثتُ الى اَنْ زَهَرتْ نُجومُ الظّلا م * وانتَثرتْ عُقودُ الزِحام * ثمّ قصدتُ
فِناءَ الوالي * فاذا الشيخُ للفَتى كالِيٌ * فنَشَدتُه اللّهَ اَهو ابوزيد * فقال اِيْ ومُحِلِّ
الصَّيْد * فقلتُ مَن هٰذا الغلامُ * الّذي هَفَتْ له الاَحْلامُ * فقال هو في النَّسَبِ فَرْخِي *
وفي المَكْسب فَخِّي * قلتُ فهلّا اكْتفيتَ بمَحاسِن فِطْرته * وكَفَيْتَ الوالِيَ الافتتانَ
بطُرّته * فقال لولم تُبرِزْ جَبْهتُه السِّيْنَ * لماَ اقْتَنَشْتُ الخَمْسِينَ * ثمَّ قال بِتِ اللّيلةَ عِنْدي
لنُطْفِئَ نارَ الجَوى * ونُدِيلَ الهَوى من النَّوى * فقد اَجْمعتُ على ان انْسَلَّ بسُحْرة *

الغلامُ وقد فَتَنَه بمَحاسِنِ غُرَّته * وطَرَّ عقلَه بتصفيفِ طُرَّتِهِ * فقال إنّها أفيكةُ أفّاكٍ *
على غيرِ سَفّاكٍ * وعَضِيهةُ مُحتالٍ * على من ليس بمُغتالٍ * فقال الوالي للشيخ إن شهد
لك عَدلانِ من المسلمِين * وإلّا فاستَوفِ منه اليمينَ * فقال الشيخُ إنّه جدّلَه خاسئاً *
وأفاحَ دَمَه خاليًا * فأنّى لي شاهِدٌ * ولم يكن ثَمّ مُشاهِدٌ * ولكنْ وَلِّنِي تلقيةَ اليمين *
ليبيّنَ لك أيصدُق أم يَمِين * فقال له أنتَ المالكُ * لذالك * مع وَجْدِك المتهالِك *
على ابنِك الهالِك * فقال الشيخُ للغلام قُل والّذي زيّن الجِباهَ بالطُّرَر * والعيونَ بالحَوَر *
والحواجِبَ بالبَلَج * والمباسِمَ بالفَلَج * والجُفونَ بالسَّقَم * والأنوفَ بالشَّمَم * والخُدودَ باللَّهَب *
والثُّغورَ بالشَّنَب * والبَنانَ بالتَّرَف * والخُصورَ بالهَيَف * إنّني ما قتلتُ ابنك سَهْوًا
ولا عَمدًا * ولا جعلتُ هامتَه لسيفي غِمدًا * وإلّا فرمَى اللهُ جَفني بالعَمَش * وخدّي
بالنَّمَش * وطُرّتي بالجَلَح * وطَلْعي بالبَلَح * ووَرْدي بالبَهار * ومِسكتي بالبُخار *
وبَدْري بالمُحاق * وفضّتي بالاحراق * وشُعاعي بالإظلام * ودَواتي بالأقلام * فقال
الغلامُ الاصطلاءَ بالبَليّة * ولا الإيلاءَ بهذه الأليّة * والانقيادَ للقَوَد * ولا الحَلِفَ بما
لم يَحلِف به أحد * وأبى الشيخُ إلّا تجريعَه اليمينَ التي اخترعها * وأمقَرَ له جُرَعَها * و
لم يَزَلِ التلاحي بينهما يَستَعِر * ومَحجّةُ التراضي تَعِر * والغلامُ في ضِمنِ تأبّيه * يَخلُب
الواليَ بتلوّيه * ويُطمِعُه في أن يُلبّيه * إلى أن رانَ هَواه على قلبه * وألَبَّ بلُبّه * وسَوّل له
الوَجْدُ الذي تيّمه * والطَّمَعُ الذي توهّمه * أن يُخلِّصَ الغلامَ ويَستخلِصَه * وأن يُنقِذَه من

فبلاءُ الفَتَى اِتِّباعُ هَوى النَّفْسِ وبَذْرُ الهَوى طُموحُ العَيْنِ

قالَ الرّاوي فمزّقتُ رقعتَه شَذرَ مَذرَ * ولم اُبَلِ اَعَذَلَ اَمْ عَذَرَ *

المقامة الحادية عشر الساوية

حدَّثَ الحارثُ بن همام قال آنستُ من قلبي القَساوةَ * حين حَلَلْتُ ساوَةَ * فأخذتُ بالخبرِ المأثُورِ * في مُداواتها بزيارةِ القُبورِ * فلمّا صِرْتُ الى مَحَلَّةِ الأَمواتِ * وكِفاتِ الرُّفاتِ * رَأيتُ جَمْعًا على قبرٍ يُحفَرُ * ومَجنوزٍ يُقبَرُ * فانحَزْتُ اليهم مُفكِّرًا في المآلِ * ومُتذَكِّرًا مَنْ دَرَجَ مِنَ الآلِ * فلمّا أَلحَدُوا الميْتَ * وفاتَ قولُ لَيْتَ * أَشْرَفَ شيخٌ من رُباوَةٍ * مُتخَصِّرٌ بِهِراوةٍ * وقد لَفَّعَ وجهَه بردائِه * ونكَّرَ شخصَه لِدهائِه * فقال لِمثلِ هٰذا فليعملِ العامِلون * فادَّكِروا أيُّها الغافِلون * وشَمِّروا أيُّها المُقصِّرون * وأَحسِنُوا النَّظَرَ أيُّها المُتبصِّرُون * ما لَكُم لا يَحزُنُكم دفنُ الأَتْرابِ * ولا يَهُولُكم هَيْلُ التُّرابِ * ولا تَعبأُونَ بِنَوازِلِ الأَحداثِ * ولا تَستعِدُّونَ لِنُزولِ الأَجداثِ * ولا تَستعبِرُونَ لعَيْنٍ تَدْمَعُ * ولا تَعتبِرُونَ بنَعيٍ يُسمَعُ * ولا تَرتاعُونَ لإلْفٍ يُفقَدُ * ولا تَلتاعُونَ لمَناحةٍ تُعقَدُ * يُشيِّعُ أحدُكُم نَعشَ المَيْتِ * وقَلبُه تِلْقاءَ البَيْتِ * ويَشهَدُ مُواراةَ نسيبِه * وفِكْرُه في استخلاصِ نصيبِه * ويُخلِّي بين وَدُودِه ودُودِه * ثمّ يَخلُو بِمِزْمارِه وعُودِه * طالما أَسِيتُم على انثلامِ الحَبّةِ * وتَناسَيتُم اخترامَ الأَحِبّةِ * واستكَنتُم لاعتراضِ العُسْرةِ * واستَهَنتم بانقراضِ الأُسْرةِ * وضَحِكتُم عندَ الدَّفنِ * ولا ضَحِككم ساعةَ الدَّفنِ وتبختَرتُم خَلْفَ الجَنائِزِ * ولا تَبختُرَكُم

وأصلي قلبَ الوالي نارَ حسرة * قال فقضيتُ الليلةَ معه في سَمَرٍ * آنق من حديقة زَهَر * وخميلةِ شَجَر * حتى اذا الألأُ الأُفُق ذنبُ السِرحان * وآن انبلاجُ الفجر وحان * ركب مَتْنَ الطريق * وأذاقَ الوالي عذابَ الحريق * وسلّم اليّ ساعةَ الفِراق * رُقعةً مُحكمةَ الإلصاق * وقال ادفعها الى الوالي اذا سُلب القَرارُ * وتحقّق منّا الفِرارُ * ففضضتُها فِعلَ المُتملّس * من مِثْل صحيفةِ المتلمّس * فاذا فيها مكتوبٌ *

نظم

قُلْ لِوالٍ غادَرْتُه بعدَ بَيْني * نادِمًا سادِمًا يعضّ اليدَيْن

سَلَبَ الشيخُ مالَه وفتاهُ * لُبّه فاصطلى لَظى حَسْرتَيْن

جادَ بالعَيْن حين أعمى هواهُ * عينَه فانثنى بلا عَيْنَيْن

خفّض الحزنَ يا مُعنّى فما يُجْدي طِلابُ الآثارِ من بعد عَيْن

ولئن جَلّ ما عراكَ كما جَلّ لدى المسلمين رُزْءُ الحُسين

فقدِ اعتضتَ منه فَهمًا وحزمًا * واللّبيبُ الأريبُ يَبغِي ذَيْنِ

فاعْصِ من بعدها المطامعَ واعلَمْ * أنّ صيدَ الظِّباءِ ليس بهَيْنِ

لا ولا كُلُّ طائرٍ يلِجُ الفخَّ ولو كان مُحْدقًا باللُّجَيْنِ

ولَكَم من سعى لِيَصطادَ فاصطِيدَ ولم يَلْقَ غيرَ خُفّي حُنَيْنِ

فتبَصّرْ ولا تَشِمْ كلَّ برقٍ * رُبّ برقٍ فيه صواعقُ حَيْنِ

واغْضُضِ الطَّرفَ تستَرِحْ من غَرامٍ * تكتسِي فيه ثوبَ ذُلٍّ وشَيْنِ

وإن أخفق مسعاك * تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش * من الأصفر تهتش

وإن مر بك النعش * تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر * وتعتاص وتزور

وتنقاد لمن غر * ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس * وتحتال على الفلس

وتنسى ظلمة الرمس * ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ * لما طاح بك اللحظ

ولا كنت إذا الوعظ * جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع * إذا عاينت لا جمع

يقي في عرصة الجمع * ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط * إلى اللحد وتنغط

وقد أسلمك الرهط * إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود * ليستأكله الدود

إلى أن ينخر العود * ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد * من العرض إذا اعتد

يوم قبض الجوائز * واعرضتم من تعديد النوادب * الى اعداد المآدب * ومن تحرق النواكل * الى التأنق فى المآكل * لا تبالون بمن هو بال * ولا تخطرون ذكر الموت ببال * حتى كأنكم قد علقتم من الحمام * بذمام * او حصلتم من الزمان * على امان * او وثقتم بسلامة الذات * او تحققتم مسالمة هادم اللذات * كلا ساء ما تتوهمون * ثم كلا سوف تعلمون * ثم انشد *

نظم

آيا من يدعي الفهم * الى كم يا اخا الوهم
تعبي الذنب والذم * وتخطي الخطأ الجم
اما بان لك العيب * اما انذرك الشيب
وما فى نصحه ريب * ولا سمعك قد صم
اما نادى بك الموت * اما اسمعك الصوت
اما تخشى من الفوت * فتحتاط وتهتم
فكم تسدر فى السهو * وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو * كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك * وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك * عيوبا شملها انضم
اذا اسخطت مولاك * فما تقلق من ذاک

ولا تستمع العذل * ونزّهها من الصمّ

وزوّد نفسك الخير * ودع ما يعقب الضير

وهيّئ مركب السير * وخف من لجّة اليمّ

بذا اوصيت يا صاح * وقد بحت كمن باح

فطوبى لفتى راح * بآدابي يأتمّ

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر * قد شدّ عليه جبائر الماكر لا الكسر * متعرضًا للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به اولئك الملأ * حتى اترع كمه وملأ * ثم انحدر من الربوة * جذلا بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت اليّ مستسلمًا * وواجهني مسلّمًا * فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه * ومينه * فقلت له *

شعر

الى كم يا ابا زيد * أفانينك في الكيد

لينحاش لك الصيد * ولا تعبأ بمن ذمّ

فاجاب من غير استحياء * ولا ارتياء * وقال * شعر

تبصّر ودع اللوم * وقل لي هل ترى اليوم

فتى لا يقمر القوم * متى ما دست تمّ

فقلت له بعدًا لك يا شيخ النار * وزاملة العار * فما مثلك في طلاوة علانيتك * وخبثة

صِراطٌ جَسْرُهُ مُدَّ * عَلَى النارِ لِمَن اَمّ

فكَم مِن مُرشِدٍ ضَلَّ * و مِنْ ذِی عِزَّةٍ ذَلَّ

و کَم من عالِم زَلَّ * وقال الخَطْبُ قد طَمّ

فبادِرْ ايّها الغُمْرُ * لِما يَحْلُوْ به المُرُّ

فقد کاد يَهِی العُمْرُ * و ما اَقْلعتَ عن ذَمّ

ولا تَرْكَنْ اِلَى الدَّهر * و اِنْ لانَ و اِنْ سَرّ

فَتُلْفى كَمَنِ اغْتَرّ * بأَفْعى تَنفُثُ السَّمّ

وخَفِّض من تَراقِيک * فاِنَّ المَوْتَ لاقِيک

و سارٍ في تَراقِيک * و ما يَنكُل اِنْ هَمّ

وجانِبْ صَعَرَ الخَدّ * اذا ساعدک الجَدّ

و زُمِّ اللَّفظَ اِنْ نَدَّ * فما اَسْعَدَ مَن زَمّ

و نَفِّسْ عن اَخِی البَثّ * و صَدِّقْه اذا نَثّ

و رُمِّ العَمَلَ الرَّثّ * فقد اَفْلَحَ من رَمّ

و رِشْ مَن رِيشُه انحَصّ * بما عَمَّ و ما خَصّ

و لا تأسَ على النَّقص * ولا تَحْرِص على اللَّمّ

وعادِ الخُلُقَ الرَّزل * وعَوِّدْ كَفَّک البَذْل

مِربكم * فسأُخْفِرُكم بما يَسُرُّ و رَوْ عَكم * ويَبْدُو طَوعكم * قال الراوي فاستطلعنا منه طِلْعَ الخُفارة * وأسنينا له الجِعالةَ من السِّفارة * فزعم أنها كلماتٌ لُقِّنَها في المنام * ليحترس بها من كيد الأنام * فجعل بعضنا يومض الى بعض * ويُقلِّب طَرْفيه بين لحظٍ وغضّ * وتبيّن له أنا استضعفنا الخبر * واستشعرنا الخَوَر * فقال ما لكم اتخذتم جِدّي عَبَثا * وجعلتم تِبري خَبَثا * ولطالما واللّه جُبْتُ مَخاوِفَ الاقطار * وولجتُ مَقاحِمَ الأخطار * فغَنِيتُ بها عن مُصاحبةِ خفيرٍ * واستصحاب جفيرٍ * ثم إنّي مانِفي ما رابكم * واستسِلّ الحَذَرَ الذي نابكم * بأن أُوافقكم في البَداوة * وأُرافقكم في السَّماوة * فإن صدقكم وعدي * فاجِدّوا واسعَدوا * وأسعِدوا جَدّي * وإن كذب بكم فمي * فمزّقوا أدمي * وأريقوا دمي * قال الحارث بن همام فأُلهِمنا تصديق رؤياه * وتحقيقَ ما رواه * فنزعنا عن مُجادلته * واستهمنا على مُعادلته * ونصمنا بقوله عُرى الرَّبائث * وألغينا اتّقاء العابث والعائث * ولمّا عكمت الرِّحال * وأزِفَ التَّرحال * استنزلنا كلماته الرّاقية * لنجعلها الواقية الباقية * فقال ليقرأ كلٌّ منكم أُمَّ القرآن * كلما أظلَّ المَلَوان * ثم ليقل بلسانٍ خاضعٍ * وصوتٍ خاشعٍ * اللّهمّ يا مُحيِيَ الرُّفات * ويا دافعَ الآفات * ويا واقِيَ المَخافات * ويا كريمَ المُكافاة * ويا موئلَ العُفاة * ويا وليَّ العفو والمُعافاة * صلّ على محمّدٍ خاتمِ أنبيائك * ومبلِّغِ أنبائك * وعلى مَصابيحِ أُسرته * ومَفاتيحِ نُصرته * وأعِذني اللّهمّ من نزغاتِ الشّياطين * ونزواتِ السّلاطين * وإعناتِ الباغين * ومُعاناةِ الطّاغين * ومُعاداةِ العادين * وعُدوانِ

بَيْتِك * الأَمثَلُ رَوْثٌ مُفَضَّضٌ * او كَنيفٌ مُبَيَّضٌ * ثم تَفَرَّقْنا فانطلقتُ ذاتَ اليمين *
وانطلقَ ذاتَ الشِمال * وَنا وحْتُ مَهَبَّ الجَنوب * وناوَحَ مَهَبَّ الشَّمال *

المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَخَصْتُ من العِراق الى الغُوطة * وانا ذو جُرْدٍ مربوطة *
وجِدَةٍ مغبوطة * يُلْهِيني خُلُوُّ الذَّرْعِ * ويَزْدهيني حُفولُ الضَّرْعِ * فلمّا بلَغتُها بعدَ شِقِّ
النَّفْس * وإنْضاءِ العَنْس * ألفيتُها كما تَصِفُها الألْسُنُ * وفيها ما تشتهي الأنفُس وتَلَذُّ الأعْيُنُ *
فشَكَرتُ يَدَ النَّوى * وجَرَيتُ طَلَقًا مع الهَوى * وطَفِقْتُ أَفُضُّ بها خُتومَ الشَّهَوات *
وأجْتَني قُطوفَ اللَّذّات * الى أن شَرَعَ سَفْرٌ في الإعْراق * وقد استَفَقْتُ من الإغْراق *
فعادَني عِيدٌ من تَذْكارِ الوَطَن * والحَنينِ الى العَطَن * فقوَّضتُ خِيامَ الغَيْبة *
وأسْرَجتُ جَوادَ الأوْبة * ولمّا تأهّبتِ الرِفاقُ * واستتَبَّ الاتِّفاقُ * أزْحَنا من المَسيرِ * دونَ
استِصحابِ الخَفيرِ * فرُدْناه من كُلِّ قَبيلةٍ * وأعْمَلْنا في تحصيلهِ ألْفَ حِيلةٍ * فأعوَزَ وِجدانُه
في الأحْياء * حتّى خِلْنا أنّه ليس من الأحْياء * فحارَتْ لِعَوَزِه عَزومُ السَّيّارة * وانتَدَوْا بباب
جَيْرونَ للاستِشارة * فما زالوا بين عَقْدٍ وحَلٍّ * وشَزْرٍ وسَحْلٍ * الى أن نَفِدَ التَّناجي * وقَنِطَ
الرّاجي * وكان حِذَتَهم شخصٌ مِيسَمُه مِيسَمُ الشُّبّان * ولَبوسُه لَبوسُ الرُّهْبان * وبيَدِه سُبْحَةُ
النِّسوان * وفي عَينَيه تَرْجَمةُ النَشوان * وقد قيَّد لَحْظَه بالجَمع * وأرهَفَ أذُنَه لاستِراقِ
السَمع * فلمّا آنَ انكِفاؤُهم * وقد بَرِحَ له خَفاؤُهم * قال لهم يا قومِ ليُفْرِخْ كَرْبُكم * وليأمَنْ

بالدّعوات لا بالعُداة * ونَحمي الحُمولات بالكلمات لا بالكُماة * وصاحِبُنا يتعهّدنا بالعشيّ والغَداة * ولا يَستنجز مِنّا العِدات * حتّى اذا ما يَنّا اَطلالَ عانةَ * قال لنا الاِعانةَ الاِعانة * فاَحضرناهُ المعلومَ * والمكتوَم * واَرَيناه المعكومَ * والمختومَ * وقلنا له اقضِ ما انت قاضٍ * فما تَجد فينا غيرَ راضٍ * فما استخفّه سوى الخفّ والزَّين * ولا حَاي يَعينه غيرُ العَين * فاحتَمَلَ منهما وِقرَه * وناءَ بما يَسُدّ به فقَرَه * ثمّ خالَسَنا مُخالسةَ الطَّرار * وانصَلَتَ مِنّا انصلاتَ الفَرّار * فاَوحَشَنا فِراقُه * واَدهشَنا انمراقُه * ولم نَزَل نَنشُده بكلّ نادٍ * ونَستخبِر عنه كُلَّ مُغوٍ وهادٍ * الى اَن قيلَ انّه مُذ دَخَل عانةَ * ما زايَلَ الحانةَ * فاَغراني خُبثُ هٰذا القولِ بسَبكِه * والانسلاكِ فيما لَستُ مِن سِلكِه * فادّلجتُ الى الدَّسكرة * في هَيئةٍ مُنكَرة * فاذا الشيخُ في حُلّةٍ مُمَصَّرةٍ * بين دِنانٍ ومِعصَرةٍ * وَحولَه سُقاةٌ تَبهَر * وشُموعٌ تَزهَر * وآسٌ وعَبهَر * ومِزمارٌ ومِزهَر * وهو تارةً يَستبزِلُ الدِّنانَ * وطَوراً يَستنطِق العِيدانَ * ودَفعةً يَستنشِقُ الرَّيحانَ * واُخرى يُغازِل الغِزلانَ * فلمّا عثَرتُ على لَبسه * وتفاوتِ يومه من اَمسِه * قلتُ له اَولى لكَ يا ملعونُ * آاُنسيتَ يومَ جَيرونَ * فضَحِكَ مُستغرِباً * ثمّ اَنشدَ مُطرِباً *

نظم

لَزِمتُ السِّفارَ * وجُبتُ القِفارَ * وعِفتُ النِّفارَ * لِاَجنِيَ الفَرَح

وخُضتُ السُّيولَ * ورُضتُ الخُيولَ * لِجَرِّ ذُيولِ * الصِّبا والمَرَح

ومِطتُ الوَقارَ * وبِعتُ العَقارَ * لِحَسوِ العُقارِ * ورَشفِ القَدَح

المعادين * وغلب الغالبين * وسلب السالبين * وحيل المحتالين * وغيل المغتالين * واجرني اللهمّ من جور المجاورين * ومجاورة الجائرين * وكفّ عنّي اكفّ الضائمين * واخرجني من ظلمات الظالمين * وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين * اللهمّ حطني في تربتي * وغربتي * وغيبتي * واوبتي * ونجعتي * ورجعتي * وتصرّفي ومنصرفي * وتقلّبي * ومنقلبي * واحفظني في نفسي * ونفائسي * وعرضي * وعرضي * ومددي * وعددي * وسكني * ومسكني * وحولي * وحالي * ومآلي ومآلي * ولا تلحق بي تغييرًا * ولا تسلط عليّ مغيرًا * واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا * اللهمّ احرسني بعينك وعونك * واخصصني بامنك ومنّك * وتولّني باختيارك وخيرك * ولا تكلني الى كلاءة غيرك * وهب لي عافية غير عافية * وارزقني رفاهية غير واهية * واكفني مخاشي اللأواء * واكنفني بغواشي الآلاء * ولا تظفر بي اظفار الاعداء * انك سميع الدعاء * ثمّ اطرق لا يدير لحظًا * ولا يحير لفظًا * حتّى قلنا قد ابلسته خشية * او اخرسته غشية * ثمّ اقنع راسه * وصعّد انفاسه * وقال اقسم بالسماء ذات الابراج * والارض ذات الفجاج * والماء الثجّاج * والسراج الوهّاج * والبحر العجّاج * والهواء والعجاج * انّها لمن ايمن العوذ * واغنى عنكم من لابسي الخوذ * من درسها عند ابتسام الفلق * لم يشفق من خطب الى الشفق * ومن ناجى بها طليعة الغسق * امن ليلته من السرق * قال الراوي فتلقّناها * حتّى اتقنّاها * وتدارسناها * لكي لا ننساها * ثم سرنا نزجي الحمولات

فقلتُ له بَخٍ بَخٍ لروايتك * وأُفٍّ وتُفٍّ لغوايتك * فبالله من أيّ الأعياص مِيصُك * فقد أعضلني عويصُك * فقال ما أُحبّ أن أُفصح عنّي * ولكنّي سأكني *

نظم

أنا أُطروفةُ الزمانِ وأُعجوبةُ الأمم * وأنا الحُوَّلُ الّذي احتالَ في العُرْبِ والعجم

غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ هاضهُ الدهرُ واهتضم * وأبو صبيةٍ بدَوْا مثلَ لحمٍ على وَضَم

وأخو العيلةِ المُعِيلُ * إذا احتالَ لم يُلَمْ

قال الراوي فعرفتُ حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرَّيبِ والعيب * ومُسوِّدُ وجهِ الشَّيب * وساءني عِظَمُ تمرُّدِه * وقُبحُ تورُّدِه * فقلتُ له بلسانِ الأنَفة * وإدلالِ المعرفة * ألم يأنِ لك يا شيخنا * أن تُقلعَ عن الخنا * فتضجَّر * وزمجر * وتنكَّر * وفكَّر * ثم قال إنّها ليلةُ مِراحٍ * لا تلاحٍ * ونهزةُ شُربِ راحٍ * لا كفاح * فعدِّ عمّا بدا * إلى أن نتلاقى غدا * ففارقتُه فَرَقًا من عربدته * لا تعلّقًا بعِدَته * وبتُّ ليلتي لابسًا حِدادَ النَّدم * على نقلي خطا القَدم * إلى ابنةِ الكَرْم * لا الكَرَم * وعاهدتُ الله سبحانه أن لا أحضرَ بعدها حانةَ نبّاذ * ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداذ * ولا أشهدَ معصرةَ الشراب * ولو رُدَّ عليَّ عصرُ الشباب * ثم إنّنا رحلنا العِيسَ * وقتَ التغليس * وخلّينا بين الشيخين أبي زيدٍ وإبليس *

المقامة الثالثة عشر البغدادية

روى الحارث بن همّام قال ندوتُ بضواحي الزوراءِ * مع مشيخةٍ من الشعراء * لا يَعْلَقُ لهم مُبارٍ بغُبارٍ * ولا يجري معهم مُمارٍ في مِضمارٍ * فأفضنا في حديثٍ يَفضَحُ الأزهارَ *

ولولا الطِّماحُ * الى شُرْبِ راح * لَما كانَ باحَ * فمي بالمُلَح
ولا كانَ ساقَ * دَهاريِ الرِّفاقَ * لأرضِ العِراق * بحَملي السَبَح
فلا تَغضَبَنَّ * ولا تَصخَبَنَّ * ولا تَعتَبَنَّ * فَعُذْرِي وَضَح
ولا تَعْجَبَنَّ * بشيخٍ أبَنَّ * بِمَغنى أغَنَّ * ودَنٍّ طفَح
فإنَّ المُدامَ * تُقوّي العِظامَ * وتَشفِي السَّقام * وتَنفِي التَّرَح
وأصفَى السُّرورَ * اذا ما الوُقُورُ * أماطَ سُتُورَ * الحَياوَاطَّرَح
وأحلَى الغَرامَ * إذا المُستَهامُ * أزالَ اكتتامَ * الهَوى وافتَضَح
فبُحْ بِهَواك * وبَرِّدْ حَشاك * فزَنْدُ أساك * به قد قَدَح
وداوِ الكُلومَ * وسَلِّ الهمومَ * بِبِنْتِ الكُرومِ * الّتي تُقتَرَح
وخُصِّ الغَبوقَ * بساقٍ يَسُوقُ * بلاءَ المَشُوقِ * إذا ما طَمَح
وشادٍ يُشيدُ * بصوتٍ يَميدُ * جِبالَ الحَديدِ * لهُ إنْ صَدَح
وعاصِ النَّصيحَ * الذي لا يُبيح * وِصالَ المَليحِ * اذا ما سَمَح
وجُلْ في المَجالِ * ولو بالمُحالِ * ودَعْ ما يُقالُ * وخُذْ ما صَلَح
وفارِقْ أباكَ * اذا ما أباكَ * ومُدَّ الشِّباكَ * وصِدْ مَن سَنَح
وصافِ الخَليلَ * ونافِ البَخيلَ * وأوْلِ الجَميلَ * ووالِ المِنَح
ولُذْ بالمَتابِ * أمامَ الذَّهابِ * فمَنْ دَقَّ بابَ * كريمٍ فَتَح

بمواساتِک * فقالت لا رِينكم اولاً شِعاري * ثم لا رِوِينكم اشعارِی * فا برزت رُدنَ دِرعٍ دَرِيسٍ * وبرزت برزة عجوز دَردَبيسٍ * وانشأت تقولُ *

نظم

اَشكُوا الی اللهِ اشتکاءَ المريض * جَوْرَ الزمانِ المُتعدِی البغيض

يا قومِ انِّی من اُناسٍ فَنُوا * دَهْراً وجَفْنُ الدَّهرِ عنهم غَضِيض

فخارُهم ليس لهُ دافِعٌ * وصِيتُهم بين الوَرى مُستفِيض

كانوا اذا ما نُجعةٌ اَعوزَت * فی السَّنَةِ الشَّهباءِ رَوْضاً اَرِيض

تُشَبُّ للسّارِين نِيرانُهم * ويُطعِمون الضَّيفَ لَحْماً غَرِيض

ما بات جارٌ لهم ما غِبًا * ولا لرَوْعٍ قال حالَ الجَرِيض

فَغيَّضت منهم صروفُ الردی * بحارَ جُودٍ لم اَخَلْها تَغيض

واودعت منهم بُطونَ الثرى * اُسْدَ التَّحامِی واُساةَ المريض

فمَحمِلِی بعدَ المطايا المَطا * ومَوطنی بعدَ اليَفاعِ الحضيض

وافرُخِی ما تأتَلِی تَشتكِی * بُؤسًا لهُ فی كلِّ يومٍ وَمِيض

اذا دعا القانتُ فی ليلةٍ * مولاهُ نادَوهُ بدمعٍ يَفيض

يا رازقَ النَّعابِ فی عُشّهِ * ويا جابرَ العَظمِ الكسيرِ المَهِيض

اَتِحْ لنا اللهمَّ مَنْ عِرضُهُ * مِن دَنَسِ الذَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيض

يُطفِیءُ نارَ الجُوعِ عنّا ولَوْ * بِمَذقةٍ من جازِرٍ او مَخِيض

الى اَن نَصَّفنا النَّهارَ * فلمَّا غاضَ دَرُّ الأفكار * وصَبَتِ النفوسُ الى الأوكار * لَمحنا عَجُوزاً تُقبِل من البُعد * وتَحضِر احضارَ الجُرد * وقدِ استتلَت صِبيَةً انحفَ من المَغازِل * واَضعفَ من الجوازِل * فما كذبت اذ رأَتنا * اَن عَرَتنا * حتى اذا ما حَضَرتنا * قالت حَيَّا اللهُ المَعارِفَ * وانْ لم يكونوا مَعارِفَ * اِعلموا يا مآلَ الآمِل * وثِمالَ الأرامِل * اَنّي من سَرَواتِ القَبائِل * وسَرِيّاتِ العَقائِل * لم يَزل اَهلي وبَعلي يَحُلّون الصَّدرَ * ويَسيرون القَلبَ * ويُمطُون الظَّهر * ويُولُونَ اليَدَ * فلمَّا اَردى الدَّهرُ الاَعضادَ * وفَجَع بالجَوارِحِ الأكبادَ * وانقلَب ظَهراً لِبَطن * نَبا النَّاظِرُ * وجفا الحاجِبُ * وذَهبتِ العينُ وفُقِدَتِ الراحَةُ * وصَلَد الزَّند * ووَهَتِ اليمينُ * وبانَتِ المَرافِقُ * ولم يَبقَ لنا ثَنيَّةٌ ولا نابٌ * فمذ اغبرَّ العَيشُ الاخضرُ * وازوَرَّ المحبوبُ الاصفرُ * اسوَدَّ يومِيَ الابيضُ * وابيَضَّ فَودِي الأسودُ * حتّى رَثى لِيَ العدوُّ الأزرقُ * فحبَّذا الموتُ الاحمرُ * وتِلوِي مَن تَرَون عَينه فُرارُه * وتَرجمانُه اصفرارُه * قُصوى بُغيَةِ اَحَدِهم ثُردةٌ * وقُصاري مُنيتِه بُردةٌ * وكُنتُ آليتُ اَن لا اَبذُلَ الحُرَّ الّا للحُرّ * ولو اَنّي مُتُّ من الضُّرّ * وقد ناجَتني القَرُونةُ * بأن تُوجَدَ عندكم المَعُونةُ * وآذنَتني فِراسةُ الحَوباء * باَنّكم يَنابيعُ الحِباء * فنَضَّرَ اللهُ امرءً اَبَرَّ قَسَمي * وصَدَّق تَوَسُّمي * ونَظَرَ اِلَيَّ بعَينٍ يُقذِيها الجُمودُ * ويُقَذِّيها الجُودُ * قال الحارث بن همام فهِمنا لبَراعةِ عِبارتها * ومُلَحِ استعارتِها * وقُلنا لها قد فتَن كلامُكِ * فكيفَ إلمامُكِ * فقالت يُفجِّرُ الصَّخرَ * ولا فخرَ * فقُلنا اِن جَعَلتِنا من رُواتِكِ * لم نَبخَلْ

وكم برزتُ بعُرفٍ * عليه وبنُكرِ
أَصطادُ قوماً بوعظٍ * وآخرين بشِعرِ
وأستفِزُّ بخلٍّ عقلاً * وعقلاً بخمرِ
وتارةً انا صخرٌ * وتارةً أُختُ صخرِ
ولو سلكتُ سبيلاً * مألوفةً طُولَ عُمرِي
لخابَ قِدحِي وتِدحِي * ودامَ عُسرِي وخُسرِي
فقُل لِمَن لامَ هذا * عُذرِي فدونكَ عُذرِي

قال الحارث بن همّام فلمّا ظهرتُ على جليّةِ أمرِه * وبديعةِ أمرِه * وما زخرفَ في شِعرِه من عُذرِه * علمتُ انّ شيطانَه المَريدَ * لا يَسمعُ التفنيدَ * ولا يفعلُ الّا ما يُريدُ * فثنَيتُ الى أصحابي عِناني * وأبثثتُهم ما أثبتَه عِياني * فوجَموا لِضَيعةِ الجوائزِ * وتعاهَدوا على مُحرَمةِ العجائزِ *

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحارثُ بن همّام قال نهضتُ من مدينةِ السلام * لحِجّةِ الإسلام * فلمّا قضَيتُ بعونِ اللهِ التَّفَثَ * واستبحتُ الطِيبَ والرَّفَثَ * صادفَ موسمَ الخَيفِ * معمعانَ الصَّيفِ * فاستظهرتُ للضَّرورةِ * بما يَقِي حَرَّ الظَّهيرةِ * فبينما انا تحتَ طِرافٍ * مع رُفقةٍ ظِرافٍ * وقد حَمِيَ وطِيسُ الحَصباءِ * وأعشَى الهَجيرُ عينَ الحِرباءِ * اذ هجم علينا شيخٌ متسعسِعٌ *

فهل فتًى يَكشِف ما نابهم * ويغْنَمَ الشُّكرا لطّويلَ العريض

فوا لذّى تَعنُو النّواصِيْ لهُ * يومَ وُجوهُ الجمعِ سُوْدٌ وبيْض

لولا هُمُ لم تَبْدُ لى صَفحــةٌ * ولا تصدّيتُ لنَظْمِ القَرِيــضَ

قال الرّاوى فوَاللّٰهِ لقد صَدَعتْ بَابيا تِها اَعْشارَ القُلُوب * واستَخرجَتْ خَبايا الجُيوب * حتى ماحَها مَنْ دِينُه الامتياحُ * وارْتاحَ لرِفْدِها من لم نَخلْه يَرْتاحُ * فلمّا افعَوعمَ جَيبُها تِبْرًا * وَاَوْلاها كُلٌّ مِنّا بِرًّا * تولّتْ يَتلُوها الاَصاغِر * وفُوْها با لشُّكرفاغِر * فا شرأبّتِ الجماعة بعدَ مَمَرِّها * الى سَبْرِها * لتبلُوَموا قِعَ بِرِّها * فكَفَلْتُ لهم باستنبا طِ السِّرّالمرموز * و نَهضتُ اَقْفُــوا ثــرَ العَجــوز * حتّى انْتَهتْ الى سُــوْقٍ مُغتصَّةٍ بــالاَنا م * مُختصَّـــةٍ بالــزِّحا م * فا نغمَسَتْ فى الغُمـــا ر * واَمْلَستْ من الصِّبْيةِ الاَغما ر * ثم عَاجَتْ بخُلوِّ بالٍ * الى مُسْجِدٍ خالٍ * فاماطتِ الجِلبابَ * ونَضتِ النِّقابَ * وَاَنا اَلْمَحُها من خَصاصِ الباب * واَرْقُبُ ما ستُبْدِى من العُجاب * فلمّا انْسرَتْ اُهْبةُ الخَفَر * رأيتُ مُحيّا ابي زيدٍ قد سَفَر * فهَمَمْتُ باَنْ اَهْجُمَ عليهِ لاَعَنِّفَه على مااَجْرى اليه * فاسلَنْقَى اسلنقاءَ المُتمرِّدين * ثم رفَعَ عَقِيرةَ المُغرِّدين * واندفَعَ يُنْشِد *

نظم

يا لَيْتَ شِعْرِى اَدَهْرِى * اَحاطَ عِلماً بِقَدْرِى

وهل دَرى كُنْهَ غَوْرِى * فى الخَدْعِ اَمْ ليس يَدْرِى

وكَمْ قد قَمَرْتُ بَنِيــهِ * بحِيْلَتِـــى و بمَكْرى

فَزَفرَتِي فِي صُعُدٍ * وعَبْرَتِي فِي صَبَبِ

وأَنتمُ مُنتَجَعُ الرَّاجِي ومَرْمَى الطَّلَبِ

لُهاكُمُ مُنهَلَّةٌ * ولاَ انهِلاَلَ السُّحُبِ

وجارُكُمْ فِي حَرَمٍ * ووَفْرُكُمْ فِي حَرَبِ

ما لاذَ مُرتاعٌ بكُمْ * فخافَ نابَ النُّوَبِ

ولا استدرَّ آمِلٌ * حِباءَكُمْ فما حُبِي

فَانعَطِفُوا فِي قِصَّتِي * وأَحْسِنُوا مُنْقَلَبِي

فلو بَلَوْتُمْ عِيشَتِي * فِي مَطْعَمِي ومَشْرَبِي

لَساءَكُمْ ضُرِّي الَّذِي * أَسْلَمَنِي للكُرَبِ

ولو خَبَرْتُمْ حَسَبِي * ونَسَبِي ومَذْهَبِي

وما حَوَتْ مَعرِفَتِي * من العلومِ النُّخَبِ

لَمَا اعْتَرَتْكُمْ شُبْهَةٌ * فِي أَنَّ دائِي أَدَبِي

فليتَ أَنِّي لم أَكُنْ * أُرْضِعْتُ ثَدْيَ الأَدَبِ

فقد دَهانِي شُؤْمُهُ * وعَقَّنِي فيه أَبِي

فقلنا له أَمَّا أَنْتَ فقد صَرَّحَتْ أَبياتُك بفاقَتِك * وعَطَبِ ناقَتِك * وسنُعْطِيك ما يُوصِلُك إلى بَلَدِك * فما مأْرُبةُ وَلَدِك * فقال له قُمْ يا بُنَيَّ كما قامَ أَبوك * وفِه

يتلوه فتى مترعرع * فسلّم الشيخ تسليم اديب اريب * وحاور محاورة قريب لا غريب * فاعجبنا بما نثر من سمطه * وعجبنا من انبساطه قبل بسطه * وقلنا له من انت * وكيف ولجت وما استاذنت * فقال امّا انا فعاف * وطالب اسعاف * وسرّ ضرّي غير خاف * والنظر اليّ شفيع كاف * واما الانسياب الذي علق به الارتياب * فما هو بعجاب * اذ ما على الكرماء من حجاب * فسألناه انّى اهتدى الينا * وبم استدلّ علينا * فقال انّ للكرم نشرا تنمّ نفحاته * وترشد الى روضه فوحاته * فاستدللت بتأرّج عرفكم * على تبلّج عرفكم * وبشّرني تضوّع رندكم * بحسن المنقلب من عندكم * فاستخبرناه حينئذ من لبانته * لنكفل باعانته * فقال انّ لي مآربا * ولفتاي مطلبا * فقلنا كلا المرامين سيقضى * وكلا كما سوف يرضى * ولكنّ الكبرا الكبر * فقال اجل ومن دحا السبع الغبر * ثم وثب للمقال * كالمنشط من العقال * وانشد *

نظم

اِنّي امرؤٌ ابدعَ بي * بعد الوجى والتعب
وشقّتي شاسعةٌ * يقصر منها خببي
وما معي خردلةٌ * مطبوعةٌ من ذهب
فحيلتي منسدّةٌ * وحيرتي تلعب بي
ان ارتحلت راجلاً * خفت دوامي العطب
وان تخلّفت من الرّفقة ضاق مذهبي

وفيَّ أجرٌ ومُعْقبي * تنفيس كُربي حَميدَهْ

ولي نتائجُ فكرٍ * يفضحْنَ كلَّ قصيدَهْ

قال الحارث بن همّام فلمّا رأيْنا الشِّبْلَ يشْبِهُ الاسَدَ * ارْحلنْا الوالدَ وزوَّدْنا الوَلَدَ * فقابلا الصُّنْعَ بشكرٍ نشرا اردِيتَهُ * وادّيا به دِيتَهُ * ولمّا عزما على الانطلاق * وعقدا للرِّحلة حُبُك النِّطاق * قلتُ للشيخ هل ضاهَتْ عِدَتُنا عِدَةَ عُرْقوب * او بَقِيَتْ حاجةٌ في نَفْس يَعْقوبَ * فقال حاشَ اللّه وكلّا * بل جلّ معروفكم وجلّى * فقلتُ له فدنَّا كما دِنَّاك * وافدنا كما افدناك * اينَ الدُّوَيرةُ * فقد ملّكْتَنا فيك الحَيْرةُ * فتنفَّسَ تنفُّسَ من ادّكَرَ اوْطانَه * وانشد والشَّهيقُ يُلَعْثِمُ لسانَه *

نظم

سَرُوجُ داري ولكنْ * كيفَ السَّبيلُ اليها

وقد اناخَ الاعادي * بها واثْخَنوا عليها

فوَ الّتي سِرْتُ ابْغِي * حطَّ الذُّنوبِ لَدَيْها

ما راقَ طرْفي شيءٌ * مُذْ غِبْتُ عن طرَفَيْها

ثم اغرَورَقَتْ عيناهُ بالدُّموع * وآذنَتْ مَدامِعُه بالهُموع * فكرِهَ ان يستوكِفَها * ولم يَملِكْ ان يُكَفْكِفَها * فقطَعَ إنشادَه المُتَحلّي * واوْجَزَ في الوَداعِ وولّى *

المقامة الخامسة عشر الفرضية

اخبر الحارث بن همّام قال ارِقْتُ ذاتَ لَيلةٍ حالكةِ الجِلْباب * هامِيةِ الرَّباب *

بما فی نفیک لا فض فوک فنهض نهوض البطل للبراز * واصلت لساناً کالعضب الجراز * وانشد یقول *

نظم

یا سادة فی المعالی * لهم مبانٍ مشیدہ

ومن اذا ناب خطب * قاموا بدفع المکیدہ

ومن یهون علیهم * بذل الکنوز العتیدہ

ارید منکم شواء * وجردقاً وعصیدہ

فان علا فراق * فتواری الشهیدہ

اولم یکن ذا ولا ذا * فشبعة من ثریدہ

فان تعذرن طرا * فعجوة ونهیدہ

فاحضروا ما تسنی * ولو شظا من قدیدہ

وروح جوہ فنفسی * لما یروج مریدہ

والزاد لا بد منه * لرحلة لی بعیدہ

وانتم خیر رهط * یدعون عند الشدیدہ

ایدیکم کل یوم * لها ایادٍ جدیدہ

وراحکم واصلات * شمل الصلات المفیدہ

وبغیتی فی مطاوی * ما تر فدون زهیدہ

فقال يا ضعيفَ الثِقَة * بأهلِ المِقَةِ * عِدْ ممّا أخطرتَه ببالك * واستمِعْ إلىَّ لا أبا لك *
فقلتُ هاتِ * يا أخا التُرّهاتِ * فقال اِعلَمْ أنّي بِتُّ البارحةَ حليفَ إفلاسٍ * ونجيَّ
وَسواسٍ * فلمّا قضى الليلُ نحبَه * وغوَّرَ الصبحُ شُهُبَه * غدوتُ وقتَ الإشراق * الى بعضِ
الأسواق * مُتصدِّيًا لصيدٍ يَسنَحُ * او حُرٍّ يَسمَحُ * فلحظتُ بها تمرًا قد حَسُنَ تصفيفُه * وأُحسِنَ اليه
مَصيفُه * فجمعَ على التحقيق * صفاءَ الرحيق * وقُنوءَ العقيق * وقُبالتَه لِبأٌ قد برَزَ كالإبريزِ الاصفرِ *
وانجلى في اللونِ المُزعفَرِ * فهو يُثني على طاهيه * بلسانِ تَناهيه * ويُصوِّبُ رأيَ
مُشتريه * ولو نَقَدَ حبّةَ القلبِ فيه * فأسرتني الشهوةُ بأشطانها * وأسلمتني العَيمةُ
الى سُلطانها * فبقيتُ أحيَرَ من ضَبٍّ * وأذهلَ من صَبٍّ * لا وُجْدٌ يُوصِلُني الى نيلِ
المراد * ولذّةِ الازدراد * ولا قدمٌ تطاوِعُني على الذهاب * مع حُرقةِ الالتهاب * لكنْ
حدانِي القَرَمُ وسَورتُه * والسَغَبُ وفَورتُه * على أن أنتجعَ كلَّ أرضٍ * وأقتنعَ من
الوِرْدِ ببرضٍ * فلم أزلْ سحابةَ ذلك النهار * أُدلي دَلوي الى الأنهار * وهي لا ترجِعُ
ببِلّةٍ * ولا تجلُبُ نقعَ غُلّةٍ * الى أن صغتِ الشمسُ للغروبِ * وضعفتِ النفسُ من اللُغوب *
فرُحتُ بكبدٍ حرّى * وانثنيتُ أُقدِّمُ رِجلًا وأُؤخّرُ أُخرى * وبينما أنا أسعى وأقعُدُ * وأهُبُّ
وأركُدُ * اذ قابلني شيخٌ يتأوّهُ آهةَ الثكلان * وعيناه تهمِلان * فما شغلني ما أنا فيه من
داءِ الذِئب * والغَوى المُذيب * عن تعاطي مُداخلتِه * والطمعِ في مُخاتلتِه * فقلتُ
له يا هذا انّ لبكائك لسِرًّا * ووراءَ تحرُّقِك لشرًّا * فأطلِعْني على بُرَحائك * واتّخذني

ولا أرق صبٌّ طرد من الباب * ومُنِيَ بصدّ الأحباب * فلم تزل الأفكار يُهجن همّي * ويجلن في الوساوس فهمي * حتّى تمنّيت * لمضض ما عانيت * أن أرزق سميراً من الفضلاء * ليقصر طول ليلتي الليلاء * فما انقضت منيتي * ولا أغمضت مقلتي * حتّى قرع الباب قارع * له صوت خاشع * فقلت في نفسي لعلّ غرس التمنّي قد أثمر * وليل الحظ قد أقمر * فنهضت اليه عجلان * وقلت من الطارق الآن * فقال غريب أجنّه الليل * وغشيه السيل * ويبتغي الإيواء لا غير * وإذا أسحر قدّم السير * قال فلمّا دلّ شعاعه على شمسه * ونمّ عنوانه بسرّ طرسه * علمت أنّ مسامرته غنم * ومساهرته نعم * ففتحت الباب بابتسام * وقلت ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته * وبلّل القطر بردته * فحيّى بلسان عضب * وبيان عذب * ثمّ شكر على تلبية صوته * واعتذر من الطروق في غير وقته * فدانيته بالمصباح المتّقد * وتأمّلته تأمّل المنتقد * فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب * ولا رجم غيب * فأحللته محلّ من أظفرني بقصوى الطلب * ونقلني من وقذ الكرب * الى روح الطرب * ثم أخذ يشكو الأين * وأخذت في كيف وأين * فقال أبلغني ريقي * فقد أتعبني طريقي * فظننته مستبطئاً للسّغب * متكاسلاً لهذا السبب * فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجيء * في الليل الداجي * فانقبض انقباض المحتشم * وأعرض إعراض البشم * فسؤت ظنّاً بامتناعه * واحفظني حؤول طباعه * حتّى كدت أغلظ له في الكلام * وأسمعه بحمة الملام * فتبيّن من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

الى مَرْبعى * لتظفر بما تبتغى * وتنقلب كما ينبغى * قال فضينا حينئذ الى ذَراه * كما
حَكَمَ اللّٰهُ * فادخلنى بيتاً اَحرج من التابوت * واَوهن من بيت العنكبوت * الّا انه جبر
ضِيقَ رَبعه * بتوسعة ذرعه * فحكّمنى فى القِرى * واَطائِب ما يشترى * فقلت
اُريد اَزهى راكب على اَشهى مركوب * واَنفع صاحب مع اَضرّ مصحوب * فافكر
ساعةً طويلة * ثم قال لعلّك تعنى بنت نخيلة * مع لِبأ سُخيلة * فقلت اياهما عنيت *
ولاجلهما تعنّيت * فنهض نشيطاً * ثم ربض مستشيطاً * وقال اعلم اَصلحك اللّٰه اَن
الصِدق نباهة * والكذب عاهة * فلا يحملنّك الجوع الذى هو شعار الانبياء * وحلية
الاولياء * على ان تلحق بمن مان * وتتخلّق بالخُلق الذى يجانب الايمان * فقد
تجوع الحرّة * ولا تاكل بثدييها * وتابى الدنيّة * ولو اضطُرّت اليها * ثم انى لست لك
بزبون * ولا اُمضى على صفقة مغبون * وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك السّتر *
وينعقد بيننا الوتر * فلا تلغ تدبّر الانذار * وحذار من المكاذبة حذار * فقلت له والّذى
حرّم اكل الربو * واحلّ اكل اللبا * ما فهت بزور * ولا دلّيتك بغرور * وستخبر حقيقة
الامر * وتحمد بذل اللبا والتمر * فهشّ هشاشة المصدوق * وانطلق مغذّاً الى السّوق *
فما كان باسرع من ان اقبل بهما يذلح * ووجهه يكلح * فوضعهما لدىّ * ووضع المنّن
علىّ * وقال اضرب الجيش بالجيش * تحظ بلذّة العيش * قال فحسرت من ساعد
النّهم * وحملت حملة الفيل المغتلم * وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق * ويودّ من الغيظ

من نُصحائِک * فانّک ستجدُ مِنّي طَبًّا آسِیًا * او فَوْتًا مُواسِیًا * فقالَ واللهِ مَا تَأَوُّهي لعَیْشٍ فاتَ * و لا من دَهرٍ افتاتَ * بل لانقراضِ العلمِ ودُروسِه * واُفولِ اَقمارِه وشُموسه * فقلتُ واَیُّ حادثةٍ نَجَمتْ * وقضیّةٍ استَعجَمَتْ * حتّی هاجَتْ لک الاَسَی * علی فَقدِ مَن سَلَفَ * فَاَبرَزَ رُقعةً من کُمّه * واَقسَمَ بأبیه واُمّه * لقد اَنزلَها بأعلامِ المَدارس * فما امتازُوا عن الاَطلالِ الدَّوارِس * واستَنْطَقَ لها اَحبارَ المَحابِر * فخَرِسُوا ولاخَرَسَ سُکّانِ المَقابِر * فقلتُ اَرِنیها * فلَعلّي اُفتِي فیها * فقال ما اَبعَدتَ فی المَرام * فرُبَّ رَمیةٍ من غیرِ رام * ثم ناوَلَنیها * فاذا المکتوبُ فیها *

نظم

اَیُّها العالِمُ الفقیهُ الّذی فاقَ ذکاءً فما لَهُ من شَبیهِ

اَفتِنا فی قَضیّةٍ حادَ منها * کُلُّ قاضٍ وحارَ کُلُّ فقیهِ

رُجلٌ ماتَ مَن اَخٍ مُسلمٍ حُرٍّ تَقِیٍّ من اُمّهِ واَبیهِ

وله زَوجةٌ لها اَیُّها الحبرُ اَخٌ خالِصٌ بلا تَمویهِ

فحَوَتْ فرضَها وحازَ اَخوها * ما تبقّی بالاِرثِ دُونَ اَخیهِ

فاشفِنا بالجوابِ عَمّا سألنا * فهو نَصٌّ لا خَلفَ یُوجَدُ فیهِ

فلمّا قرأتُ شِعرَها * ولَمَحتُ سِرَّها * قلتُ له علی الخبیرِ بها سَقَطتَ * وعندَ ابنِ بَجدَتِها حَطَطتَ * الّا انّی مُضطرِمُ الاَحشاء * مُضطرٌّ الی العَشاء * فاکرِمْ مَثوایَ * ثُمّ استَمِع فَتوایَ * فقال لقد اَنصفتَ فی الاشتراط * وتَجافیتَ عن الاشتطاط * فصِرْ مَعِي *

الظَّلام * وصَبَّ الرَّعْدُ فی الغَمام * فقالَ اغرُبْ مافاکَ اللّٰهُ الیٰ حیثُ شِئْتَ * ولا تَطْمَعْ فِي اَنْ تَبِيْتَ * فقلتُ ولِمَ ذاک * مع خُلُوِّ ذراک * قال لِاَنِّی اَنْعمتُ النَّظَرَ فی النقامِک ماحَضَر * حَتّٰی لم تُبْقِ ولم تَذَر * فرأیتُکَ لا تَنْظُرُ في مَصْلحتِک * ولا تُراعِی حِفْظَ صِحَّتِک * ومن اَمْعَن فِیما اَمْعَنْتَ * وتَبَطَّنَ کما تَبطَّنْتَ * لم یَخْلُصْ من کِظَّةٍ مُدْنِفةٍ * او هَیْضةٍ مُتْلِفةٍ * فدَعْنِی باللّٰهِ کفافًا * واَخْرُجْ عَنِّي مَادُمتَ مُعافًا * فوالَّذِی یُحْیِی ویُمِیت * مالکَ عندِی مَبِیْت * فلمّا سَمِعتُ اَلِیَّتَه * وبَلَوتُ بَلِیَّتَه * خَرجتُ من بیتِه بالرَّغْم * وتزَوَّدِ الغَمّ * تَجُوْدُنِی السَّماءُ * وتَخْبِطُ بِیَ الظَّلْماءُ * وتَنْبَحُنِی الکِلابُ * وتَتَقاذَفُ بِیَ الاَبْوابُ * حتّٰی ساقَنِی الیکَ لُطْفُ القَضاء * فَشُکْرًا لِیَدِهِ البیْضاء * فقلتُ له اَحْبِبْ بلقائِکَ المُتاح * الیٰ قَلْبِیَ المُرْتاحِ * ثم اَخَذ یَفْتَنُّ فِي حِکایاتِه * ویُشْمِطُ مُضْحِکاتِه بمُبْکِیاتِه * الیٰ اَنْ عَطَسَ اَنْفُ الصَّباح * وهَتَفَ داعِی الفَلَاح * فتأَهَّبَ لِاِجابةِ الدّاعِي * ثم عَطَفَ الیٰ وداعِی * فَعُقْتُه من الانبعاث * وقلتُ الضِیافةُ ثَلٰث * وما حفَزَک احتِثاث * وان تَرَحَّلْتَ رِحْلَةَ خَرْقاءَ * نَغَّصتَ اللِّقاءَ * وسُؤْتَ الاَصْدِقاءَ * فناشَدَ وحَرَّجَ * ثم اَمَّ المَخْرجَ * وانْشَدَ اذعرَّجَ *

نظم

لا تَزُرْ من تُحِبّ في کُلِّ شَهْرٍ * غَیْرَ یومٍ ولا تَزِدْهُ علَیْهِ

فاجتلاءُ الهِلالِ فی الشَّهْرِ یَوْمٌ * ثم لا تَنْظُرُ العیونُ الیهِ

قال الحارثُ بن همّام فودَّعْتُه بقلبٍ دامی القُرْحِ * ووَددتُ لواَنَّ لیلتی بطیئةُ الصُّبْحِ *

لو اَخْتَنِقُ * حتی اذا اَهْلَقْمتُ النَّوعَین * وفادَرْتُهما اَثَراً بَعْــدَ عَین * اَفْرَدتُّ حِیْرةً فی اَطْلالِ الَبیات * وفِکْرةً فی جَوابِ الاَبْیات * فما لَبِثَ اَنْ قام * وَاَحْضرالدَّواةَ والاَقْلامَ * وقال قد مَلَأتُ الجِرابَ * فاَمْلِ الجوابَ * والا فتَهَیَّأْ اِن نَکلتَ * لاِ فتـرامِ ما اَکَلْتَ * فقلتُ له ما عندی الّا التَّحقیقُ * فاکتُبْ وباﷲِ التوفیق *

نظم

قُل لِمَن یُلغِزُ المَسائلَ اِنّی * کاشِفٌ سِرَّها الَّذی یُخفِیـهِ

اِنَّ ذا المَیِّتَ الَّذی قَدَّم الشَّرْعُ اَخا عِرْسِهِ علی ابْنِ اَبِیـهِ

رَجُلٌ زَوَّجَ ابنَه عن رِضاهُ * بِحَمـاةٍ لَــهُ ولا غَرْوَ فیـهِ

ثُمّ ماتَ ابنُه وقــد عَلِقَتْ مِنْــهُ فجاءَتْ باِبْنٍ له یُحکِیـهِ

فَهُوَ ابنُ ابْنِـهِ بغیرِ مِراءٍ * واَخُو عِرْسِـهِ بلا تمویـهِ

وابنُ الابنِ الصریحُ اَدْنی الی الجَدِّ واَوْلی بِاِرْثِهِ من اَخِیْـهِ

فلِذا حینَ ماتَ اُوْجِبَ لِلزَّوْجةِ ثُمنُ التراثِ تَسْتَوفِیْهِ

وحَوَی ابنُ ابْنِهِ الذی هُوَ فی الاَصْــلِ اخوها من اُمِّها باقِیْهِ

وتَخَلّی الاَخُ الشَّقیقُ من الاِرْثِ وقلنا یَکْفِیکَ اَنْ تَبکِیْهِ

هاکَ مِنِّی الفُتیا الَّتی یَحتَذِیْها * کُلُّ قاضٍ یَقْضِی وکُلُّ فقِیْهِ

قال فلما اَثبتَ الجوابَ * واسْتَثْبتَ منه الصَّوابَ * قال لی اَهْلَکَ واللَّیْلَ * فشَمِّرِ الذَّیلَ * وبادِرِ السَّیْلَ * فقلتُ اِنّی بِدارِ غُرْبةٍ * وفی اِیوائِی اَفضَلُ قُرْبةٍ * لاسِیَّما وقد اَغْدَفَ جِنْحُ

ساكبُ كاس * فتدا عينا الى ان نستنتج له الابكار * ونفترع منه الافكار * على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده * ثم تتدرج الزيادات من بعده * فيربع ذو ميمنته في نظمه * ويسبع صاحب ميسرته على زعمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف * وتألفنا الفة اصحاب الكهف * فابتدر لعظم محنتي * صاحب ميمنتي * وقال لم اخا ملّ * وقال ميامنه * كبّر رجاء اجر ربك * وقال الذي يليه * من يرب اذا بر ينم * وقال الآخر * سكت كل من نم لك تكس * وافضت النوبة الي * وقد تعين نظم السمط السباعي علي * فلم يزل فكري يصوغ ويكسر * ويثري ويعسر * وفي ضمن ذلك استطعم * فلا اجد من يطعم * الى ان ركد النسيم * وحصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى الداء العقام * فقالوا لو نزلت هذه بإياس * لامسك على ياس * وجعلنا نفيض في استصعابها * واستغلاق بابها * وذلك الزور المعتري * يلحظنا لحظ المزدري * ويؤلف الدر ونحن لا ندري * فلما عثر على افتضاحنا * ونضوب ضحضاحنا * قال ياقوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * والاستشفاء بالسقيم * وفوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل علي وقال ساوب مناك * واكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثر * ولا تعثر * فقل مخاطبا لمن ذم البخل * واكثر العذل * لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل * وان احببت ان تنظم * فقل للذي تعظم * نظم

أُسْ أَرْمَلاً اذا عرا * وَارْعَ اذا المرءُ اَسا

المقامة السادسة عشر المغربيه

حكى الحارث بن همّام قال شَهِدتُّ صلوةَ المَغرِب * في بَعض مَساجِدِ المَغرِب * فلمّا اَدَّيتُها بفَضلِها * وشفعتُها بنَفلِها * اَخَذَ طَرفي رُفقةً قد انتبَذوا ناحِيةً * وامتازُوا صَفوةً صافِيةً * وهم يتعاطَون كاْسَ المُنافثة * ويقتدِحون زِنادَ المُباحثة * فرغبتُ في مُحادَثتِهم لكلِمةٍ تُستفاد * واَدَبٍ يُستزاد * فسعَيتُ اليهم * سَعيَ المتطفّل عليهم * وقلتُ لهم اتقبلون نزيلاً يطلُب جَنَى الاَسمار * لاجَنِيَّ الثمار * ويبغي مُلَحَ الحِوار * لامَلحاءَ الحُوار * فحلّوا الحُبا * وقالوا مَرحَبا مَرحَبا * فلم اَجلِسْ الّا لَمحَةَ بارِقٍ خاطِف * اونَغبةَ طائِرٍ خائف * حتى غَشِينا جَوّابٌ على عاتِقِه جِراب * فحيّانا بالكلمتَين * وحيّى المَسجِدَ بالتَّسليمتَين * ثم قال يا اُولِي الاَلباب * والفَضلِ اللُّباب * اَما تعلَمون اَنّ اَنفَسَ القُرُبات * تنفيسُ الكُرُبات * وامتَنَ اَسبابِ النَجاة * مُواساةُ ذَوِي الحاجات * واِنّي ومَنْ اَحَلَّنِي ساحَتَكم * واَتاحَ لي استماحَتَكم * لَشرِيدُ مَحَلٍّ قاصٍ * وبَرِيدُ صِبيةٍ خِماص * فهل في الجَماعة * من يَفثأُ عنّا حُمَيّا المَجاعة * فقالوا له يا هذا اِنّكَ حضَرتَ بعدَ العِشاء * ولم يَبقَ الّا فُضَلاتُ العَشاء * فاِن كُنتَ بها قَنوعًا * فما تجِدُ فينا مَنوعًا * فقال اِنّ اَخا الشّدائِد * لَيقنَعُ بلُفاظاتِ المَوائِد * ونُفاضاتِ المَزاوِد * فامَرَ كلٌّ منهم عبدَه * اَن يَزوِّدَه ما عندَه * فاَعجبَه الصُّنعُ وشَكَر عليه * وجَلَس يَرقُب ما يُحمَلُ اليه * وثُبنا نحن الى استثارةِ مُلَحِ الاَدَب وعُيونِه * واستنباطِ مَعِينِه من عُيونِه * الى اَن جُلنا فيما لا يَستحِيلُ بالانعكاس * كقولك

فَاَتْلَعُوا اَنْحَوهُ الاَعْناقَ * واَحْدقُوا بِهِ الاَحْداقَ * وَسأَلُوهُ اَن يُسامِرَهم ليلتَهُ * علىٰ اَن يَجْبُرُوا عَيلَتَهُ * فقال حُبًّا لِما اَحببتم * ورُحْبًا بكم اذ رَحَّبتم * غيرَ اَنّي قصدتكم واَطفالي يتضوَّرون من الجُوع * ويَدْعُون لي بوَشْك الرُّجوع * واِن استأثرتموني خامَرَهم الطَّيش * ولم يَصْفُ لِيَ العَيْش * فدَعُوني لاَذهب فاَسُدَّ مَخمَصتَهم * واُسيغَ غُصَّتَهم * ثم اَنْقلِبُ اليكم على الاَثَر * مُتَاهِّبًا لِلسَّمَر * الى السَحَر * فقُلنا لِاَحَدِ الغِلْمةِ اتّبِعْهُ الى فِئَتِهِ * ليكونَ اَسْرَعَ لفَيْئَتِهِ * فانطلَقَ معه مُضْطَبِنًا جِرابَهُ * ومُحتَجِنًا اِيابَهُ * فاَبطَأَ بُطْأً جاوَزَ حَدَّهُ * ثم عادَ الغُلامُ وَحْدَهُ * فقلنا ما عندك من الحديث * عن الخبيث * قال اَخَذَبي في طُرُقٍ مُتْعِبةٍ * وسُبُلٍ مُتشَعِّبةٍ * حتى اَفْضَينا الى دُوَيرةٍ خَرِبةٍ * فقال هٰهُنا مُناخِي * ووَكْرُ اَفراخِي * ثم استفتَحَ بابَهُ * واختَلَجَ منّي جِرابَهُ * وقال لَعَمري لقد خَفَّفتَ عنّي * واستوجَبْتَ الحُسنى منّي * وهاكَ نصيحةً هي من نفائسِ النَّصائحِ * ومَغارِسِ المَصالِحِ * واَنْشَدَ *

نظم

اِذا ما حَوَيتَ جَنى نَخلةٍ * فلا تَقْرَبَنْها الى قابلِ

واِمّا سَقَطتَ على بَيْدَرٍ * فحَوصِلْ من السُّنْبُلِ الحاصِلِ

ولا تَلْبَثَنَّ اذا ما لَقَطتَّ * فتَنْشَبَ في كِفَّةِ الحابِلِ

ولا تُوغِلَنَّ اِذا ما سَبَحتَ * فاِنَّ السَّلامةَ في الساحِلِ

وخاطِبْ بهاتِ وجاوِبْ بسَوْفَ * وبِعْ آجِلاً منك بالعاجِلِ

أَسْنِدْ أَخا نَباهَةٍ * أَبِنْ إِخاءً دَنَسا
أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ * مُشاغِبٍ إِنْ جَلَسا
أَسِرْ إِذا هَبَّ مِرًا * وارْمِ بِهِ إِذا رَسا
أُسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسى * يُسْعِفُ وَقْتٌ نُكِسا

قال فلمّا سَحَرَنا بآبياتِه * وحَسَرنا بِبُعدِ غاياتِه * مَدَحناهُ حتّى استَعْفى * ومَنَحناهُ إلى آنِ استَكْفى * ثم شَمَّرَ ثيابَهُ * وازدَفَرَ جِرابَهُ * ونَهَضَ يُنْشِدُ *

نظم

لِلّهِ دَرُّ عِصابَةٍ * صُدُقِ المَقالِ مَقاوِلا
فاقُوا الأَنامَ فَضائِلًا * ما نُورَةً وفَواضِلا
حاوَرْتُهم فَوَجَدتُ سَحْبانًا لَدَيْهِم باقِلا
وحَلَلْتُ فيهم سائِلًا * فَلَقِيتُ جُودًا سائِلا
أَقسَمْتُ لو كانَ الكِرامُ حَيًا لَكانُوا وابِلا

ثُم خَطا قِيدَ رُمْحَيْنِ * وعادَ مُسْتَعيذًا مِن الحَيْنِ * وقال يا عِزَّ مَن عَدِمَ الآلَ * وكَنْزَ مَن سُلِبَ المالَ * إنّ الغاسِقَ قد وَقَبَ * ووَجْهَ المَحَجّةِ قد انْتَقَبَ * وبيني وبينَ كِنّي لَيلٌ دامِسٌ * وطريقٌ طامِسٌ * فهل من مِصباحٍ يُؤمِنُني العِثارَ * ويُبَيِّنُ لِيَ الآثارَ * قال فلما جِيءَ بالمُلْتَمَسِ * وجَلّى الوُجوهَ ضَوءُ القَبَسِ * رأيتُ صاحِبَ صَيْدِنا * هو أبو زيدنا * فقلتُ لأصحابي هذا الّذي أشرتُ إلى أنّه إذا نَطَقَ أصابَ * وإنِ استُمْطِرَ صابَ *

امن كلِّ مُعمَّى * ويُضْمِي في كُلِّ مَرْمى * الى ان خَلَتِ الجعاب * ونَفِدَ السُّؤالُ والجَوابُ * فلمّا رأى انفاضَ القَوم * واضطرارَهم الى الصَّوم * عَرَّضَ بالمُطارحة * واستأذنَ في المُفاتَحة * فقالوا حَبَّذا * ومَنْ لنا بِذا * فقال أتَعرِفون رسالةً ارْضُها سَماؤُها * وصُبْحُها مَساؤُها * نُسِجَت على مِنوالَين * وتَجَلَّت في لَونَين * وصَلَّت الى جِهَتَين * بَدَتْ ذاتَ وجهَين * ان بَزَغَتْ من مَشرِقِها * فناهيك برَونَقِها * وان طَلَعَتْ من مَغربِه * فيا لَعَجَبِها * قال فكأنَّ القومَ رُمُوا بالصُمات * او حَقَّتْ عليهم كلمةُ الانصات * فما نَبَسَ منهم انسانٌ * ولا فاهَ لأحَدِهم لِسانٌ * فحين رآهم بُكْماً كالأنعام * وصُموتاً كالأصنام * قال لهم قد أجَّلتُكم أجَلَ العِدَّة * وأرخَيتُ لكم طِوَلَ المُدَّة * ثم هٰهُنا مَجْمَعُ الشَمْل وموقِفُ الفَصْل * فان سَمَحَتْ خَواطِرُكم مَدَحْنا * وان صَلَدَتْ زِنادُكم قَدَحْنا * فواللّه واللّه ما لنا في لُجَّة هذا البَحْرِ مَسْبَحٌ * ولا في ساحِلِه مَسْرَحٌ * فأرِحْ أفكارَنا الكَدّ * وهَنِّئ العَطِيَّةَ بالنَقْد * واتَّخِذنا اخواناً يُثْبِتون اذا وَثَبْتَ * ويُثيبُون مَتى استَثَبْتَ أطرَقَ ساعةً * ثم قال سَمعاً لكم وطاعةً * فاستَمْلُوا مِنّي * وانقُلُوا عَنّي * الإنسانُ بَنيعةُ الإحسان * ورَبُّ الجميلِ فِعْلُ النَّدْب * وشِيمةُ الحُرِّ ذخيرةُ الحَمْد * وكَسْبُ الشُكرِ استثمارُ السَّعادة * وعُنوانُ الكَرَمِ تَباشيرُ البِشْر * واستعمالُ المُداراة * يُوجِبُ المُداناة * وعَقْدُ المَحبَّة يَقتضي النُّصْحَ * وصِدْقُ الحديثِ حِليةُ اللِّسان * وفَصاحةُ النُطقِ سِحْرُ الألباب * وشَرَكُ الهَوى آفةُ النُّفوس * ومَلَلُ الخَلائق *

ولا تُكثِرَنّ على صاحِب * ما مَلَّ قطُّ سِوى الواصِلِ

ثم قال اَجِزْ نها في تامُورِك * واقتَدْ بها في اُمورِك * وبادِرِ الى صَحْبِك * في كَلاءةِ رَبّك * فاذا بَلَغتَهم فابْلِغهم تحيّتي * واتلُ عليهم وَصِيّتي * وقُل لهم عني اِنّ السَّهَرَ في الخُرافات * لَمِن اَعظَمِ الآفات * ولَسْتُ اُلغِي احتراسي * ولا اَجْلُبُ الهَوَسَ الى راسي * قال الرّاوي فلمّا وَقَعنا فَحوى شِعْرِه * على نُكْرِه ومَكْرِه * تَلاوَمْنا على تركِه * والاغترارِ بِافْكِه * ثم تفرّقْنا بُوجوه باسرةٍ * وصَفْقةٍ خاسِرة *

المقامة السابعة عشر القهقرية

حدث الحارث بن همّام قال لَحَظْتُ في بعضِ مَطارحِ البَيْن * ومَطامِحِ العَيْن * فِتْيَةً عَليهم سِيْمى الحِجى * وطُلاوةُ نجُومِ الدُّجى * وهم في مُماراةٍ مُشْتَدَّةِ الهُبوب * ومُباراةٍ مُشتَطّةِ الاُلْهوب * فَهَزّني لقَصْدِهم هَوَا المُحاضَرة * واستحلاءُ جَنَى المُناظَرة * فلمّا التَحفْتُ برَهْطِهم * وانتَظَمْتُ في سِمْطِهم * قالوا آاَنْتَ مِمَّن يُبْلِي في الهَيْجاء * ويُلقِي دلْوَه في الدِّلاء * فقُلْتُ بل انا من نَظّارةِ الحَرْب * لا مِنْ اَبْناءِ الطَّعْنِ والضَرْب * فاَضْرَبوا من حِجاجِي * وافاضُوا في التَّحاجِي * وكان في بُحبُوحةِ حَلقتِهم * واِكْلِيلِ رُفقتِهم * شيخٌ قد بَرَتْه الهُمومُ * ولَوّحَتْه السَّمُومُ * حتى عادَ انحلَ من قَلَم * واَقْحَلَ من جَلَم * الّا اَنّه كان يُبْدِي العُجابَ * اذا اَجابَ * ويُنْسِي سَحْبانَ * كلّما اَبانَ * فاُعجِبْتُ بما اُوتِيَ من الاِصابة * والتّبريزِ على تلك العصابة * وما زالَ يُفصِحُ

فَمَنْ ساقها هذا المَساق * فلا مِراءَ ولا شِقاق * ومن رامَ عَكْسَ قالَبِها * وانَ يَرُدَّها على عَقبِها * فليَقُلِ الأسرار * عند الأحرار * وجَوْهَرُ الوفاء * يُنافي الجفاء * وقُبْحُ السُّمعة * يَنشُرُ الشُّنعة * ثم على هذا المَسْحَب فليَسْحَبْها * ولا يَرْهَبْها * حتى تكونَ خاتِمةُ فِقَرِها * وآخِرةُ دُرَرِها * ورَبُّ الإحسان * صَنيعةُ الانسان * قال الراوي فلمّا صَدَعَ بِرِسالتِهِ الفريدة * وأُملوحتِهِ المُفيدة * عَلِمنا كيفَ يَتفاضَلُ الإنشاءُ * وانَّ الفَضلَ بيدِ الله يُؤتيهِ من يَشاءُ * ثم اعتَلَقَ كُلٌّ مِنّا بِذَيْلِهِ * وفَلَذَ له فِلذةً من نَيْلِهِ * فأبى قَبولَ فِلْذَتِي * وقال لستُ أَرْزَأُ تِلامِذتي * فقلتُ له كُنْ ابازيد على شُحوبِ سَحْنَتِك * ونُضوبِ ماءِ وَجْنَتِك * فقال انا هُوَ على نُحُولي وقُحُولي * وقَشَفِ مُحولي * فأخَذتُ في تَثْريبِهِ * على تشريقِهِ وتغريبِهِ * فحَوْلَقَ واسْتَرجَعَ * ثُمَّ انشَدَ من قَلبٍ مُوجَعٍ *

نظم

سَلَّ الزَّمانُ على عَضْبَهُ * لِيَرُوعَنِي وأحَدَّ غَرْبَهُ

واسْتَلَّ من جَفْنِي كَرا * هُ مُراغِمًا وأسالَ غَرْبَهُ

وأجالَنِي في الأُفقِ أطْـ * ـوِي شَرْقَهُ وأجُوبُ غَرْبَهُ

فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ * في كُلِّ يَومٍ لي وغَرْبَهُ

وكذا المُغَرَّبُ شَخْصُهُ * مُتَغَرِّبٌ ونَواهُ غَرْبَهُ

ثُمَّ وَلَّى يَجُرُّ عِطْفَيْهِ * ويَخطِرُ بيَدَيه * ونحن بينَ مُتَلَفِّتٍ اليه * ومُتَهافِتٍ عليه * ثُمَّ لم نَلْبَثْ أنْ حَلَّلْنا الحُبا * وتَفَرَّقْنا أيادِيَ سَبا *

شَينُ الخلائِق * وسُوءُ الطَّمَع * يُبايِنُ الوَرَع * والتزامُ الحِـــزامَة * زِمامُ السَّلامة *
وتَطلُّبُ المثالِب * شَرُّ المعائب * وتتبعُ العَثرات * يُدْحِضُ المَوَدّات * وخُلوصُ النِيَّة *
خلاصة العطيَّة * وتَهنِيــةُ النَّوال * ثَمَنُ السُّؤال * وتَكلُّفُ الكُلَف * يُسَهِّل لخَلَف *
وتيقُّنُ المُعونة * يُسَنّي المُؤونة * وفَضلُ الصَّدر * سَعَةُ الصَّدر * وزينةُ الرُّماة * صَفْتُ السُّعاة *
وجَزاءُ المَدائح * بَثُّ المنائح * ومَهْرُ الوَسائل * تَشْفيعُ المَسائِل * ومَجلَبةُ الغَواية استغراقُ
الغاية * وتجاوُزُ الحَدّ * يُكِلُ الحَدّ * وتَعدّي الأدب * يُحبطُ القُرَب * وتَناسي حُقوق *
يُنشِئُ العُقوق * وتَحاشي الرِيَب * يَرْفَعُ الرُّتَب * وارتفاعُ الأخطار * باقتحام الأخطار *
وتنوُّهُ الأقدار * بمُواتاةِ الأقدار * وشَرَفُ الأعمال * في تقصير الآمال * وإطالة الفِكْرة *
تنقيحُ الحِكمة * ورأسُ الرِياسة * تهذُّبُ السِّياسة * ومع اللَّجاجة * تُلْغَى الحاجة * وعند
الأوجال * تتفــاضَلُ الرِّجال * بتفاضُلِ الهِمَم * تتفاوَتُ القِــيَم * وبتمَرُّدِ تغيــر *
يهون التَّدبيــر * وبخَلَلِ الأحوال * تتبيَّنُ الأهوال * وبمُوجَبِ الصَّبر * تُمَلُّ النَّصْر *
واستحقاقُ الإحماد * بحَسَبِ الاجتهاد * ووُجوبُ المُلاحظة * كِفاءُ المُحافَظة وصَفاءُ
المَوالي * بتعهُّدِ المَوالي * وتَحلّي المُرُوّات * بحِفْظِ الأمانات * واختبارُ الإخوان تخفيفِ
الأحزان * ودَفعُ الأعداء * بكَفِّ الأوِدّاء * وامتحانُ العُقَلاء * بمُقارنةِ الجُهلاء *
وتبصُّرُ العَواقب * يُؤمِنُ المَعاطِب * واتِّقاءُ الشُّنعة * يَنْشُرُ السُّمعة * وقُبحُ الظُّلم * يُنافي
الوَفاء * وجَوهَرُ الأحرار * عندَ الأسرار * ثم قال هذه مائتا لَفْظَة * تَحتوي على وعظة *

وانی آلیت مذ اعوام * ان لا یضمنی ونموما مقام * فقلنا ما سبب یمینک الصری * وائیتک العری * فقال کان لی جار لسانه یتقرب * وقلبه عقرب * ولفظه شهد ینفع * وخباؤه سم منقع * فملت لمجاورته * الی مجاورته * واغتررت بمکاشرته * فی معاشرته * واستهوتنی خضرة دمنته لمنادمته * واغرتنی خدعة سمته بمنا سمته * فما زجته وعندی انه جار مکاسر * فبان انه عقاب کاسر * وآنسته علی انه حب موانس * فوضح انه حباب موالس * وما لحته ولا اعلم انه عند نقده * ممن یفرح بفقده * وعاقرته ولم ادر انه بعد فره * ممن یطرب لمفره * وکانت عندی جاریة * لا یوجد لها فی الکمال مجاریة * ان سفرت خجل النیران * وصلیت القلوب بالنیران * وان بسمت ازرت بالجمان * وببع المرجان بالمجان * وان رنت هیجت البلابل * وحققت سحر بابل * وان نطقت عقلت لب العاقل * واستنزلت العصم من المعاقل * وان قرأت شفت المفؤود * واحیت الموءود * وخلتها اوتیت من مزامیر آل داود * وان غنت ظل معبد لها عبدا * وقیل سحقا لاسحاق وبعدا * وان زمرت اضحی زنام عندها زنیما * بعد ان کان لجیله زعیما * وبالاطراب زعیما * وان رقصت امالت العمائم عن الرؤوس * وانستک رقص الحبب فی الکؤوس * فکنت ازدری معها حمر النعم * واحلی بتملیها جید النعم * واحجب مرآها عن الشمس والقمر * وازود ذکراها عن شرائع السمر * وانا مع ذلک ابیح * من انه تسری بریاها ریح * او یکهن بها سطیح * او ینم علیها برق ملیح * فاتفق لوشک الحظ

المقامة الثامنة عشر السنجارية

حكى الحارث بن همّام قال قفلتُ ذات مرّةٍ من الشّام * انحو مدينةَ السّلام * فى رَكبٍ من بنى نُمَيرٍ * ورُفقةٍ اولى خَيرٍ ومَيرٍ * ومَعَنا ابوزيدٍ السَّروجىّ عُقلةُ العَجلان * وسَلوةُ الثَّكلان * واُعجُوبةُ الزمان * والمُشارُ اليه بالبَنانِ فى البيان * فصادَفَ نزولُنا سِنجارَ * اَن اَولَمَ بها احَدُ التُّجّار * فدَعا الى مَأدُبَتِهِ الجَفَلَى * من اَهلِ الحضارةِ والفَلَى * حتى سَرَت دَعوتُه الى القافلة * وجَمَع فيها بين الفريضةِ والنافِلة * فلما اَجَبنا مُنادِيَه * وحَلَلنا نادِيَه * اَحضَرمن اَطعِمَةِ اليَدِ واليَدَين * ما حَلِى فى الفم وحَلِيَ بالعَين * ثم قَدَّمَ جامًا كاَنّما جُمِدَ مِنَ الهَــواء * او جُمِعَ من الهَباء * او صِيغَ من نُورِ الفضاء * او قُشِرَ من الدُّرَّةِ البَيضاء * وقد اُودِعَ لَفائِفَ النَّعيم * وضُمِّخَ بالطِّيبِ العميم * وسِيقَ اليه شِربٌ من تَسنيم * وسَفَرمن مرأىً وسيمٍ * واَرَجٍ نسيمٍ * فلمّــا اضطَرَمَت مَحضَرةُ الشَّهَوات * وقَرِمَت الى مَخبَرِه اللَّهَوات * وشارَفَ ان تُشَنّ على سِربِه الغارات * ويُنادَى عند نَهبِهِ يا لَلثّارات * نَشَزَ ابو زيدٍ كالمجنون * وتَباعَدَ منه تَباعُدَ الضَّبِّ من النُّون * فراوَدناه على ان يَعودَ * ولا يكونَ كقُدارٍ فى ثَمودَ * فقال والّذى يَنشُرُ الاَمواتَ من الرِّجام * لا عُدتُ دونَ رَفعِ الجام * فلم نَجِد بُدًّا من تألُّفِه * وابرارِ حَلفِه * فاَشلناه والعقولُ معه شائلةٌ * والدموعُ عليه سائلةٌ * فلمّا فاءَ الى مَجثَمِه * وخَلَص من مأثَمِه * سألناه لِمَ قامَ * ولِاَيِّ معنًى استَرفَعَ الجامَ * فقال اِنَّ الزُّجاجَ نَمّامٌ *

أن لا أحاضِرَنَّما مَّا من بَعْد * والزُّجاجُ مخصوصٌ بهذه الطِّباعِ الذَّميمة * وبه يُضْرَبُ المَثَلُ في النَّميمة * فقد جَرى عليه سَيْلُ يميني * ولِذلكم السَّبَبِ لم تَمْتَدَّ اليه يميني * نظم

فلا تعذ لونِي بَعْدَ ما قد شَرَحتُه * على أن حرمتم بي اقتطافَ القطائف

فقد بانَ عُذْرِي في صَنيعي وانَّني * مَا رْتُقُ فَتْقِي من تَلْيدِي وطارِف

على أن ما زَوَّدتُكم من فُكاهةٍ * ألَذُّ من الحلْوا لدى كُلِّ عارِف

قال الحارثُ بن همَّام فقبلْنا اعتذاره * وتَبلَّنا اعِذارَه * وقُلنا له قِدَمًا وَقَذَتِ النَّميمةُ خيرَ البَشَر * حتَّى انتَشَر من حَمَّالةِ الحطَبِ ما انتَشَر * ثم ساَلْناه عمَّا أحدثَ جارُه القتَّات * ودُخْلُلُه المقتات * بعدَ أن راشَ له نَبْلَ السِّعاية * وجَذَمَ حَبْلَ الرِّعاية * فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة * والاستشفاعِ الى بذوي المكانة * وكنتُ حرَّجتُ على نفسي * أن لا يَستَرجِعَه انسي * او يَرْجِعَ الى أمْسِي * فلم يكُن له مِنِّي سِوى الرَّدّ * والاصرارِ على الصَّدّ * وهو لا يَكتئِبُ من النَّجْه * ولا يتَنَّبُ من وَقاحة الوَجْه * بل يُلِظُّ بالوَسائِل * ويُلِحُّ في المسائِل * فما انْقَذَني من إبرامه * ولا أبعدَ عليه نَيْلَ مَرامِه * الا أبياتٌ نَفَثَ بها الصَّدرُ الموتور * والخاطِرُ المبْتور * فانَّها كانت مَدْحَرةً لشيطانه * ومَسْجَنَةً له في أوطانه * وعند انتشارها بَتَّ طَلاقَ الحبورِ * ودَعا بالوَيْلِ والثُّبورِ * وأَيِسَ من نَشْرِ وَصْلِي المقبور * كما يَئِسَ الكُفّار من أصحابِ القُبور * فناشَدناه أن يُنشِدَنا إيَّاها * ويُنشِقَنا رَيَّاها * فقال أجَلْ * خُلِقَ الانسانُ من عَجَل * ثم أنشَدَ لا يزْويه خَجَلٌ * ولا يَثْنيه وَجَلٌ * نظم

المنحوس * ونكد الطالع المنحوس * ان انطقتني بوصفها حميا المدام * عند الجار النمام *
ثم ثاب الفهم * بعد ان صرد السهم * فاحسست الخبال والوبال * وضيعة ما اودع ذلك
الغربال * بيد اني عاهدته * على كتم ما لفظته * وان يحفظ السر ولو احفظته * فزعم انه
يخزن الاسرار * كما يخزن اللئيم الدينار * وانه لا يهتك الاستار * ولو عرض لان يلج
النار * فما غبر على ذلك الزمان * الا يوم او يومان * حتى بدّ الامير تلك المدرة * ووالبها
ذي المقدرة * ان يقصد باب قيله * مجددا عرض خيله * ومستمطرا عارض نيله * وارتاد
ان يصحبه تحفة تلائم هواه * ليقدمها بين يدي نجواه * وجعل يبذل الجعائل لرواده *
ويسني المراغب لمن يظفره بمراده * فاستفز ذلك الجار الختار الى بذوله * وعصى في
ادراع العار عذل عذوله * فاتى الوالي ناشرا اذنيه * وابثه ما كنت اسررته اليه * فما راعني
الا انسياب صاغيته الي * وانثيال حفدته علي * يسومونني ايثاره بالدرة اليتيمة * على ان اتحكم
عليه في القيمة * فغشيني من الغم * ما غشي فرعون وجنوده من اليم * ولم ازل ادافع عنها
ولا يغني الدفاع * واستشفع اليه ولا يجدي الاستشفاع * وكلما راى مني ازدياد
الاعتياص * وارتياد المناص * تجرم وتضرم * وحرق على الارم * ونفسي مع ذلك
لا تسمح بمفارقة بدري * ولا بان انزع قلبي من صدري * حتى آل الوعيد ايقاعا *
والتعريض قراعا * فقادني الاشفاق من الحين * الى ان قضته سواد العين * بصفرة
العين * ولم يحظ الواشي بغير الاثم والشين * فعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد *

قال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة * ولا يسع ان تجعل البري كذي ظنة * وهذه الآنية تتنزل منزلة الابرار * في صون الاسرار * فلا تولها الابعاد * ولا تلحق ود ابعاد * ثم امرخادمه بنقلها الى مثواه * ليحكم فيها بما يهواه * فاقبل علينا ابو زيد قال اقرؤوا سورة الفتح * وابشروا باندمال القرح * فقد جبر الله تكلكم * وسنى اكلكم * جمع في ظل الحلواء شملكم * وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم * ولما هم بالانصراف * مال الى استهداء الصحاف * فقال للادب ان من دلائل الظرف * سماحة المهدي بالظرف * فقال كلاهما والغلام * فاحذف الكلام * وانهض بسلام * فوثب في الجواب * وشكره شكر الروض للسحاب * ثم اقتادنا ابو زيد الى حوائه * وحكمنا في حلوائه * وجعل يقلب الاواني بيده * ويفض عددها على عدده * ثم قال لست ادري اشكر ذلك النمام ام اكفر * واتناسى فعلته ام اذكر * فانه وان كان اساف الجريمة * ونمنم النميمة * فمن غنيمه انهلت هذه الديمة * وبسيفه انحازت لي هذه الغنيمة * وقد خطر ببالي * ان ارجع الى اشبالي * واقنع بما تسنى لي * ولا اتعب نفسي ولا اجمالي * وانا اودعكم وداع مصافظ * واستودعكم خير حافظ * ثم استوى على راحلته * راجعاً في حافرته * ولاوياً الى زافرته * فغادرنا بعد ان وخدت عنسه * وزايلنا انسه * كدست غاب صدره * او ليل افل بدره *

المقامة التاسعة عشر النصيبية

ونديمٍ محضته صدق ودّي * اذ توهّمته صديقاً حميما
ثم اولَيته قطيعة قالٍ * حين الفيته صديداً حميما
خلته قبل ان يجرّب الفا * ذا ذمامٍ فبان جلفاً ذميما
وتخيّرته كليماً فاضحى * منه قلبي بما جناه كليما
وتظنّيته معيناً رحيماً * فتبيّنته لعيناً رجيما
وترآءينه مريداً فجلّى * عنه مبكي له مريدَ اللئيما
وتوسّمت ان يهبّ نسيماً * فابى ان يهبّ الّا سموما
بتّ من لسعه الذي اعجزالرّا * قي سليماً وبات منّي سليما
وغدا امره غداة افترقنا * مستقيماً والجسم منّي سقيما
لم يكن رائعاً خصيباً ولكن * كان بالشّر رائعاً لي خصيما
قلت لمّا بلوته ليته كا * ن عديماً ولم يكن لي نديما
بغّض الصبح حين نمّ الى قلـ * ـبي لانّ الصّباح يلفي نموما
ودعاني الى هوى اللّيل اذ كا * ن سواد الدّجى رقيباً كتوما
وكفى من يشي ولوفاه بالصد * ق اثاماً فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع ربُّ المنزل قريضه وسجعه * واستملح تقريضه وسبعه * بوّاه مهاد كرامته * وصدّره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند والضَّرَب *

يَوَدُّونَ لو سالمته المنونَ * وقالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنتُ فيمن التقى باصحابِه * واغذّ الى بابِه * فلمّا انتهينا الى فنائِه * وتصدّينا لاستنشاءِ انبائِه * برز الينا فتاه * مُفترّةً شفتاه * فاستطلعناه طِلعَ الشيخ في شكاتِه * وكُنهِ قُوى حركاتِه * فقال قد كان في قبضةِ المرضة * و مَرْكَةِ الوعكةِ * الى ان شفَّه الدَّنَف * واستشفَّه التلف * ثم مَنَّ الله بتقويةِ دمائِه * فافاق من اغمائِه * فارجِعوا ادراجكم * وانضُوا انزماجكم * فكأنْ قد غدا وراح * وساقاكم الراح * فاعظَمْنا بشراه * واقترحنا أنْ نَراه * فدخل مُؤذِنًا بنا * ثم خرجَ آذِنًا لنا * فلقينا منه لقىً * ولِسانًا طلقًا * وجلسنا مُحدِقين بسريره * مُحدِّقين الى اساريره * فقلّب طَـرْفَه في الجماعة * ثم قال اجتلوها بنتَ الساعة * وانشد *

نظم

عافاني الله وشكراً له * من علّـةٍ كادت تُعفّيني
ومَنّ بالبُـرءِ على انّه * لا بُدّ من حتفٍ سيبريني
ما يَمّنا ماني ولكنّه * الى تقضّي الأُكُل يُنسيني
إن حُمّ لم يُغنِ حميمٌ ولا * حِمى كُلَيْبٍ منه يحميني
وما ابالي آدنا يومُه * أم اخّرا لحين الى حين
فايُّ فخرٍ في حيوةٍ ارى * فيها البـلا يا ثم تُبليني

قال فدمّوناله بامتدادِ الاجَل * وارتدادِ الوجل * ثم تداعينا الى القيام * لاتقاءِ الابرام *

روى الحارث بن همّام قال أمْحَل العراقُ ذاتَ العُوَيم * لاختلافِ أنواء الغَيْم * وتحدّثَ الرُّكبانُ بريفِ نَصِيبِين * وبُلَهنيةِ أهلها المُخْصِبِين * فاقتعدتُ مَهْرِيًّا * واعتقلتُ سَمْهَرِيًّا * وسرتُ تَلْفِظُني أرضٌ الى أرضٍ * ويَجْذِبُني رَفْعٌ من خَفْضٍ * حتّى بلغتُها نِقضًا على نِقضٍ * فلمّا انختُ بمغناها الخصيب * وضربتُ في مرعاها بنصيب * نَوَيتُ ان أُلقِيَ بها جِراني * واتّخذَ أهلَها جيراني * الى أن تحيَى السَّنةُ الجمادُ * ويتعهّدَ أرضَ قومي العِهادُ * فوالله ما تمضمضت مُقلتي بنومها * ولا تمخّضت لَيلتي من يومها * او ألفيتُ ابا زيدٍ السَّروجيّ يجُولُ في أرجاء نَصِيبين * ويَخبطُ بها خَبْطَ المُصابين والمُصيبين * وهو ينثرُ من فيه الدُّرر * ويحتلبُ بكفّيه الدِّرَر * فوجدتُ جهادي قد حازَ مَغنمًا * وقدحي الفذَّ قد صار تَوأمًا * ولم أزل أتبعُ ظلّه أينما انبعثَ * وألتقطُ لفظَه كلَّما نَفَثَ * الى أن عراه مَرَضٌ امتدَّ مَداه * وعَرَقَته مُداه * حتّى كاد يَسلُبُه ثوبَ المحيا * ويُسلِمُه الى أبي يحيى * فوجدتُ لفوتِ لُقياه * وانقطاعِ سُقياه * ما يجدهُ المُبعَدُ عن مَرامِه * والمُرضَعُ عند فِطامه * ثم أُرجِفَ بأنّ رَهنَه قد غَلِقَ * ومِخلبَ الحِمامِ به قد عَلِق * فقلِقَ صَحْبُه لإرجافِ المُرجِفين * وانثالوا الى عقوته مُوجِفين *

نظم

حَيارى يَميدُ بهم شَجْوُهم * كأنّهمُ ارتضعوا الخَنْدَرِيسا

أسالوا الغُروبَ وقطّوا الجُيوبَ * وصكّوا الخُدودَ وشجّوا الرُّءوسا

اسمک من البخلاء * وایاک واسندناء المرجفین * قبل استقلال حمول البین * واذا نزع القوم من المراس * وصافحوا ابا ایاس * فاطف علیهم ابا السرو * فانه عنوان السرو * قال ففقه ابنه لطائف رموزه * بلطافة تمییزه * فطاف علینا بالطیبات والطیب * الی ان دنت الشمس بالمغیب * فلما اجمعنا علی التوریع * قلنا له الم تر الی هذا الیوم البدیع * کیف بدا صبحه قمطریرا * وضنیه مستنیرا * فسجد حتی اطال * ثم رفع راسه وقال *

نظم

لا تیاسن عند النوب * من فرجة تجلوا الکرب

فلکم سموم هب ثم * جری نسیما فانقلب

وسحاب مکروه تنشا * فاضمحل وما سکب

ودخان خطب خیف منه * فما استبان له لهب

ولطالما طلع الاسی * وعلی تفیئته غرب

فاصبر اذا ما ناب روع * فالزمان ابوا لعجب

وترج من روح الاله * لطائفا لا تحتسب

قال فاستملینا ابیاته الغر * وولینا لله تعالی الشکر * وودعناه مسرورین ببره * مغمورین ببره *

تفسیر ما تضمنته هذه المقامة من الفاظ لغویة

وکنی طفیلیة وکنایات صوفیة قوله

فقال كَلّا بل البَثُوا بياض يَوْمِكم عندِي * لتشفُوا بالمُفاكهةِ وَجْدِي * فإنّ منا جاتكم قُوتُ نَفسِي * ومَغناطِيسُ اُنْسِي * فتحَرَّيْنا مَرضاتَه * وتحامَيْنا مُعاصاتَه * ثُمَّ اَقْبَلْنا على الحديثِ نمْخَضُ زُبْدَه * ونُلغِي زَبَدَه * الى اَنْ حانَ وقتُ المَقِيل * وكَلَّتِ الاَلْسُنُ من القالِ والقِيل * وكانَ يومًا حامِيَ الوَدِيْقة * يانِعَ الحدِيقة * فقال اِنّ النعاسَ قد اَمالَ الاَعْناقَ * وراوَدَ الآماقَ * وهو خَصْمٌ الَدُّ * وخِطْبٌ لا يُرَدُّ * فصِلُوا حَبْلَه بالقَيْلولَة * واقتَدُوا فيه بالآثارِ المنقولَة * قال الراوي فاتَّبَعْنا ما قال * وقِلْنا وقال * فضَرَبَ اللّهُ على الآذان * واَفْرَغ السِّنَةَ في الاَجْفان * حتّى خَرَجْنا من حُكْمِ الوُجود * وصُرِفْنا بالهُجود من السُّجود * فما استَيْقَظْنا الّا والحَرُّ قد باخَ * واليومُ قد شاخَ * فتَكَرَّعْنا لصلوةِ العَجْماوَيْن * واَدَّيْنا ما حَلَّ من الدَّيْن * ثُم تَجَنَّحْنا للارتحال * الى مُلْقَى الرِّحال * فالْتَفَتَ ابوزيد الى شِبْلِه * وكانَ على شاكِلَتِه وشَكْلِه * وقال اِنّي لَاَخالُ اباعَمْرَةَ * قد اَضْرَمَ في اَحْشائِهم الجَمْرَةَ * فاسْتَدْعِ اَبا جامِعٍ * فانّه بُشرى كُلِّ جائِعٍ * واَرْدِفْه باَبي نُعَيم * الصّابِرِ على كُلِّ ضَيم * ثُم عَزِّزْ باَبي حبيب * المُحبَّبِ الى كُلِّ لبيب * المُقلَّبِ بين احراقٍ وتعذيب * واَهِبْ باَبي ثَقِيفٍ * فحَبَّذا هو من اَلِيفٍ * وهَلُمّ باَبي عَونٍ * فما مِثْلُه من عَونٍ * ولو استحضَرْتَ اباجميلٍ * فجَمِّلْ اَيَّ تجميلٍ * وحَيَّ هَلْ باُمِّ القِرى * المُذَكِّرَةِ بكِسْرى * ولا تَتَناسَ اُمَّ جابِرٍ * فكَمْ لها من ذاكِرٍ * وناد اُمَّ الفَرَج * ثُم افْتَكْ بها ولا حَرَج * واخْتِمْ باَبي رَزِيْنٍ * فهو مَسْلاةُ كُلِّ حزينٍ * واِنْ تَقْرِن به اَبا العَلاء * تَمَّ

الخوانُ * وابو نُعَيمٍ الخُبزُ الحُوّارَى * وابو حبيبٍ الجَدْيُ * وابو ثَقيفٍ الخَلّ * وابو عَوْنٍ المِلْحُ * وابو جَمِيلٍ البَقْلُ * واُمّ القِرى السِكْباجُ * واُمّ جابرٍ الهَرِيسةُ * واُمّ الفَرَجِ الجُوذابةُ * وابو رَزينٍ الخَبِيصُ * وابو العلاءِ الفالوذَج * وابو ياسٍ الغَسول * والمُرجِفان الطَسْتُ والاَبْرِيقُ * وابو السُرورِ البَخورُ *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارثُ بن همام قال يَمَّمْتُ مَيّافارِقِين * مع رُفْقة مُوافِقِين * لا يُمارُوْن في المُناجاة * ولا يَدْرُون ماطَعْمُ المُداجاة * فكنتُ بهم كمَن لم يَرِمْ عن وِجارِه * ولا ظَعَنَ عن اليفه وجارِه * فلمّا اَنَخْنا بها مَطايَا التَّسْيارِ * وانتَقَلْنا من الاَكْوار الى الاَوْكار * تَواصَيْنا بِتَذْكار الصُّحْبة وتَناهَيْنا من التقاطُع في الغُرْبة * واتَّخَذْنا نادِيًا نَعْتَمِره طَرَفَيِ النَّهار * ونَتَهادى فيه طُرَفَ الاَخْبار * فبَيْنا نحنُ فيه في بعض الاَيّام * وقد اِنْتَظَمْنا في سِلْكِ التِئام * وَقَف علينا ذو مِقْوَلٍ جَرِيّ * وجَرْسٍ جُهُورِيّ * فحيّى تَحِيّةَ نَفّاثٍ في العُقَد * قَنّاصٍ للاَسْدِ والنَقَد * ثم قال *

نظم

عندِي يا قومِ حديثٌ عجيبْ * فيه اعتبارٌ للّبيبِ الاَرِيبْ

رَأَيتُ في رَيْعانِ عُمْرِي اَخا * بأسٍ له حدُّ الحُسامِ القَضِيبْ

يُقْدِم في المَعْرَكِ اقدامَ مَنْ * يُوقِن بالفَتْك ولا يَسْتَرِيبْ

فيَفْرِجُ الضِيقَ بكَرّاتِهِ * حتى يُرى ماكان ضَنْكًا رَحِيبْ

ذاتَ العُوَيم يعني به الزمان المتقادم * ومثله ذاتُ الزُّمَيْن * والسَّمْهَرِيَّة الرِّماحُ * في تَسْمِيَتِها بذلك قولان * احدهما انها سُمِّيَت به لصلابتها من قولهم اسمهرَّ الشيء اذا اشتدّ * وقيل انها منسوبة الى سَمْهَر زوج رُدَينة وكانا جميعاً يقوِّمان الرِّماح فنسبت اليهما * وقوله نِقضًا على نِقضٍ اى مهزولاً على مهزولٍ * وقوله والجِرانُ باطنُ العُنق وقيل انّ السِّياط تُعمَل منه * وقوله فضَرَبَ الله على الآذان اى انامنا ومنه قوله عزّوجلّ فضربنا على آذانهم في الكهف اى انمناهم وقيل في تفسيره منعنا هم السَّمْعَ * وقوله تَكَرَّعْنا لصلوة العَجْماوَيْن اى غسلنا اكارِعَنا وهو كناية عن الوُضوء والعَجْما وان صلوة الظُّهر والعَصر سُمّيتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوةُ النَّهار عَجْماءُ * وقوله هَلُمِّ اى قُلْ له هَلُمَّ وهى بمعنى هاتِ وبمعنى اقبل * والافصحُ ان يُوحَّد لفظهـــا مع المذكّر والمؤنّث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا * ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلُمَّ وللاثنين هلما وللجمع هَلُمّوا وللمونث الواحدة هلُمّي وللاثنتين هَلُمّا وللجمع هلْمُمْن * وقوله حَيَّ هَلَ اى عَجِّلْ يقال حَيَّ هَلْ بفلان بتسكين اللاّم وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنـــه قول ابن مسعود في عُمَر رضيَ اللهُ عنهما اذا ذُكِر الصّالحون فحَيَّ هَلاً بعُمَر وفي حَيَّ هَلَ لغاتٌ اُخر اَضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاءِ شرحها فهذا تفسيرُ الالفاظ اللغويّة واما تفسيرُ الكُنى الطُّفَيليّة والكنايات الصُّوفيّة فابو يحيى كنيةُ مَلَك الموت * وابو عَمْرة كنيةُ الجُوع ويُكنى ايضاً اباماِلكٍ * وابو جامع

اَنَّهم علىٰ صَرْفه بحِرْمان * اوضُطا لبتِه ببُرْهان * ففَرط منه اَنْ قال يا يَلامِعَ القاعِ وبَرامِعَ البِقاع * ماهذا الارتياءُ * الّذي يا باهُ الحياءُ * حتّى كانّكم كَلِعتم مَشقّةً لاشُقّةً * اوا ستُوهِبْتم بَلْدةً لا بُرْدةً * اوهزِزْتم لكسْوة البَيْت * لا لتكفين المَيْت * اُفٍّ لمَن لاتَنْدى صَفاته * ولا تَرْشَح حَصاتُه * فلمّا بَصُرت الجماعةُ بذلاقته * ومرارةِ مَذاقته * رَفأه كلٌّ بنَيْلِه * واحتمل طَلَّه خوف سَيْله * قال الحارث بن همّام وكان هذا السائل واقفا خَلْفي * ومحتجبًا بظَهْري عن طَرْفي * فلما ارضاهُ القومُ بسَيْبهم * وحقّ علىّ التاسّي بهم * خلعتُ خاتمي من خِنْصَري * ولفتّ اليه بصَري * فاذا هو شيخُنا السَّروجيّ بلا فِرْيَة * ولامِرْيَة * فايقنتُ انّها اُكذوبةٌ تكنّ بها * واُحبولةٌ نصَبَها * الّا انّني طَوَيتُه علىٰ غَرّه * وصُنْتُ شغاهُ عن قَرّه * فحصَبْتُه بالخاتم * وقلتُ اَرْصِدْه لنفقةِ المَاتم * فقال واهًا لك * فما اَضرم شُعلتك * واَكرم فَعلتك * ثم انطلق يسعى قُدُما * ويَهْرولُ هرولتَه قِدَما * فنزعْتُ الى عِرْفانِ مَيْتِه * وامتحانِ دَعْوى حَميّته * فقَرعتُ ظُنْبوبي * والهبْتُ اُلْهوبي * حتّى اَدركتُه علىٰ غَلْوة * واجتليتُه في خَلْوة * فاخذتُ بمجمعِ اَرْدانه * وعُقتُه عن سَنَنِ مَيْدانه * وقلتُ والله مالكَ منّي مَلجأٌ ولامَنجا * اوتُرينى مَيْتك المُسجّى * فكشَف عن سَراويلِه * واشار الى غُرمُوله * فقلتُ له قاتلك اللّه فما اَلعبك بالنُّهى * واَحْيلك على اللُّهى * ثم عُدتُّ الى اَصْحابي عوْدَ الرّائد الذي لا يَكذِبُ اهلَه * ولا يبَرْقِشُ قولَه * واَخْبَرْتُهم بالذي رأيتُ * وماورَّيتُ ولا رأيتُ * فقَهقَهوا من كَيْتَ وكَيْت * ولعَنوا ذالك المَيْت *

ما بارز الاقران الّا انثنى * من موقف الطّعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعباً * مستغلق الباب منيعاً مهيب
الّا ونودى حين يسموله * نصرٌ من اللّه وفتحٌ قريب
هذا وكم من ليلةٍ باتها * يميس في برد الشّباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه * وهو لدى الكلّ المفدّى الحبيب
فلم يزل ينتره دهره * ما فيه من بطشٍ وعودٍ صليب
حتى اصارته الليالى لقىً * يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الرّاقى تحليل ما * به من الداء واعيى الطّبيب
وصارم البيض وصارمنه * من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه * ومن يعش يلق دواهى المشيب
وها هو اليوم مسجّى فمن * يرغب في تكفين ميتٍ غريب

ثم اعلن بالنّحيب * وبكى بكاء المحبّ على الحبيب * ولما رقأت دمعته * وانفثأت لوعته * قال يا نجعة الرّوّاد * وقدوة الاجواد * واللّه ما نفثت ببهتان * ولا اخبرنكم الا عن عيان * ولوكان فى عصاى سير * ولغيمى مطير * لاستاثرت بما دعوتكم اليه * ولما وقفت موقف الدالّ عليه * ولكن كيف الطّيران بلا جناح * وهل على من لا يجد من جناح * قال الرّاوى فطفق القوم يأتمرون فيما يامرون * ويتخافتون فيما ياتون * فتوهّم

تجمع التراث للوراث * يعجبك التكاثر بما لديك * ولا تذكر ما بين يديك * وتسعى بَدا الغاريك * ولا تبالي الك ام عليك * اتظن ان ستترك سدى * وان لا تحاسب غدا * ام تحسب ان الموت يقبل الرشا * او يميز بين الاسد والرشا * كلا والله لن يدفع المنون * مال ولا بنون * ولا ينفع اهل القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع و وعى * وحقق ما ادعى * ونهى النفس عن الهوى * وعلم ان الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم انشد انشاد وجل * بصوت زجل *

نظم

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى * اذا سكن المثوى الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضياً * بما تقتني من اجره و ثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه * بمخلبه الاشعى يغول ونابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره * فكم خامل اخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه * اخو ضلة الا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الاله وخوفه * لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يضاهي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان قصاري منزل الحي حفرة * سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله * وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام * قال مُنيتُ مُذ أحكمتُ تدبيري * وعرفتُ قبيلي من دبيري * بأن أُصغي الى العظات * وأُلغي الكلم المحفظات * لأتحلّى بمحاسن الاخلاق * واتخلّى مما يسم بالاخلاق * وما زلتُ آخذ بهذا الأدب * واُخمد به جمرة الغضب * حتّى صار التطبع فيه طباعا * والتكلف له هوىً مطاعا * فلما خللتُ بالرّيّ * وقد خللتُ حبا الغيّ * وعرفتُ الحيّ من اللّيّ * رأيتُ بها ذات بكرة * زمرةً اثر زمرة * وهم منتشرون انتشار الجراد * ومستنّون استنان الجياد * ومتواصفون واعظا يقصدونه * ويحلّون ابن شمعون دونه * فلم يتكاءدني لاستماع المواعظ * واختيار الواعظ * أن أقاسي اللافظ * وأحتمل الضاغط * فاصحبتُ أصحاب المطاوعة * وانخرطتُ في سلك الجماعة * حتّى أفضينا الى نادٍ جمع الاميرَ والمأمورَ * وحشد النبيهَ والمغمورَ * وفي وسطها لنه * ووسط اهلته * شيخٌ قد تقوّس واقعنسس * وتقلنس وتطلّس * وهو يصدع بوعظٍ يشفي الصدورَ * ويليّن الصخورَ * فسمعته يقول * وقد افتتنت به العقول * ابن آدم ما أغراك بما يغرّك * وأضراك بما يضرّك * وألهجك بما يطغيك * وأبهجك بمن يطريك * تعنّى بما يعنيك * وتهمل ما يغنيك * وتنزع في قوس تعديك * وترتدي الحرص الذي يرديك * لا بالكفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعظات تستمع * ولا بالوعيد ترتدع * دأبك أن تتقلّب مع الأهواء * وتخبط خبط العشواء * وهمّك أن تدأب في الاحتراث *

هذا الهٔ ولسوف يوقف موقفا * فيه يرى رب الفصاحة الثغا
وليحشرن اذل من فقع الفلا * ويحاسبن على النقيصة والشغا
ويواخذن بما اجتنى وبما اجتبى * ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى
ويناقشن على الدقائق مثل ما * قد كان يفعل بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه * ويود لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال ايها المتوشح بالولاية * المترشح للرعاية * دع الادلال بدولتك * والاغترار بصولتك * فان الدولة ريح قلب * والقدرة برق خلب * وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته * واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته * فلا تكن ممن يذر الآخرة ويلغيها * ويحب العاجلة ويبتغيها * ويظلم الرعية ويوذيها * واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها * فوالله مايغفل الديان * ولا تهمل بالانسان * ولا يلغى الاساءة والاحسان * بل سيوضع لك الميزان * وكما تدين تدان * قال فوجم الوالي لماسمع * وامتقع لونه وانتقع * وجعل يتأفف من الامرة * ويردف الزفرة بالزفرة * ثم عمد الى الشاكي فاشكاه * والى المشكو فاشجاه * والطف الواعظ وحباه * وعزم عليه ان يغشاه * فانقلب عنه المظلوم منصورا * والظالم محصورا * وبرز الواعظ ينهاد بين رفقته * ويتباهى بفوز صفقته * واتبعته اخطو متقاصرا * واريه لمحا باصرا * فلما استشف ما اخفيه * وفطن لتقلب وجهي فيه * قال خير دليليك من ارشد * ثم اقترب مني وانشد *

نظم

قال فظلّ القوم بين عبرةٍ يذرونها * وتوبةٍ يظهرونها * حتّى كادت الشّمس تزول * والفريضة تعول * فلمّا خشعت الاصوات * والتأم الانصات * واستكنّت العبرات * والعبارات * استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر * وجعل يجأر اليه من عاملة الجائر * والامير صافٍ الى خصمه * لاهٍ عن كشف ظلمه * فلمّا ايس من روحه * استنهض الواعظ لنصحه * فنهض نهضة الشّمير * وانشد معرّضًا بالامير *

نظم

عجبًا لراجٍ ان ينال ولايةً * حتّى اذا ما نال بغيته بغى
يشدى ويلحم فى المظالم والغا * فى وردها طورًا وطورًا مولغا
ما ان يبالي حين يتّبع الهوى * فيها أأصلح دينه ام اوتغا
ياويحه لو كان يوقن انّه * ما حاله الّا تحول لما طغا
اولو تبيّن ما ندامة من صغا * سمعًا الى افك الوشاة لما صغا
فانقد لمن اضحى الزّمام بكفّه * وتغاض ان الغى الرّعاية اولغا
وارع المرار اذا دهاك لرعيه * ورد الاجاج اذا حماك السّيغا
واحمل اذاه ولو امضّك مسّه * واسال قرب الدّمع منك وافرغا
فليضحكنّك الدّهر منه اذا نبا * عنه وشبّ لكيده نار الوغى
وليمنزلنّ به الشّماتة اذا بدا * متخلّيًا من شغله متفرّغا
ولتسا ويّنّ له اذا ما خنّه * اضحى على ترب الهوان ممرّغا

وَوَصلتُ بهم الى الكَوْرِ بعدَ الحَورِ * حتّى انّهم اَشرَكُونِي فى المَرْتَعِ والمَربَع * واَحَلّونِي مَحَلَّ الاَنملة من الاِصْبع * واتّخذُوني ابنَ اُنْسِهم مَهْدَ الولاية والعَزْل * وخازِنَ سِرِّهم فى الجِدّ والهَزل * فاتّفقَ اَن نُدِبُوا فى بعضِ الاَوقات * لاِستقراءِ مَزارِعِ الرُّزْداقات * فاختارُوا مِن الجَوارِي المُنشِيات * جاريةً حالكَةَ الشِّيات * تَحْسَبُهـا جامدةً وهى تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب * وتَنْساب فى الحَبابِ كالحُبابِ * ثم دَعَونى الى المُوافقة * واستدعَوني للمُرافقة * فلمّا تورَّكْنا على المَطيّة الدَّهْماء * وتبطَّنّا الوَليّةَ الماشيةَ على الماء * اَلفَيْنا بها شيخًا عليه سَحَقُ سِربالٍ * وسِبُّ بالٍ * فعافَتِ الجماعةُ مَحْضَره * وعَنَّفَتْ من اَحْضَره * وهَمَّتْ بِاِبرازِهِ من السَّفينة * لولا ماثابَ اليها من السَّكينة * فلمّا لَمحِ منّا استثقالَ ظِلِّهِ * واستبرادَ طَلِّهِ * تعرَّض للمنافثةِ فصُمِّت * وحَمدَلَ بعد اَن عَطَس فما شُمِّت * فاَخْرَدَ يَنظُر فيما آلَتْ حالُه اليه * ويَنتظِرُ نُصرةَ المَبغِيِّ عليه * وجُلنا نحنُ في شُجونٍ * من جِدٍّ ومُجونٍ * الى اَنِ اعترَضَ ذِكْرُ الكِتابَتَين وفَضلِهما * وتبيانِ اَفضَلِهما * فقال قائلٌ اِنّ كَتَبَةَ الاِنشاءِ اَنبَلُ الكُتّاب * ومالَ مائلٌ الى تفضيلِ الحُسّاب * واحتَدَّ الحِجاجُ * وامتَدَّ اللَّجاجُ * واشتَدَّ الضِّجاجُ * حتّى اذا لم يَبقَ للجِدال مَطْرَحٌ * ولا للمِراءِ مَسْرَحٌ * قال الشيخُ لقد اَكثَرتُم يا قومِ اللَّغَطَ * واثرتُم الصَّوابَ والغَلَطَ * واِنّ جَلِيَّةَ الحُكمِ عندي * فارتَضُوا بنَقْدي * ولا تَستفتُوا اَحَدًا بَعدِي * اِعلَموا اَنّ صِناعةَ الانشاء اَرفَع * وصِناعةَ الحِساب اَنفَع * وقَلَمُ المُكاتبة خاطِبٌ * وقَلَمُ المحاسبة حاطِبٌ * واَساطيرُ البَلاغاتِ تُنسَخُ

أنا الذي تعرفهُ يا حارثُ * حِدثُ ملوكٍ فكهٌ منافِثُ
أطربُ ما لا تطربُ المثالِثُ * طوراً أخو جِدٍّ وطوراً عابِثُ
ما غيّرتني بعدكَ الحوادثُ * ولا التحى عودي خَطبٌ كارِثُ
ولا فرى نابي حدٌّ فارِثُ * بل مِخلبي بكل صيدٍ ضابِثُ
وكلّ سرحٍ فيه ذِئبي عائِثُ * حتى كأني للأنام وارِثُ
* سامُهم وحامُهم ويافِثُ *

قال الحارث بن همام * فقلتُ تاللهِ إنّك لابو زيدٍ * ولقد قُمتَ للهِ ولا عمرو بن عُبيدٍ *
فتهلّل تهلّلَ الكريم اذا أُمّ * وقال اسمع يا ابنَ أُمّ * نظم

عليك بالصدقِ ولو أنّه * أحرقكَ الصدقُ بنار الوعيد
وابغِ رِضا اللهِ فأغبى الورى * مَن أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم إنّه ودّع أخدانَه * وانطلق يسحبُ أردانَه * فطلبناهُ من بعدُ بالرَّيِّ * واستنشرنا خبرهُ من مدارجِ الطّيّ * فما نبينا من عرف قرارهِ * ولا دري ايَّ الجرادِ عارهُ *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارثُ بن همّام قال أويتُ في بعضِ الفترات * الى سقي الفرات * فلقيتُ بها كُتّاباً أبرع من بني الفرات * وأعذبَ أخلاقاً من الماءِ الفرات * فألطفتُ بهم لتهذّبهم * لا لذهبهم * وكاثرتُهم لأدبهم * لا لمآدبهم * فجالستُ منهم أضرابَ القعقاع بن شَور *

الی یوم الحساب * ولکان نظام المعاملات محلولا * وجرح الظلامات مطلولا * وجید التناصف مغلولا * وسیف التظالم مسلولا * علی ان یراع الانشاء متقوّل * ویراع الحساب متاوّل * والمحاسب مناقش * والمنشیٔ ابو براقش * ولکلیهما حمة حین یرقی * الی ان یلقی ویرقی * واعنات فیما ینشی * حتی یغشی ویرشی * الا الذین آمنوا وعملوا الصالحات وقلیل ما هم * قال الحارث بن همام فلما امتع الاسماع * بما راق وراع * استنسبناه فاستراب * وابی الانتساب * ولو وجد منسابا لانساب * فحصلت من لبسه علی غمة * حتی ادکرت بعد امة * فقلت والذی سخر الفلک الدوار * والفلک السیار * انی لاجد ریح ابی زید * وان کنت اعهده ذا ارواء وایدٍ * فتبسم ضاحکا من قولی * وقال انا هو علی استحالة حالی وحولی * فقلت لاصحابی هذا الذی لا یفری فریه * ولا یباری عبقریه * فخطبوا منه الود * وبذلوا له الوجد * فرغب عن الالفة * ولم یرغب فی التحفة * وقال اما بعد ان سحقتم حقی * لاجل سحقی * وکفنتم بالی * لاخلاق سربالی * فما اراکم الا بالعین السخینة * ولا لکم منی الا صحبة السفینة * ثم انشد *

نظم

اسمع اخی وصیة من ناصح * ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضیة مبتوتة * فی مدح من لم تبله او خدشه

وقف القضیة فیه حتی تجتلی * وصفیه فی حالی رضاه وبطشه

لتدرس * ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس * والمنشئ جهينة الاخبار * وحقيبة الاسرار * ونجي العظماء * وكبير الندماء * وقلمه لسان الدولة * وفارس الجولة * ولقمان الحكمة * وترجمان الهمة * وهو البشير والنذير * والشفيع والسفير * به تستخلص الصياصي * وتملك النواصي * ويقتاد العاصي * ويستدني القاصي * صاحبه بريء من التبعات * آمن كيد السعاة * مقرظ بين الجماعات * غير معرض لنظم الجماعات * فلما انتهى في الفصل * الى هذا الفصل * لحظ من لحظات القوم انه ازدرع حبا وبغضا * وارضى بعضا واحفظ بعضا * فعقب كلامه بان قال الا ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق * وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق * وقلم الحاسب ضابط * وقلم المنشئ خابط * وبين اتاوة توظيف المعاملات * وتلاوة طوامير السجلات * بون لا يدركه قياس * ولا يعتوره التباس * اذ الاتاوة تملأ الاكياس * والتلاوة تفرغ الراس * وخراج الاوارج يغني الناظر * واستخراج المدارج يعني الناظر * ثم ان الحسبة حفظة الاموال * وحملة الاثقال * والنقلة الاثبات * والسفرة الثقات * واعلام الانصاف والانتصاف * والشهود المقانع في الاخلاف * عند اشتجار الرجال * واشتعار الجدال * ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان * وقطب الديوان * وقسطاس الاعمال * والمهيمن على العمال * واليه المآب في السلم والهرج * وعليه المدار في الدخل والخرج * وبه مناط الضر والنفع * وفي يده رباط الاعطاء والمنع * ولولا قلم الحساب * لأودت ثمرة الاكتساب * ولا تصل التغابن

وَمُورًا لم تُدمِثها الخُطا * ولا اهتدَتْ اليه القَطا * حتّى وَرَدتُ حِمَى الخِلافة * والحَرَم
العاصِم من المَخافة * فسَرَوْتُ اِنجاسَ الرَّوْع واستشعارَه * وتَسربَلْتُ لِباسَ الأَمْنِ
وشِعارَه * وقصرتُ هَمِّي على لَذَّةٍ أَجْتَنِيها * ومُلْحةٍ أَجْتليها * فبرزتُ يومًا الى الحريم *
لأَروضَ طِرْفي * وأُجِيلَ في طُرَفِه طَرْفي * فاذا فُرسانٌ مُتتالُون * ورِجالٌ مُنثالُون * وشيخٌ
طويلُ اللِّسان * قصيرُ الطَّيْلَسان * قد لَبَّبَ فتًى جديدَ الشَّباب * خَلَقَ الجِلْباب * فركَضْتُ
اِثْرَ النَّظّارة * حتّى وافينا بابَ الاِمارة * وهُناك صاحِبُ المَعُونة مُتربِّعًا في دَسْتِه * ومُوَقَّرًا
بسَمْتِه * فقال له الشيخُ أَعَزَّ اللّٰهُ الوالِيَ * وجعل كَعْبَه العالِيَ * اِنّي كَفَلْتُ هذا الغُلامَ
فطيمًا * ورَبَّيتُه يتيمًا * ثُمَّ لم آلُهُ تعليمًا * فلمّا مَهَرَ وبَهَر * جَرَّدَ سَيْفَ العُدْوان وشَهَر *
ولم اَخَلْه يلتوي عليّ وينتفج * حين يَرْتوي مِنّي ويلتقح * فقال له الغلامُ علامَ عثَرْتَ
منّي * حتّى تَنشُرَ هذا الخِزْيَ عنّي * فواللّٰهِ ما سَتَرْتُ وَجْهَ بِرِّك * ولا هتكتُ حِجابَ
سِرِّك * ولا شَقَقْتُ عَصا أَمْرِك * ولا أَلْغيتُ تِلاوةَ شُكْرِك * فقال له الشيخُ وَيْلَك *
وأَيُّ رَيْبٍ أَخزى من رَيْبِك * وهل عَيْبٌ أَفحَشُ من عَيْبِك * وقد ادَّعيتَ سِحْري
واستَلْحقتَه * وانتحلتَ شِعْري واسترقتَه * واسترقُ الشِّعر عند الشُّعَراء * أَفظَعُ من سَرِقة
البَيْضاء والصَّفْراء * وغَيْرتُهم على بَناتِ الأَفكار * كغَيْرتِهم على البَناتِ الأَبكار * فقال
الوالي للشيخ وهل حين سَرَق سَلَخ * ام مَسَخ ام نَسَخ * فقال والّذي جعل الشِّعرَ دِيوانَ
العَرَب * وتَرجُمانَ الأَدَب * ما اَحدثَ سِوى اَن بَتَرَ شَمْلَ شَرْحِه * واَغارَ على ثُلُثَي

وَيَبِينَ خُلَّبُ بَرْقِهِ مِن صِدْقِهِ * لِلشَّائِمِينَ وَوَبْلُهُ مِن طَشِّهِ

فَهُنَاكَ إِنْ تَرَ مَا يَشِينُ فَوَارِهِ * كَرَماً وَإِنْ تَرَ مَا يَزِينُ فَأَفْشِهِ

وَمَنِ اسْتَحَقَّ الِارْتِقَاءَ فَرَقِّهِ * وَمَنِ اسْتَحَطَّ فَحُطَّهُ فِي حَشِّهِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ التِّبْرَ فِي عِرْقِ الثَّرَى * خَافٍ إِلَى أَنْ يُسْتَثَارَ بِنَبْشِهِ

وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا * مِن حَكِّهِ لَا مِن مَلَاحَةِ نَقْشِهِ

وَمِنَ الغَبَاوَةِ أَنْ تُعَظِّمَ جَاهِلًا * لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ

أَوْ أَنْ تُهِينَ مُهَذَّباً فِي نَفْسِهِ * لِدُرُوسِ بِزَّتِهِ وَرَثَّةِ فَرْشِهِ

وَلَكَمْ أَخِي طِمْرَيْنِ هِيبَ لِفَضْلِهِ * وَمُفَوَّفِ البُرْدَيْنِ عِيبَ لِفُحْشِهِ

وَإِذَا الفَتَى لَمْ يَغْشَ عَاراً لَمْ تَكُنْ * أَسْمَالُهُ إِلَّا مَرَاقِيَ عَرْشِهِ

مَا إِنْ يَضُرُّ العَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ * خَلَقاً وَلَا البَازِيَ حَقَارَةُ عُشِّهِ

ثم ما تمّ أنِ استوقف المَلَّاحَ * وَصعِدَ من السَّفِينَةِ وساحَ * فندِمَ كُلٌّ مِنَّا على ما فرَّط في ذاتِه * وأغضى جفنَهُ على قَذاتِه * وتعاهدْنا على أنْ لا نَحتقرَ شخصاً لِرثاثةِ بُرْدِه * وأنْ لا نزدري سَيْفاً مُخْبَراً في غِمْدِه *

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حكى الحارثُ بن همّام قال نَبا بي مَألَفُ الوَطَن * في شَرْخِ الزَّمَن * لخَطْبٍ خُشِيَ * وخَوفٍ فَشِيَ * فأرَقْتُ كأسَ الكَرى * ونَصَصْتُ رِكابَ السُّرى * وجُبْتُ في سَيْرِي

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ * إنَّها شَرَكُ الرَّدا

دارٌ متى ما أضحكَتْ * في يومِها أبكَتْ غدا

وإذا اظَلَّ سحابُها * لم يَنْتَقِعْ منه صَدا

فارأتُها ما تَنقضِي * وأسيرُها لا يُفتدَى

كَمْ مُزدهِي بغرورِها * حتّى بَدا مُتمرِّدا

قلبتْ لهُ ظَهرَ المِجَنِّ * واولَغَتْ فيه المُدى

فاربأ بعمرِك أن يَمُرَّ * مُضيَّعاً فيها سُدا

وانقطعْ علائِقَ حُبِّها * وطِلابِها تَلْقَ الهُدى

وارقُبْ اذا ما سالَمَتْ * من كَيدِها حَرْبَ العِدا

واعلَمْ بأنَّ خُطوبَها * تَفْجا ولو طالَ المَدا

فالتفتَ الوالي الى الغُلام * وقال تَبّاً لك من خِرِّيجٍ مارِقٍ * وبِئسَ المُندِس سارِق * فقال الفتى بَرِئتُ من الأدب وبَنِيه * ولَحِقتُ بمن يُناويه * وبُقَوِّض مَبانيه * إن كانت أبياتُهُ نَمَت الى عِلْمِي * قَبلَ أنْ أَلَّفتُ نَظمِي * وانّما اتّفقَ توارُدُ الخواطِر * كما قد يَقَعُ الحافِرُ على الحافِر * قال فكأنَّ الوالِيَ جَوَّزَ صِدقَ زَعمِه * فندِمَ على بادِرَةِ ذَمِّه * وظَلَّ يُفكِّر فيما يَكشِفُ له من الحقائق * ويُمَيِّزُ به الفائِقَ من المائِق * فلم يَرَ إلّا أخذَهما بالمُناضَلة * ولَزَّهما في قَرَنِ المُساجَلة * فقال لهما إنْ أَرَدتُما افتِضاحَ العاطِل * واتِّضاحَ الحقِّ من الباطِل *

شَرحِه * فقال اَنشِدْ اَبياتَك برُمّتِها * لِيَضِحَ ما اختارَه من جُملتِها * فَاَنْشَد *

نظم

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ اِنّها * شَرَكُ الرَّدى وقَرارةُ الاَكدارِ

دارٌ متى ما اَضحَكَتْ في يَومِها * اَبكَتْ غدًا بُعْدًا لها من دارِ

واذا اَظَلَّ سَحابُها لم يَنتَقِع * منه صَدًا لجَهامه الغَرّارِ

غاراتُها ما تَنقَضِى واسيرُها * لا يُفتدى بجَلائِلِ الاَخطارِ

كَمْ مُزْدَهًى بغرُورِها حتّى بَدا * مُتَمَرِّدًا مُتَجاوِزًا لِلمِقدارِ

قَلَبَتْ له ظَهرَ المِجَنِّ واَولَغَتْ * فيه المُدى ونَزَتْ لاَخذِ الثّارِ

فاَربَأْ بعُمرِك اَن يُمَرَّ مُضَيَّعًا * فيها سُدًى من غيرِ ما استِظهارِ

واقطَعْ علائِقَ حُبِّها وطِلابِها * تَلْقَ الهُدى ورفاهةَ الاَسرارِ

وارْقُبْ اذا ما سالَمَتْ من كَيدِها * حَرْبَ العِدى وتَوَثُّبَ الغَدّارِ

واعلَمْ بِاَنَّ خُطوبَها تَفْجا ولَوْ * طالَ المَدى وَوَنَتْ سُرى الاَقدارِ

فقال له الوالى، ثُم ماذا * صَنَعَ هذا * قال اَقدَمَ للّوْمِه فى الجَزاءِ * على ابياتِ الدُّاسِيَّةِ الاَجْزاءِ * فحذَفَ منها جُزئَيْن * ونَقَص من اَوزانِها وَزْنَين * حتّى صار الرُّزْءُ فيها رُزْئَيْن * فقال بيِّنْ ما اَخَذ * ومن اَيْنَ فَلَذ * فقال اَرعِنى سَمْعَك * واَخلِ للتفهُّمِ عنّى ذَرعَك * حتّى تتبيَّن كيف اَصلَتَ عَلَّى * وتَنْدُرَ نَدْرا جنراِمه اِلَىّ * ثُم اَنشَد * وانفاسُه تتَصعَّد *

نظم

ولولا تَتَلِّيه ثنيتُ أَعِنتي * بِدار آلى من أجتلي نُورَ بَدرِهِ

وانّي على تصريفِ أمري وأمرِهِ * أرى المُرَّ حُلوًا في انقيادِي لأمرِهِ

فلمّا أنشدها الوالي مُتَراسِلين * بُهِتَ لِذَكائِهِما المتعادِلَين * وقال أشهَدُ باللّهِ انكما فرقَد أسماءٍ * وكَزَندَينِ في وِعاءٍ * وانّ هذا الحَدَثَ لَيُنفِقُ مِمّا آتاهُ اللّهُ * ويستغني بوُجدِهِ عمّن سِواهُ * فتُبْ أيُّها الشيخُ من اتّهامِهِ * وتُبْ الى إكرامِهِ * فقال الشيخُ هَيهاتَ أن تُراجِعَهُ مِقَتي * اوتعلَقَ به ثِقَتي * وقد بَلَوتُ كُفرانَهُ للصنيع * ومُنِيتُ منه بالعُقوقِ الشنيع * فاعترضه الفتى وقال يا هٰذا إنّ اللّجاجَ شُؤمٌ * والحَنَقَ لُؤمٌ * وتحقيقُ الظِنّةِ إثمٌ * وإعنات البريء ظُلمٌ * وهَبني اقترفتُ جريرةً * اواجترحتُ كبيرةً * اما تذكُرُ اذ أنشَدتَني لنفسك * في إبّانِ أُنسِك *

نظم

سامِحْ أخاكَ اذا خَلَطْ * منه الاصابةَ بالغَلَطْ

وتجافَ عن تعنيفِهِ * إن زاغَ يومًا او قَسَطْ

واحفَظْ صنيعَكَ عندَهُ * شَكَرَ الصنيعةَ أم غَمَطْ

وأطِعْهُ إنْ عاصى وهُنْ * إنْ عَزَّ وادْنُ اذا شَحَطْ

واقْنَ الوفاءَ ولو أخَلَّ * بما اشترطتَّ وما اشترَطْ

واعلَمْ بأنّكَ إن طلبتَ * مُهَذَّبًا رُمتَ الشَّطَطْ

مَن ذا الذي ما ساءَ قَطُّ * ومَن له الحُسنى فَقَطْ

فتمرا سلا في النظم وتباريا * وتجا ولا في حلبة الاجازة وتجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيى من حي عن بينة * فقال له بلسان واحد * وجواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمرنا بامرك * فقال اني مولع من انواع الملاحة بالتجنيس * واراه لها كالرئيس * فانظما الآن عشرة ابيات تلحمانها بوشيه * وترصعانها بحليه * وضمنا ها شرح حالي * مع الف لي بديع الصفة * لمى الشفة * مليح التثني * كثير التيه والتجني * مغرى بتناسي العهد * واطالة الصد * واخلاف الوعد * وانا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجليا * وتلاه الفتى مصليا * وتجاريا ببتا فبيتا على هذا النسق * الى ان كمل نظم الابيات واتسق * وهي *

نظم

واحوى حوى رقي برقة لفظه * وغادرني الف السهاد بغدره

تصدى لقتلي بالصدود وانني * لفي اسره مذ حاز قلبي باسره

اصدق منه الزور خوف ازوراره * وارضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما * اجد عذابي جد بي حب بره

تناسي ذمامي والتناسي مذمة * واحفظ قلبي وهو حافظ سره

واعجب ما فيه التباهي بعجبه * واكبره من ان اقوه بكبره

له مني المدح الذي طاب نشره * ولي منه طي الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى * على وغيري يجتني رشف ثغره

ورخّص في جلوسي * ثمّ أفاض عليهما خلعتين * ووصلهما بنصاب من العين * واستعهدهما
ان يتعاشرا بالمعروف * الى إظلال اليوم المخوف * فنهضا من ناديه * مشيدين بشكر اياديه *
وتبعتهما لأعرف مثواهما * وأتزوّد من نجواهما * فلمّا اجزنا حمى الوالي * وافضينا
الى الفضاء الخالي * ادركني احد جلاوزته * مهيبا الى حوزته * فقلت لابي زيد ما اظنّه
استحضرني * الّا ليستخبرني * فماذا اقول * وفي ايّ وادٍ معه اجول * فقال بيّن له غباوة قلبه *
وتلاعبي بلبّه * ليعلم انّ ريحه لاقت اعصارا * وجدوله صادف تيّارا * فقلت اخاف ان يتّقد
غضبه * فيلفحك لهبه * او يستشري طيشه * فيسري اليك بطشه * فقال انّي ارحل الآن
الى الرّها * وانّى يلتقي سهيل والسّها * فلمّا حضرت الوالي وقد خلا مجلسه * وانجلى
تعبّسه * اخذ يصف ابا زيد وفضله * ويذمّ الدّهر له * ثمّ قال نشدتك الله ألست * الّذي اعاره
الدّست * فقلت لا والّذي اجلسك في هذا الدّست * ما انا بصاحب ذلك الدّست *
بل انت الّذي تمّ عليه الدّست * فازورّت مقلتاه * واحمرّت وجنتاه * وقال والله ما اعوزني
قطّ فضح مريب * ولا تكشيف معيب * ولكن ما سمعت بانّ شخصا دلّس * بعدما تطلّس *
فبهذا تمّ له ان لبّس * فما كنية ذلك القريد * فقلت ابو زيد * فقال انه بابي كيد * اليق
منه بابي زيد * افتدري اين مكمن ذلك اللّكع * قلت اشفق منك لتعدّي طوره *
فظعن عن بغداد من فوره * فقال لا قرّب الله له نوى * ولا كلأه اين ثوى * فما زاولت
اشدّ من نكره * ولا ذقت امرّ من مكره * ولولا حرمة ادبه * لاوغلت في طلبه * الى

أَوَما تَرى المحبوبَ والمكروهَ لُزَّا في نَمَط
كالشَوكِ يَبدُو في الغُصونِ معَ الجَنِيِّ المُلتَقَط
ولَذاذةُ العُمرِ الطَويلِ يَشوبُها نَغَصُ الشَمَط
ولَوِ انتَقَدتَ بَني الزَمانِ وَجَدتَ أَكثَرَهم سَقَط

قال فجَعَلَ الشيخُ يُنَضنِضُ نَضنَضةَ الصِّلّ * ويُحَملِقُ حَملَقةَ البازي المُطِلّ * ثم قال والذي زَيَّنَ السماءَ بالشُّهُب * وأنزَلَ الماءَ من السُّحُب * ما رَوغي من الاصطلاح * الا لِتَوَقّي الافتضاح * فانّ هذا الفتى اعنادَ أن أَمُونَه * وأُراعِيَ شُؤونَه * وقد كان الدهرُ يَبسُمُ فلم اكُن أَشُحّ * فأمّا الآنَ فالوقتُ عَبوسٌ * وحَشوُ العَيشِ بُؤسٌ * حتّى انّ يَزَّتي هذه عارةٌ * وبَيتي لا تَطورُبه فارةٌ * قال فرَقَّ لِمَقالِهما قَلبُ الوالي * وأوى لهما من غِيَرِ الليالي * وصَبا الى اختصاصِهما بالإسعاف * وأمَرَ النَّظّارةَ بالانصراف * قال الراوي وكنتُ مُتَشوِّقًا الى مَرأى الشيخِ لَعَلّي أَعلَمُ عِلمَهُ * اذا عاينتُ وَسمَهُ * ولم يكُنِ الزِحامُ يَسفِرُ عنه * ولا يُفرِجُ لي فأدنُو منه * فلمّا تَقَوَّضَتِ الصُّفوفُ * وأجفَلَ الوُقوفُ * توسَّمتُهُ * فاذا هو ابو زيدٍ والفتى فَتاهُ * فعَرَفتُ حينئذٍ مَغزاهُ فيما أتاهُ * وكِدتُ أنقَضُّ عليه * لأَستَعرِفَ اليه * فزَجَرَني بإيماضِ طَرفِه * واستوقَفَني بإيماءِ كَفِّه * فلَزِمتُ مَوقِفي * وأخَّرتُ مُنصَرَفي * فقال الوالي ما مَرامُك * ولأيِّما سَبَبٍ مُقامُك * فابتَدَرَه الشيخُ وقال انّه أَنيسي * وصاحِبُ ملبوسي * فتَبَسَّمَ عند هذا القولِ بتأنيسي *

اُولی الفَہْم * وجَلَس یفُضّ لَطائِم النَّثْرِ والنَّظْم * ونحنُ نَنزوِی من انبساطه * وننبری لطیّ بساطِه * الیٰ اَن غَنّی شادِینا المُغرِبُ * ومُغَرِّدُنا المُطرِبُ *

نظم

اِلامَ سُعادُ لا تَصلِینَ حَبلِی * ولا تاوِینَ لی ممّا اُلاقی

صَبَرتُ علیکِ حتّی عِیلَ صَبرِی * وکادَتْ تبلُغُ الرُّوحُ التَّراقی

وها انا قد عَزَمتُ علی انتصافٍ * اُساقی فیه خِلِّی ما یُساقی

فاِنْ وَصْلاً اَلَذَّ به فَوَصْلٌ * واِن صرمًا فصَرْمٌ کالطّلاق

قال فا ستفهمنا العابِثَ بالمَثانی * لِم نَصَبَ الوَصلَ الاوَّلَ ورَفَعَ الثّانِی * فاَقسمَ بتُربَةِ اَبَوَیْه * لقد نَطَق بما اختارَه سِیبَوَیه * فتَشَعّبَت حینئذٍ آراءُ الجَمْع * فی تجویزِ النَّصْبِ والرَّفع * فقالت فِرْقةٌ رَفْعُهما هو الصَّواب * وقالَتْ طائفةٌ لا یجوزُ فیهما الّا الانتصابُ * واستبهم علی آخرِینَ الجوابُ * واستَعَرَ بینهم الاصطخابُ * وذلک الواغِلُ یُبْدِی ابتسامَ ذی مَعْرِفةٍ * واِنْ لم یَفُهْ ببِنتِ شَفَةٍ * حتّی اذاسَکَنتِ الزَّماجِرُ * وصَمَتَ المزجورُ والزّاجِرُ * قال یا قومِ اَنا اُنَبِّئُکم بتاویله * واُمَیّزُ صحیحَ القول من علیلهِ * اِنّه لیَجُوز رفعُ الوَصلَین ونَصبُهما * والمُغایرةُ فی الاعراب بینهما * وذٰلکم بحَسَبِ اختلافِ الاِضمار * والتّقدیرِ المحذوفِ فی هٰذا المِضمار * قال ففَرَط من الجماعة اِفراطٌ فی مُماراته * وانخراطٌ الی مُباراتِه * فقال اَمّا اذا دَعوتُم نَزالِ * وتلبَّبتُم للنِّضالِ * فما کَلِمةٌ هی اِن شِئتُم حَرْفٌ محبوبٌ * او اسمٌ لِما فیه حَرْفٌ حلوبٌ * واَیُّ اسمٍ یتردّدُ بین فَرْدٍ حازمٍ * وجَمْعٍ مُلازِمٍ * واَیّةُ هاءٍ اذا

اَن يَقَع فاُوقِعَ به * وانِّي لَاَكْرَهُ اَن تَشِيْعَ فَعْلَتُهُ * بمدينةِ السَّلام * فاُفْتَضَحَ بين الاَنام * وتَنحَطَّ مكانتي عند الامام * واَصِيرَ ضُحْكَةَ الخاصِّ والعامّ * فعاهدني على اَنْ لا اَتَفَوَّهَ بما اعتمد * ما دُمْتُ حِلًّا بهذا البلد * قال الحارث بن همّام فعاهدتُه مُعاهدةَ مَن لاَ يتأول * ووفيتُ له كما وفى السَّمَوْأل *

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحارث بن همّام قال عاشرتُ بقطيعةِ الرّبيع * في اِبّانِ الرَّبيع * فِتْيَةً وُجوهُهم اَبْلَجُ من اَنْوارِهِ * واَخْلاقهم اَبْهَجُ من اَزْهارِهِ * واَلْفاظُهم اَرَقُّ من نسيم اَسْحارِهِ * فاجْتَلَيْتُ منهم ما يُزْرِي على الرّبيعِ الزاهِر * ويُغْنِي عن رَنّاتِ المَزاهِر * وكُنّا تقاسَمْنا على حِفْظِ الوِداد * وحَظْرِ الاستبداد * واَنْ لا ينفردَ اَحَدُنا بالتذاذ * ولا يستاثِرَ ولو بِرَذاذ * فاَجْمَعْنا في يومٍ سَماءُ دَجْنُهُ * ونَماءُ حُسْنُهُ * وحَكَمَ بالاصطباح مُزْنُه * على اَنْ نلْتَهِيَ بالخروج * الى بعض المروج * لِنَسْرَحَ النَّواظِر * في الرِّياضِ النّواضِر * ونَصْقُلَ الخَواطِر * بشَيْمِ المَواطِر * فبرَزْنا ونحن كالشُّهورِ عِدَّةً * وكَنَدْمانَيْ جَذِيْمَةَ مَوَدَّةً * الى حَدِيقةٍ اَخَذَتْ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ * وتَنَوَّعَتْ اَزاهيرُها وتَلَوَّنَتْ * ومعنا الكُمَيْتُ الشَّمُوس * والسُّقاةُ الشُّموس * والشّادي الذي يُطْرِبُ السامعَ ويُلْهِيْهِ * ويَقْرِي كُلَّ سمعٍ ما يَشْتَهِيْهِ * فلمّا اطمأنَّ بنا الجُلوس * ودارَتْ علينا الكُؤُوس * وَغَلَ علينا ذُو طِمْرٍ * عليهِ طِمْرٌ * فتجهّمْناه تجهُّمَ الغِيْدِ الشِّيْبَ * ووَجَدْنا صفوَ يومِنا قد شِيْبَ * اِلّا انّه سَلَّم تسليمَ

شُعلَةَ ذكائه * فكشَفَ حينئذٍ من اسرارِ الغازِه * وبدائعِ إعجازِه * ما جَلا بهِ صَدأ الأذهان * وجَلّى مَطالِعَه بنورِ البُرهان * قال الراوي فهِمْنا * حين فهمنا * وعجِبْنا * اذ اُجِبْنا * وندِمنا * على ما ندّ منّا * واخذنا نعتذرُ اليه اعتذارَ الاكياس * ونعرِضُ عليه ارتضاعَ الكاس * فقال مأرَبٌ لا حفاوةٌ * ومَشرَبٌ لم يَبقَ له عندي حلاوةٌ * ثم شمخ بأنفه صَلَفًا * ونأى بجانبه انَفًا * وانشد *

نظم

نهاني الشيبُ عمّا فيه افراحي * فكيف اجمعُ بين الراحِ والرّاحِ

وهل يجوزُ اصطباحي من مُعتَّقةٍ * وقد اَنارَ مَشيبُ الرأسِ اِصْباحي

آليتُ لاخامرتني الخمرُ ما علِقَتْ * روحي بجِسْمي والفاظي بافصاحي

ولا اكتسَتْ لي بكالساتِ السّلافِ يدٌ * ولا اَجلْتُ قِداحي بين اقداحِ

ولا صرفتُ الى صِرفٍ مُشعشعةٍ * همّي ولا رُحتُ مُرتاحًا الى راحِ

ولا نظمتُ على مشمولةٍ ابدًا * شملي ولا اخترتُ ندْمانًا سوى الصّاحِ

محا المشيبُ مِراحي حين خطّ على * راسي فأبغِضْ به من كاتبٍ ماحِ

ولاحَ يلحى على جَرْي العنانَ الى * مَلْهًى فسُحقًا له من لائحٍ لاحِ

ولو لهوتُ وفَوْدي شائبٌ لخبا * بين المصابيحِ من غسّانَ مِصْباحي

قومٌ سجاياهُمُ توقيرُ ضيفِهِم * والشيبُ ضيفٌ له التوقيرُ يا صاحِ

ثم انّه انساب انسيابَ الأيم * واجفَلَ اجفالَ الغيم * فعلِمتُ انّه سِراجُ سَروجَ * وبدرُ

التحقت أماطت الثقل * وأطلقت المعتقل * واين تدخل السين فتعزل العامل * من غير أن تجامل * وما منصوب أبدا على الظرف * لا يخفضه سوى حرف * وأيّ مضاف أخلّ من عرى الاضافة بعروة * واختلف حكمه بين مساء وغدوة * وما العامل الذى يتصل آخره بأوله * ويعمل معكوسه مثل عمله * وأيّ عامل نائبه أرحب منه وكرا * وأعظم مكرا * وأكثر لله تعالى ذكرا * وفي أيّ موطن يلبس الذكران * براقع النسوان * وتبرز ربات الحجال * بعمائم الرجال * واين يجب حفظ المراتب * على المضروب والضارب * وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * وفي وضعه الاول التزام * وفي الثاني الزام * وما وصف اذا أردف بالنون * نقص صاحبه في العيون * وقوّم بالدون * وخرج من الزبون * وتعرّض للهون * فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم * وزنة لددكم * ولو زدتم لزدنا * وان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من أحاجيه اللاتى هالت لما انهالت * ما حارت له الافكار وحالت * فلما أعجزنا العوم في بحره * واستسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية منه * ومن بغي التبرم به الى ابتغاء التعلم منه * فقال والذى نزّل النحو فى الكلام * منزلة الملح فى الطعام * وحجب مطالعه عن بصائر الطغام * لا أنلتكم مراما * ولا شفيت لكم غراما * او تخوّلني كلّ يد * ويختصّني كلّ منكم بيد * فلم يبق فى الجماعة الا من اذعن لحكمه * ونبذ اليه خبأ كمّه * فلما حصّله تحت وكائه * اضرم

ويكون التقدير في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءُه خيرٌ * اي ان حدث خيرٌ فجزاءُه خيرٌ * والوجهُ الرابعُ وهو اضعفُها اَنْ ترفعَ الاوّل على ما تقدّم شرحُه في الوجهِ الثالث وتنصب الثاني على ما بُيّن ذكره في الوجهِ الثاني ويكون التقدير اِنْ كان في عمله خيرٌ فهو يجزي خيرًا وعلى حسَبِ هذا التفسيرِ والمقدّراتِ المحذوفات فيه يجري اعراب البيتِ الذي غُنّيَ به ومما يُنتظم في هذا السِّلك قولهم المرءُ مقتولٌ بما قتَل به اِنْ سيفًا فسيفٌ واِنْ خنجرًا فخنجرٌ * واَمّا الكلمةُ التي هي حرفٌ محبوبٌ * او اسمٌ لما فيه حرفٌ حلوبٌ * فهي نَعَمْ اِنْ اردتَ بها تصديق الإخبار والعِدَةِ عند السّؤال فهي حرفٌ * واِن عَنَيتَ بها الإبلَ فهي اسم * والنَّعَم تذكّرُ وتؤنّث وتَنطلِق على الإبل وعلى كلِّ ماشيةٍ فيها إبلٌ * وفي الابلِ الحَرْفُ وهي الناقةُ الضامِرةُ * سُمّيتْ حرفًا تشبيهًا لها بحرْفِ السّيف * وقيل اِنّها الضَخْمَةُ تشبيهًا لها بحرْفِ الجبَل * واَمّا الاسمُ المتردِّد بين فَرْدٍ حازِمٍ وجَمْعٍ مُلازِمٍ فهو سراويلُ * قال بعضُهم هو واحدٌ جمعُه سَراويلاتٌ فعلى هذا القولِ هو فَرْدٌ وكَنى عن ضمّه الخَصْرَ بانّه حازِمٌ * وقال آخَرونَ بل هو جمعٌ وواحدُه سِرْوالٌ مثل شِمْلالٍ وشَماليلَ فهو على هذا القول جمعٌ ومعنى قولِه ملازِمٍ اي لا ينصرف وانّما لم ينصرِفْ هذا النوعُ من الجَمْع وهو كُلُّ جمعٍ ثالثُه الفٌ بعدَها حرفٌ مُشدَّدٌ او حرفان او ثلثةٌ اَوسطُها ساكنٌ لِثقلِه وتفرّدِه دون غيرِه من الجُموعِ بانْ لا نظيرَ له في الاَسماءِ الآحاد * وقد كَنى في هذه الاُحجيّة

الاَدَب الّذي يَجناب البُروج * وكان قُصارانا التحرّق لبُعدِهِ * والتفــرّق من بعْدِهِ *

تفسيرُ ما أُودِعَ هٰذه المقامة من النُكت العربيّة والاحاجيّ النحويّة

امّا صَدْرُ البيت الاخير من الأُغنيّة الّذي هو فان وَصْلا ألَذّ به فوصلٌ فانّه نظير قولِهم المَرءُ مَجزِيٌّ بعَمَله اِن خَيرًا فخيرٌ واِنْ شرًّا فشرٌّ * وهٰذه المسئلة أَودَعها سيبويه كِتابه وجَوَّز في اعرابها اربعة اوجُهٍ * احدُها وهو اَجوَدُها اَن تَنصِبَ خَيْرَن الاَوَّل وتَرفَعَ الثانِيَ * وتَنصِبَ شَرَّن الاوّل وترفَعَ الثانِيَ * ويكونُ تقديرُه ان كان عَمَلُه خيــرًا فجزاءُه خَيرٌ * وان كان عملُه شرًّا فجزاءُه شَرٌّ * فينتصِبُ الاوّلُ على انّه خَبَرُ كان ويرتفِعُ الثاني على انه خَبَرُ مبتدأٍ محذوف وقد حَذَفْتَ في هٰذا الــوجه كان واسمَها لدَلالة حرفِ الشرط الّذي هو اِنْ على تقديرهما وحذفتَ ايضًا المبتدأ لدلالة الفاءِ التي هيَ جوابُ الشرط عليه لانه كثيرًا ما يقَعُ بعدَها * والوَجْهُ الثاني ان تنصِبَهما جميعًا ويكونَ تقديرُ الكلام ان كان عملُه خيرًا فهو يُجزَى خيرًا وان كان عملُه شرًّا فهو يُجزَى شــرًّا فينتصِبُ الاَوّلُ على انه خَبَرُ كان وينتصب الثاني انتصابَ المفعولِ به * والوَجْهُ الثالِثُ ان تَرْفَعَهما جميعًا ويكونَ تقديرُ الكلام ان كان في عَمَلِه خَيرٌ فجزاءُه خَيرٌ فيرتفِعُ خَيرَن الاَوّلُ على انه اسم كان ويرتفع خيرن الثاني لانه خبرُ مبتدأٍ محذوف على ما بُيِّن في شرح الوجهِ الاوّل وقد يجوز ان يرتفِعَ خَيرٌ الاوّلُ على انه فاعل كان وتُجعَلُ كان المقدَّرة هٰهنا هي التامةَ التي تأتي بمعنى حَدَث ووَقَع فلا تَحتاجُ الى خَبَرٍ كقوله تعالى واِن كانَ ذُو عُسْرةٍ *

العامل الذی یتصل آخرہ باولہ و یعمل معکوسہ مثل عملہ فهو یا و معکوسها ای وکلتا هما من حروف النداء و عملهما فی الاسم المنادی سیان وان کانت یا اجول فی الکلام و اکثر فی الاستعمال و قد اختار بعضهم ان ینادی بای القریب فقط کالهمزة * واما العامل الذی نائبہ ارحب منہ وکرا واعظم مکرا واکثر للّٰہ تعالی ذکرا فهو باء القسم * وهذه الباء هی اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فی قولک اقسم باللّٰہ ولدخولها ایضا علی المضمر فی قولک بک لافعلن ثم قد ابدلت الواو منها فی القسم لانهما جمیعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنییهما لان الواو تفید الجمع والباء تفید الالصاق والمعنیان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور فی الکلام واعلق بالاقسام ولهذا الغز بانها اکثر للّٰہ تعالی ذکرا ثم ان الواو اکثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا علی الاسم ولا تعمل غیر الجر والواو تدخل علی الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ایضا مع نواصب الفعل وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوکر وعظم المکر * واما الموطن الذی فیه یلبس الذکران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف وذلک ما بین الثلثة الی العشرة فانہ یکون مع المذکر بالهاء ومع المونث بحذفها کقولہ تعالی سخرها علیهم سبع لیال وثمانیة ایام حسوما * والهاء فی غیر هذا الموطن من خصائص المونث مثل قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأیت کیف انعکس فی هذا الموطن

ممّا لا ينصرفُ بالمُلازِم * واما الهاءُ التى اذا التحقَتْ اماطَتِ الثِقل واَطلقتِ المُنْتقلَ فهى الهاءُ اللاحِقــةُ بالجمع المُقدَّم ذِكْرُه مثل صَيارِفةٍ وصَياقِلةٍ فينصرفُ هذا الجمعُ عند التحاقِ الهاءِ به لانَّها قداَصارَته الى مِثالِ الآحاد نحورَفاهِيَةٍ وكراهِيةٍ فخف بهذا السَّبَب وصُرِفَ لهٰذِه العِلّة * وقد كَنّى فى هذه الاُحْجِيّة عمالا ينصرف بالمُنتقَل كما كنّى فى التى قبلها عمّالا ينصرف بالمُلازِم * واما السينُ التى تَعْــزِلُ العامِلَ من غير ان تُجامِلَ * فهى التّى اذا دخلَتْ على الفعل المستقبل وفصلَتْ بَينه وبين اَنِ التى كانت قبل دخُولِها من اَدَواتِ النَّصب فيرتفِعُ حِينَئِذٍ الفعلُ ويَنْتقِلُ اَنْ عن كونها النا صبة للفعل الى اَن تَصِيرَ المُخفَّفَة من الثقيلة * وذٰلك كقوله سبحانَه * عَلِمَ اَن سيكُونَ مِنْكم مَرْضىٰ وتقديرُه عَلِمَ اَنّه سَيَكونُ * واما المنصوبُ على الظَّرْف الذى لا يَخْفِضُه سوى حرف فهو عندَ اذ لا يَجُرُّه غيرمِنْ خاصّة * وقولُ العامّة ذَهبتُ الى عِنْدِه لحنٌ * واما المضاف الذى اَخَلّ من عُرَى الاضافة بعُرْوةٍ * واختلَافَ حكمُه بين مَساءٍ وغُدْوةٍ * فهولَدُنْ * ولَدُنْ من الاسماءِ المُلازمةِ للاضافة وكل ما ياتى بعدَها فمجرورٌ بها الّا غُدْوةً فان العربَ نَصَبتْها بلَدُن لكَثْرةِ استعمالهم ايّاها فى الكلام ثم نَوَّنتْها ايضًا لِتُبَيِّنَ بذلك اَنَّها منصوبة لا اَنّها من نوع المجرورات التى لا تنصرِفُ * وعند بعض النحويين اَنَّ لَدُن بمعنىٰ عِنْد والصّحيحُ انّ بينهما فرقاً لطيفــا وهو اَنّ عندَ يَشْتَمِلُ معناها على ما هو في مُلْكِنك ومُكْنَتِك مما دنا منك وبَعُدَ عنك ولَدُنْ يَختصُّ معناها بما حَضَرك وقَرُبَ منك * واما

شِتا نِها الكالِح * وصِرِّها النافِح * ما عرفني جَهْد البَلاء * وعكفَ بي على الاصطلاء * فلم اكُنْ أزايل وجاري * ومستوقد ناري * الّا لضرورة أنْ فَعُ اليها * اواقامة جماعة أُحافِظُ عليها * فاضطررتُ في يومٍ جَوّه مُزمهرّ * ودَجْنُه مكفهرّ * الى ان برزتُ من كِنانِي * إلهم عنائي * فاذا شيخٌ عاري الجِلْدة * بادي الجِردة * وقد اعتمّ بريطة * واستثفر بفويطة * وحواليه جمعٌ كثيف الحواشي * وهو يُنشِد ولا يحاشي *

نظم

يا قوم لا ينبئكم عن فقري * أصدق من مُخبري اوان القُرِّ
فاعتبروا بما بدا من ضُرّي * باطن حالي وخفيّ أمري
وحاذروا انقلاب سِلْم الدهر * فانّني كنت نبيه القدر
آوي الى وفرٍ وحدٍّ يفري * تُفيد صُفري وتُبيد سُمْري
وتشتكي كُومي غداة أقري * فجرّ دا الدهر سيوف الغدر
وشنّ غارات الرزايا الغبر * ولم يزل يُسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض دري * وبار سعري في الورى وشعري
وصرت نِضوَ فاقةٍ وعُسر * عاري المطا مجرّدا من قشري
كانّني المغزل في التعرّي * لا دِفءَ لي في الصِّنّ والصِّنّبر
غير التضحّي واصطلاء الجمر * فهل خِضَمٌّ ذو رداء غَمر
يسترني بمطرفٍ او طِمر * طِلابَ وجه الله لا لِشكر

حكمُ المذكّر والمونّث حتى انقلبَ كلٌّ منهما في ضدّ قالَبه * وبرزَ في بزّة صاحِبه * واما الموضعُ الذي يَجِبُ فيه حِفظُ المَراتِب على المضروب والضارب فهو حيث يشبهُ الفاعلُ بالمفعولِ لتعذُّرِ ظُهورِ علامة الإعراب فيهما او في أحدِهما * وذلك اذا كانا مَقْصُورَيْن مِثلَ موسى وعيسى او من أسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجبُ حينئذٍ لإزالةِ اللّبس اقرارُ كلٍّ منهما في رُتبَتِه ليُعرَف الفاعلُ منها بتقدمه والمفعولُ بتاخّرِه * واما الاسمُ الذي لايُفْهَم الا باستضافة كلمتين او الاقتصارِ منه على حرفين فهو مَهْما وفيها قولان أحدُهما انّها مُركَّبةٌ من مَهْ التى بمعني اُكْفُفْ ومِنْ ما والقولُ الثاني وهو الصحيحُ انّ الاصلَ فيها ما فزيدَتْ عليها ما اُخرى كما تُزادُ على إن فصار لفظُها ما ما فاستَثقلوا تَوالي كلمتَين بلفظٍ واحدٍ فابدلوا من الالِف الأُولى هاء فصارتا مَهْما * ومهما من أدواتِ الشرط والجزاءِ ومتى لَفظتَ بها لم يَتِمّ الكلامُ ولاعقل المعنى الّا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعَلْ افعَلْ وتكون حينئذٍ مُلتزِما للفعل وإن اقتصرْتَ منها على حرفين وهما مَهْ التى بمعنى اكْفُفْ فُهِم المعنى وكُنتَ مُلزِمًا مَن خاطبتَه أن يَكُفَّ * واما الوصفُ الذى اذا رُدِف بالنون نَقَص صاحبُه في العُيون وقُوّم بالدّون وخَرَج من الزَّبون وتعرّضَ للهُون فهو ضَيفٌ * اذ الحِقتْه النّونُ استحالَ الى ضَيفنٍ وهو الّذى يتبَعُ الضّيفَ * ويَتنزّل في النّقد منزِلةَ الزَّيف *

المقامة الخامسة والعشرون الكَرَجية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَتَوْتُ بالكَرَج لدَيْنٍ أقتضِيه * وأرَبٍ اَقضِيه * فبلَوتُ من

الرِّعْدة * واقشعرّا الجِلدة * فعمدتُ لفروةٍ هي بالنّهار رِياشي * وفي الليل فراشي *
فنضوتُها عنّي * وقلتُ له اقبلْها منّي * فما كذّب أن افتراها * ومِنّي تَراها * ثمّ انشدَ *

نظم

للّــه مَنْ ألبسنِي فروةً * أضحتْ من الرِّعْدةِ لي جُنَّهْ
ألبسنِيها واقيــاً مُهجتي * وُقِيَ شرَّ الانسِ والجِنَّــهْ
سيلبسُ اليومَ ثنائِي وفي * غدٍ سيكسَى سُندُسَ الجَنّــهْ

قال فلمّا فتنَ قلوبَ الجماعة * بافتنانه في البراعة * ألقوا عليه من الفِراء المُغشّاة * والجِبابِ المُوشّاة * ما آدَهُ
ثِقلُه * ولم يكدْ يُقِلُّه * فانطلقَ مُستبشراً بالفرَج * مستسقِياً للكرَج * وتبعتُه الى حيثُ ارتفعتِ التَّقِيّة *
وبدتِ السّماءُ نقيّة * فقلتُ له لشدّ ما قرسكَ البردُ * فلا تتعرَّ من بعدُ * فقال ويكَ ليس
من العدلِ * سرعةُ العذلِ * فلا تَعجلنَّ بلــومٍ هو ظُلمٌ * ولا تقفُ ما ليس لكَ به علمٌ *
فوالّذي نوّر الشيبة * وطيّب تُربةَ طَيبةَ * لو لم أتعرَّ لرحتُ بالخيبة * وصِفرِ العيبــة *
ثمّ نزعَ الى الفِرار * وتبرقعَ بالاكفهرار * وقالَ أما تعلمُ ان شِنشِنتي الانتقالُ من صيدٍ
الى صيدٍ * والانعطافُ من عمرٍو الى زيدٍ * وأراكَ قد عُقتَني * وسقفتَني * وأفتَّني *
أضعافَ ما أفدتَني * فاعفِني عافاك الله من لغوِك * واسدُدْ دوني بابَ جِدِّك ولهوِك *
فجبذتُه * جبذَ التِلعابة * وجعجعتُ به للدّعابة * وقلتُ له والله لو لم أُوارِكَ * وأُطْلِعْ
على عَوارك * لما وصَلتَ الى صِلة * ولا انقلبتَ اكمى من بَصَلة * فجازِني عن إحساني

ثم قال یا أرباب الثراء * الرافلین فی الفراء * من أوتی خیراً فلینفق * ومن استطاع أن
یرفق فلیرفق * فإن الدنیا غدور * والدهر عثور * والمکنة زورة طیف * والفرصة مزنة
صیف * وإنی واللہ لطالما تلقیت الشتاء بکافاته * وأعددت الأهب له قبل موافاته * وها
أنا الیوم یا سادتی * ساهدی وسادتی * وجلدتی بردتی * وحفنتی * جفنتی * فلیعتبر
العاقل بحالی * ولیبادر صرف اللیالی * فإن السعید من اتعظ بسواه * واستعد لمسراه * فقیل
له قد جلوت علینا أدبک * فأجل لنا نسبک * فقال تباً لمفتخر * بعظم نخر * إنما الفخر
بالتقی * والأدب المنتقی * ثم أنشد *

نظم

لعمرک ما الإنسان إلا ابن یومه * علی ما تجلی یومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرمیم وإنما * فخار الذی یبغی الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفاً * واجرنثم مقفقفاً * وقال اللهم یا من عمر بنواله * وأمر بسؤاله *
صل علی محمد وآله * وأمنی علی البرد وأهواله * وأتح لی حراً یؤثر من خصاصة *
ویواسی ولو بقصاصة * قال الراوی فلما جلی عن النفس العصامیة * والملح الأصمعیة *
جعلت ملامح عینی تعجمه * ومرامی لحظی ترجمه * حتی استبنت أنه أبو زید *
وأن تعریه أحبولة لصید * ولمح هو أن عرفانی قد أدرکه * ولم یأمن أن یهتکه * فقال
أقسم بالسمر * والقمر * والزهر * والزهر * إنه لن یسترنی إلا من طاب خیمه * وأشرب
ماء المروءة أدیمه * فعقلت ما عناه * وإن لم یدر القوم معناه * وساءنی ما یعانیه من

وَاَحسَنَ الرَّدَّ عليَّ * وقال اَلا تَجلِسُ الى من تَرُوقُ فُكاهَتُه * وتَشُوقُ مُفاكَهَتُه * فجلَسْتُ
لاغتنامِ مُحاضَرتِه * لا للانتقامِ مما بحضرتِه * فحين سَفَرَ عن آدابِه * وكَشَرَ عن اَنْيابِه *
عَرَفْتُ انه ابو زيد بحُسْنِ مُلَحِه * وقُبْحِ قَلَحِه * فتعارَفْنا حِينئذٍ * وحَفَّتْ بي فَرْحتان
ساعتئذٍ * ولم اَدْرِ بِاَيِّهِما اَنا اَصفى فَرَحًا * واَوْفى مَرَحًا * اَبِاِسْفارِه * من دُجُنَّةِ اَسْفارِهِ *
ام بخِصْبِ رِحالِه * بعدَ اِمْحالِه * وتاقَتْ نَفْسِي الى اَنْ اَفُضَّ خَتْمَ سِرِّهِ * واَبْطُنَ داعِيَةَ
يُسْرِهِ * فقلتُ له من اَيْنَ اِيابُك * والى اَيْنَ انسيابُك * وبِمَ امتَلأَتْ عِيابُك * فقال
اَمّا المَقْدَمُ فمن طُوس * واَمَّا المَقصدُ فالى السُّوس * واَمَّا الجِدَةُ التّي اَصَبْتُها * فمن
رسالةٍ اقتضَبْتُها * فسَأَلتُه اَن يَفْرُشَنِي دِخْلَتَه * ويَسْرُدَ عليَّ رِسالتَه * فقال دُونَ مَرامِك
حَرْبُ البَسُوس * اوتَصْحَبَنِي الى السُّوس * فصاحبتُه اليها قَهْرًا * وعكَفْتُ بها عليه شَهْرًا *
وهو يُعَلِّلُني بِكاذباتِ التعليل * ويُجَرِّرُنِي اَعِنَّةَ التأْميل * حتّى اذا حَرِجَ صَدْرِي * وعِيلَ
صَبْرِي * قلتُ له اِنَّه لم يَبْقَ لك عِلَّةٌ * ولا لِيَ تَعِلَّةٌ * وفي غدٍ اَزْجُرُ غُرابَ البَيْن * واَرْحَلُ
عنك بخُفَّيْ حُنَيْن * فقال حاشَ للّه اَن اُخالِفَك * او اُخالِفَك * وما اَرْجَأْتُ ان اُحَدِّثَك *
الّا لاُلَبِّثَك * واذا كنتَ قد استَرَبْتَ بِعِدَتِي * واَغراكَ ظَنُّ السُّوْءِ بمُباعَدَتِي * فاَصِخْ لِقَصَصِ
سِيرَتِي المُمْتَدَّة * واَضِفْها الى اَخْبارِ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّة * فقلتُ هاتِ فما اَطْوَلَ طِيَلَك * واَهْوَلَ
حِيَلَك * فقال اعلَمْ اَنَّ الدَّهْرَ العَبُوس * اَلْقانِي الى طُوس * وانا يومئذٍ فقيرٌ وَقِيرٌ *
لا فَتِيلَ لي ولا نَقِيرٌ * فاَلْجَأَنِي صِغَرُ اليَدَيْن * الى التطَوُّقِ بالدَّيْن * فادَّنْتُ لِسُوْءِ

اليک * وستري لک وعليک * بان تسمح لي ببرد الفروة * او تعرفني کافات الشتوة * فنظر اليّ نظر المتعجب * وازمهرّ ازمهرار المتغضب * ثم قال امّا ردّ الفروة فابعد من ردّ امس الدابر * والميت الغابر * واما کافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنک * واوهى وعاء خزنک * حتى انسيت ما انشدتک بالدسکرة * لابن سکّرة * نظم

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

کنّ وکيس وکانون وکاس طلاً * بعد الکباب وکسّ ناعم وکسا

ثم قال لجواب يشفي * خير من جلباب يدفي * فاکتف * بما وعيت وانکفي * ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي * وحصلت على الرعدة طول شتوتي *

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همّام قال حللت سوق الاهواز * لابساً حلّة الاعواز * فلبثت فيها مدة * اکابد شدة * وازجي اياماً مسودة * الى ان رأيت تمادي المقام * من موادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلل البالي * وظعنت من ونشلها کميش الازار * راکضاً منها الى المياه الغزار * حتى اذا سرت منها مرحلتين * وبعدت مسرى ليلتين * ترائت لي خيمة مضروبة * ونار مشبوبة * فقلت آتيهما لعلي انقع صدى * او اجد على النار هدى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلمة روقة * وشارة مرموقة * وشيخاً عليه بزّة سنية * ولديه فاکهة جنية * فحييته * ثم تحاميته * فضحک الىّ *

مناظمُ شَرَفِه تأْتَلِفُ * وشُؤْبُوبُ حِبائه يكِفُ * ونائِلُ يدَيْهِ فاضَ * وشُحُّ قَلْبِه فاضَ *
وخُلُقُ سَخائه يُحْتلبُ * ونَهَبُ حِبائِه يُحْتَرَبُ * من لَفَّ لِفَّه فلَجَ وغلَبَ * وتاجِرُ بابِه
جلَبَ وخلَبَ * كَفَّ عن هَضْمِ بَرِيّ * وبرِئَ من دَنَسِ غَوِيّ * وقرنَ ايانَهُ بعِزٍّ * ونَكَّبَ
عن مَذْهَبِ كَزٍّ * ليس بوَثّابٍ عند نُهْزَةِ شَرٍّ * بل يَعِفُّ عِفَّةَ بَرٍّ *

نظم

فلذا يُحَبُّ و يُسْتَحَقُّ عَفافُهُ * شَغَفًا به فلُبابُهُ خَلّابُ

اَخْلاقُهُ مُرْتَرِفٌ و فوْقَهُ * فوُقًا ان انا ضَلْتَهُ فَلّابُ

سُجُحٌ يَهِشُّ و نُوْ تَلافٍ ان هَفا * خِلٌّ فليس بحَقّهِ يُرْتابُ

لا باخِلٌ بل باذِلٌ خِرْقٌ اذا * يَعْتَرْبرِ زُلا يليه بابُ

انْ عَضَّ ازْلٌ فلَّ غَرْبَ عِضاضِهِ * بمَنابهِ فانحتّ منه نابُ

وجَدِيرٌ بمَنْ لَبَّ وفطَنَ * وقرُبَ وشطَنَ * انْ اَذْعَنَ لقَـرِيعِ زَمَنٍ * وجابِرِ زَمِنٍ *
مُذْ رَضَعَ ثَدْيَ لِبانِه * خُصَّ بإفاضةِ تَهْتانِه * نَعَشَ وفرَّجَ * وضافرَفا بهَجَ * ونافرَفازَهَ *
وفاءَ بحَقِّ ابلَجَ * اتعَبَ مَنْ سَيَلِي * رقَرِطَانَ هُزَوبِلِي * وتوّجَ صِفاتِه * بِحُبِّ عُفاتِه *

نظم

فَلا خَلا نَابَهْجةٍ * يَمْتَدُّ ظِلَّ خِصْبِهِ

فانّه بَرٌّ بمَنْ * آنَسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ

زانَ مَزايا ظَرْفِهِ * بِلُبْسِ خَوْفِ رَبِّهِ

الاتفاق * ممن هو عسر الاخلاق * و توهمت تمنى النفاق * فتوسعت فى الانفاق *
فما افقت حتى بهظنى دين ارزمنى حقه * ولازمنى مستحقه * فحرت فى امرى * واطلعت
غريمى على عسرى * فلم يصدق املاقى * ولا نزع عن ارهاقى * بل جد فى التقاضى *
ولج فى اقتيادى الى القاضى * وكلما خضعت له بالكلام * واستنزلت منه رفق الكرام *
ورغبته فى ان ينظرلى بمياسرة * او ينظرنى الى ميسرة * قال لا تطمع فى الانظار *
واحتجان النضار * فوحقك ما ترى صالك الخلاص * او تريني سبائك الخلاص *
فلما رأيت احتداد لدده * وان لا مناص لى من يده * شاغبته * ثم واثبته * ليرافعنى
الى والى الجرائم * لا الى الحاكم فى المظالم * لما بلغنى من افضال الوالى و فضله * و تشدد
القاضى و بخله * فلما حضرنا باب اميرطوس * آنست ان لا باس ولا بؤس *
فاستدميت دواة وقطا * وانشأت اليه رسالة رقطا * وهى اخلاق سيدنا تحب * وبعقوته
يلب * وقربه تحف * ونأيه تلف * وخلته نسب * وقطيعته نصب * وغربه ذلق *
وشهبه تأتلق * وظلفه زان * وقويم نهجه بان * وذهنه قلب وجرب * ونعته شرق وغرب *

نظم

سيد قلب سبوق مبر * فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف اغر فريد * نابه فاضل ذكى انوف
مغلق ان ابان طب اذا نا * ب هياج وجل خطب مخوف

فمنه بغنمين * وأبتُ الى وطني قريرالعين * بما حزتُ من الرسالة والعين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارثُ بن همّام قال ملتُ في ريّق زماني الّذي غبر الى مجاورة اهل الوبر * لآخذ اخذ نفوسهم الأبيّة * والسنتهم العربيّة * فشمّرتُ تشمير من لا يألو جهدًا * وجعلتُ اضربُ في الارض غورًا ونجدًا * الى ان اقتنيتُ هجمةً من الرّاغية * وثلّةً من الثاغية * ثم آويتُ الى عربٍ اردافِ اقيالٍ * وابناءِ اقوالٍ * فأوطنوني امنع جنابٍ * وفلّوا منّي حدّ كلّ نابٍ * فما تأوّبني عندهم همٌّ * ولا قرع صفاتي سهمٌ * الى ان اضللتُ في ليلةٍ منيرة البدر * لقحةً غزيرة الدّرّ * فلم اطب نفسًا بالغاء طلبها * والقاء حبلها على غاربها * فقدتُ فرسًا محضارًا * واعتقلتُ لدنًا خطّارًا * وسريتُ ليلتي جمعاء * اجوب البيداء * واقتري كلّ شجراء ومرداء * الى ان نشر الصبحُ راياته * وحيعل الدّاعي الى صلواته * فنزلتُ عن متن الرّكوبة * لاداء المكتوبة * ثم جلتُ في صهوتها * وفررتُ من شحوتها * وسرتُ لا ارى انزًا الّا قفوتُه * ولا نشزًا الّا علوتُه * ولا واديًا الّا جزعته * ولا راكبًا الّا استطلعته * وجدّي مع ذلك يذهب هدرًا * ولا يجد وردُه صدرًا * الى ان حانت صكّة عميّ * ولفح هجير يذهل غيلان عن ميّ * وكان يومًا اطول من ظلّ القناة * واحرّ من دمع المقلات * فأيقنتُ انّي ان لم استكنّ من الوقدة * وانجم بالرّقدة * ان نفني اللّغوب * وعلقت بي شعوب * فعجتُ الى سرحةٍ كثيفة الاغصان * وريقة الافنان * لا قرر

فليهن سيدنا فوزه * بمفاخر تأتلت * وجلت * وفوته بصنائع تمت * ونمت * ويلائم
قرب حضرته * غوث رقه بحظ من حظوته * فانه تليد ندب * وشريد جدب * وجريح
نوب اترت * وناظم قلائد تسيرت * اذا جاش بخطبة فلا يوجد قائل * ثم قس ثم باقل *
فان حبر قلت حبر نمنمت * وخلت رياضا قد نمت * هذا ثم شربه برض * وقوته
قرض * وفلقه غسق * وجلبابه خلق * وقد قلق لتوفر غريم غاشم * يستحثه بحق لازم *
فان من سيدنا بكفه * بهبات كفه * توشح بمجد فاق * وباء باجر فكي من وثاق *
لا خلت سجايا خلقه * ترفد شائم برقه * بمن رب ازلي * حي ابدي * قال فلما استشف
الامير لآليها * ولمح السر المودع فيها * اوعز في الحال بقضاء ديني * وفصل ما بين
خصمي وبيني * ثم استخلصني لمكاثرته * واختصني بأثرته * فلبثت بضع سنين انعم
في ضيافته * وارتع في ريف رافته * حتى اذا اغمرتني مواهبه * واطال ذيلي ذهبه *
تلطفت في الارتحال * على ما ترى من حسن الحال * قال فقلت له شكرا لمن اتاح لك
لقيان السمح الكريم * وانقذك به من ضغطة الغريم * فقال الحمد لله على سعادة الجد *
والخلوص من الخصم الألد * ثم قال أيما احب اليك ان احذيك من العطاء *
أم اتحفك بالرسالة الرقطاء * فقلت املاء الرسالة احب الي * فقال وهو وحقك
اخف علي * فان نحلة ما يلج في الآذان * اهون من نحلة ما يخرج من الأردان *
ثم كأنه انف واستحيا * فجمع لي بين الرسالة والحذيا * ففزت منه بسهمين * وفصلت

و متی اهتزّ للدّنا ءة نکس * ماف طبعی طباعه واهتزازه

فالمنا یا ولا الدّنا یا وخیر * من رکوب الخنا رکوب الجنازه

ثمّ رفع الیّ طرفه * وقال لأمرٍ مّا جدع قصیرٌ انفه * فاخبرته خبر ناقتی الشّارحة * وما عاینته فی یومی والبارحة * فقال دع الالتفات * الی ما فات * * والطّماح * الی ما طاح * ولا تأس علی ما ذهب * ولو انّه وادٍ من ذهب * ولا تستمل من مال عن ریحک * وأضرم نار تباریحک * ولو کان ابن بوحک * او شقیق روحک * ثمّ قال هل لک فی ان تقیل * وتتحامی القال والقیل * فانّ الابدان انضاء تعب * والهاجرة ذات لهب * ولن یصقل الخاطر * وینشط الفاتر * کقائلة الهواجر * وخصوصًا فی شهری ناجر * فقلت ذاک الیک * وما ارید ان اشقّ علیک * فافترش التّرب واضطجع * واظهر ان قد هجع * وارتفقت علی ان احرس * ولا انعس * فاخذتنی السّنة * لمّا زمّت الالسنة * فلم افق الّا واللّیل قد تولّج * والنّجم قد تبلّج * ولا السّروجی ولا المسرج * فبتّ بلیلة نابغیّة * واحزانٍ یعقوبیّة * اساور الوجوم * واساهر النّجوم * افکرتارةً فی رحلتی * واخری فی رجعتی * الی ان وضح لی عند افترار ثغر الضّوء فی وجه الجوّ * راکبٌ یخدّ فی الدّوّ * فالمعت الیه بثوبی * ورجوت ان یعرّج الی صوبی * فلم یعبأ بالماعی * ولا اوی لالتیاعی * بل سار علی هینته * واصمانی بسهم اهانته * فاوفضت الیه لاستردفه * واحتمل تغطرفه * فلمّا ادرکته بعد الأین * واجلت فیه مسرح العین * وجدت ناقتی مطیّته * وضالّتی لقطته * فماکذبت

تحتها الى المُغَيرِبان * فو اللّهِ ما استَرْوَحَ نَفْسِي * ولا استراحَ فرسي * حتّى نظَرْتُ الى سانِحٍ * في هَيْئَةِ سائِحٍ * وهو يَنْتَجِعُ نُجْعَتِي * ويَشْتَدُّ الى بُقْعَتِي * فكرِهتُ انعياجَه الى مَعاجِي * واستعَذْتُ بالله من شرِّ كلِّ مُفاجِي * ثم ترَجّيتُ ان يتصدّى مُنْشِدًا * او يتبدّى مُرْشِدًا * فلمّا اقترَبَ من سَرْحتي * وكادَ يحُلُّ بساحتي * اَلْفَيْتُه شيخَنا السَّرُوجِيّ مُتَّشِحًا بجِرابِه * ومُضطَغِنًا اُهْبَةَ تَجوابِه * فآنَسَنِي اذ وَرَدَ * وانسانِي ما شَرَدَ * ثم استوضَحتُه من اَيْنَ اَثَرُه * وكيفَ عُجَرُه وبُجَرُه * فانشدَ بديهًا * ولم يَقُلْ اِيهًا *

نظم

قُلْ لِمُستطلِعٍ دَخِيلَةَ اَمْرِي * لكَ عِندِي كَرامةٌ وعَزازَه

اَنا ما بَيْنَ جَوْبِ ارضٍ فارضٍ * وسُرًى في مَفازةٍ فمَفازَه

زادِيَ الصَّيْدُ والمَطِيَّةُ نَعْلِي * وجِهازِي الجِرابُ والعُكّازَه

فاذا ما هَبطتُ مِصْرًا فبَيْتِي * غُرفَةُ الخانِ والنَّدِيمُ جُزازَه

لَيْسَ لي ما اُساءُ اِنْ فاتَ اوْ اُخْزَنُ اِنْ حاوَلَ الزَّمانُ ابتِزازَه

غيرَ اَنِّي اَبِيتُ خِلْوًا مِنَ الهَمِّ ونَفْسِي مِنَ الاَسَى مُنْحازَه

اَرْقُدُ اللَّيلَ مِلْأَ جَفْنِي وقَلْبِي * بارِدٌ من حرارةٍ وحَزازَه

لا اُبالِي من اَيِّ كأْسٍ تعَوَّفْتُ ولا حَلاوةٌ من مَزازَه

لا ولا اَستَجِيزُ اَنْ اَجعَلَ الذُّلَّ مَجازًا الى تَسَنِّي اِجازَه

واذا مَطْلَبٌ كَسا حُلَّةَ العارِ فبُعْدًا لِمَنْ يَرُومُ نَجازَه

اِنْ يَكُنْ ساءَكَ اَمْسِي * فلقد سَرَّكَ يَوْمِي

فاغتفِرْ ذاكَ لِهٰذا * واطَّرِحْ شُكْرِي ولَوْمِي

ثُم قال انا تَئِق * وَانْتَ مَئِق * فكيفَ نَتَّفِق * ثُم وَلَّى يَفرِي اَدِيمَ الاَرْض * ويَرْكُضُ طِرْفَهُ اَيما رَكض * فما عدوتُ اَنِ اقتعدتُّ مَطيَّتِي * وعُدتُّ لِطيَّتِي * حتّى وصلتُ الى حِلّتِي * بعد اللُّتَيَّا والَّتِي *

تفسيرُ ما اُودِعَ هذه المَقامَة من الاَلفاظِ اللُّغَوِيَّة والاَمثالِ العَرَبِيَّة

قوله * رَيِّقِ زمانِي يعني اَوَّلَه ورايقه وقد يُخَفَّفُ فيقال رَيْقٌ * قوله * لِآخُذَ اَخْذَهُم وسِيرَهم الاَبيَّة يعني اَقتدي بِهم يقال منه اَخَذ اِخْذَه واَخْذَه بكسر الهَمزة وفَتْحِها * والهَجمةُ نَحْوُ المائة من الإِبل * والثَّلَّةُ القَطِيعُ من الغَنَم * والراغِيَةُ الابِلُ والثاغِيَةُ الشاءُ ومنه قولُهم مالَه راغِيَةٌ ولا ثاغِيَةٌ اي لا ناقَةٌ ولا شاةٌ * وقولُه * اَردافُ اَقيالٍ اي يَخْلُفون المُلوكَ اذا غابُوا * وقولُه اَبناءُ اَقوالٍ اي فُصَحاءُ يقال للمِنْطِيقِ اِنّه ابنُ اَقوالٍ * وقولُه فتَدَ ثرتُ فرسًا مِحْضارًا التَّدَثُّرُ الوُثوبُ على ظَهْرِ الفَرس * والمِحضارُ والمِحْضيرُ الشَّديدُ العَدْوِ ماخوذٌ من الحُضْر * وقولُه اَقتري كُلَّ شَجْراءَ ومَرْداءَ الاقتِراءُ تتبُّعُ الارضِ * والشَّجْراءُ ذاتُ الشَّجَر * والمَرْداءُ الخالِيَةُ من النَّبات ومنه اشتقاقُ الاَمْرَدِ لخُلُوِّ وَجْهِه من الشَّعْر * وقولُه حَيْعَلَ الدّاعي الى الصلواتِ يَعْنِي به قولَ المُؤَذِّنِ حَيَّ على الصلوٰة وحَيَّ على الفَلاح والمصدرُ منه الحَيْعَلَةُ * ومثلُه من المصادِرِ الهَيْلَلَةُ * والحَوْلَقَةُ * والبَسْمَلَةُ *

آنْ اَذْ رَيتُهُ دونَ سَنامِها * وجاذَبتُهُ طَرفَ زِمامِها * وقلتُ اَنا صاحِبُها ومُضِلُّها * ووَلِيُّ رِسْلِها ونَسْلِها * فلا تكُنْ كاشْعَبَ * فتتعِبَ وتَتْعَبَ * فَاَخَذَيَلْدَغُ ويَصْمِي * ويَنْقِمُ ولا يَسْتَحْيِي * وبَيْنا هو يَنْزُو ويَلِيْنُ * ويَسنا سِدُ ويَستكِيْنُ * اذ غَشِيَنا ابو زيدٍ لا بِساً جِلْدَ النَّمِر * وهاجِماً هُجومَ السَّيْلِ المُنْهَمِر * فخِفتُ واللهِ اَنْ يكونَ يومُه كَامسِهِ * وبَدْرُهُ مِثْلَ شَمسِهِ * فَاَلْحَقَ بالقارِظَيْن * واَصيرَ خَبَرًا بعدَ عَيْن * فلم اَرَا لّاآنْ اُذَكِّرَتَهُ العُهودَ المَنسِيَّةَ * والفعلَـةَ الاَمْسِيَّةَ * وناشَدتُه اللهَ اَوَافَى اليومَ لِلتَّلافِي * امْ لِما فيه اِتْلافِي * فقال معاذَ اللهِ اَنْ اُجْهِزَ عَلَى مَكْلُومِي * اواصِلَ حَرورِي بسَمُومِي * بل وافَيْتُك لاَخْبُرَكُنَه حالِكَ * واكونَ يمينًا لِشمالِكَ * فَسكَنَ عندذلكَ جاشِي * وانجابَ استيحاشِي * واَطْلَعتُهُ طِلْعَ اللِّقْحة * وتَبَرُّعَ صاحِبي باللِّقْحة * فنظَرَ اليه نَظَرَ لَيثِ العريسَةِ * الى الفَرِيسَةِ * ثم اَشْرَعَ قِبَلَه الرُّمحَ * واَقْسَمَ له بمَنْ اَنارَ الصُّبحَ * لَئِن لم ينجُ مَنْجا الذُّباب * ويَرْضَ من الغنيمـةِ بالإياب * لَيُـورِدَنَّ سِنانَهُ وَرِيْدَهُ * ولَيَفْجَعَنَّ بهِ وَلِيْدَهُ ووَدِيْدَهُ * فنبذَ زِمامَ الناقةِ وحاص * واَفْلَتَ وله حُصاص * فقـالَ لى ابوزيدٍ تَسَلَّمْها وتَسَنَّمْها * فاِنَّها اِحْدى الحُسْنَيَيْن * ووَيْلٌ اَهْوَنُ من وَيْلَيْن * قال الحارث بن همّام فحِرتُ بين لَومِ ابى زيدٍ وشُكرِهِ * وزِنَةِ نَفْعِهِ بضَرِّهِ * فكانّهُ نُوْجِيَ بذاتِ صَدْرِي * اوتَكَهَّنَ ماخامَرَ سِرِّي * فقابَلَني بوَجْهٍ طَلِقٍ * وَاَنْشدَ بلسانٍ ذَلِقٍ *

نظم

يا اَخِيَ الحـامِلَ ضَيْمِي * دُوْنَ اِخْـوانِي وقَوْمِي

ماخوذٌ من القرّ وهوالبَرْدُ وقيل للمدعوّ عليه اَسْخن َاللهُ عينَه ماخوذٌ من السُخْنة وهي الحرارة * وقيل اِنَّ اِقرارَ العَين ماخوذٌ من القرار فكأ نّهَ دَعا له ان يُرْزَقَ ما يُقِرُّ عينَه حتى لا تَطْمَحَ الى ما لغيره وكانتِ الجاهليّةُ تَزْعُمُ اَنَّ المِقلاتَ اذا وَطِئَتْ على قتيلٍ شريفٍ عاش وَلَدُها واِلى هٰذا اَشارَ بِشْرُبن اَبي حازِم في قوله *

نظم

تَظَلُّ مقاليتُ النِساءِ يطأ نَهُ * يقُلْنَ الا يُلْقى على المَرْءِ مِيزَرُ

وقولُه عَلِقَتْ بي شَعُوب يَعْني المَنِيّةَ ولا تَدْخُل هٰذا الاسمَ اَداةُ التعريف مثل دَجْلةَ وعَرَفَة * وقولُه لا غَوّرَ تحتَها الى المُغَيْرِبان التغويرُ النُزولُ للقائلة كما اَنَّ التعريسَ النُّزولُ آخرَ الليل للتهويم والاستراحة والمغيربان تصغيرُ المَغْرِب وكان قياسُ تصغيره المُغَيْرِبَ اِلّا اَنّ العرَبَ اَلحقتْ آخِرَه اَلِفًا ونُونًا على طريق الشُّذوذ * وقولُه مُضْطَغِنًا اُهْبَةً تجوابه الاضطِغانُ اَنْ يَحْمِلَ الشَّيْءَ تحتَ حِضنِه والاضطِبانُ اَن يجعلَه تحت ضِبْنه والضِبْنُ ما بَيْنَ الإبْط والكَشْح وكلاهما مُتَقارِبٌ واَوّلُ مَراتِب الحَمْل الإِبْطُ ثُم الضِّبْنُ وهو اَسْفَلُ الإبِطِ ثم الحِضْنُ وهو عند الجَنْبِ والتَّجوابُ مصدرُ جابَ وجميعُ المَصادِرِ الّتي جاءَتْ على تَفْعال هي بفتحِ التاء الا قولَهم تِبيانٌ وتِلْقاءً لا غيرُ وقال بعضُهم وتِنْضالٌ ايضا * وقولُه عُجَري وبُجَري يُريْد به جميعَ اَمري الظّاهرِ والباطن واَصْلُ العُجَر العُقَدُ الناتيةُ في العصَبِ والبُجَر العُقَدُ الناتيةُ في البَطْن * وقولُه لم يَقُل اِيْهًا اي لَمْ يا مُرْني بالكَفِّ يقال للمُستَزادِ ايْهٍ ولِمَنْ يَستَكِفُّ اِيهًا * وقولُه لاَمْرٍ مّا جَدَعَ

والحَسْبَلةُ * والسَبْحَلَة * والجَعلفةُ * والحَمدلةُ * فالهَيْللة حكايةُ قول لا اله الا الله * والحَوْلقةُ حكايةُ قولِ لا حَول ولا قُوّةَ الا بالله * والبَسْملةُ حكايةُ قولِ بِسم الله * والحَسْبلةُ حكايةُ قولِ حَسْبُنا الله * والسَّبْحلةُ حكايةُ قولِ سُبْحانَ الله * والجَعْلفةُ حكايةُ قولهم جُعِلْتُ فِداك * والحَمْدلةُ حكايةُ قَوْلِ الحمدُ لله * وقوله تنزَلْتُ عن مَتْنِ الرَكُوبة يعني المركوبةَ يقال ناقةٌ رَكوبٌ ورَكوبةٌ وحَلوبٌ وحَلوبةٌ وقد قُرِئَ فمنها رَكوبتُهم * والصَّهْوةُ مَقْعَدُ الفارِس * والشَّحْوةُ الخَطْوةُ * والجَزْعُ قَطْعُ الوادِي عَرْضًا * وقوله * صَكَّةُ عُمَيٍّ يعني به قائِمَ الظَّهِيْرة وقد اختُلِفَ في اَصْله فقيل كان عُمَيٌّ رَجُلًا مِغوارًا فغَزا قومًا عند قائِمِ الظَّهِيرة وصَكَّهم صَكَّةً شديدةً فصار مَثَلًا لكُلِّ مَنْ جاءَ ذلكَ الوقتَ * وقيل المُرادُ به الظَّبْيُ لانّه يسدَرُ في الهَواجِر فيَصْطكُّ بما يَسْتَقْبِلُه كاصطكاكِ الاَعْمى ثُم صُغِّرَ الاَعْمى تصغيرَ الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صَغَّروا اَسْوَدَ واَزْهَرَ فقالوا سُوَيْدٌ وزُهَيْرٌ * وقوله * وكان يومًا اَطوَلَ من ظِلِّ القَناة يُوْصَفُ اليومُ الطَّويلُ بظِلِّ القَناة كما يُوْصَفُ اليومُ القصيرُ بِاْبهام القَطاةِ * والعَرَبُ تَزْعُمُ اَنَّ ظِلَّ الرُّمْحِ اَطولُ ظِلٍّ ومنه قولُ الشاعر *

نظم

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرطُوْلَه * دَمُ الزِّقِّ عَنّا واصطفاقُ المَزاهِرِ

قوله * واَحَرُّ من دَمْعِ المِقْلات وهي الَّتي لا يَعِيْشُ لها وَلَدٌ فدَمْعُها ابدًا حارٌّ لحُزْنِها لاَنَّه يُقالُ اِنَّ دَمْعَةَ الحُزْنِ حارَّةٌ ودَمْعَةَ السُّرورِ بارِدَةٌ ولهٰذا قيل للمدعُوِّ له اَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ

وهو صغير فان اكبر لان * وقوله لابِسًا جِلْدَ النَّمِرِ هذا المَثَل يُضْرَبُ للمُتَنَمِّرِ الجَرِيْ
لان النَّمِر اَجرأُ سَبُعٍ واقلّه احتمالًا للضَّيْم ومِنْ هذا اشتقاقُ قولِهم تَنَمَّر اى صار مِثْلَ
النَّمِرِ * وقولُه فَالْحَق بالقارِظَيْن الاصلُ فى القارِظ اَنَّه الَّذى يَجْنِى القَرَظَ وهو النَّبات
المدبوغ به والقارِظان المُشارُ اليهما اَحَدُهما من عَنَزَةَ والآخر من النَّمِرِ بن قاسِطٍ وكانا
خَرَجا يَجْنِيان القَرَظَ فلم يَرجعا ولا عُرِفَ لهما خَبَرٌ فضُرِبَ به المَثَل لكُلِّ غائبٍ لا يُرْجى
اِيابُه واليهما اَشارَ ابو ذُؤَيْبٍ في قوله *

نظم

وحتّى يَؤُوبَ القارِظانِ كلاهما * ويُنْشَرَ فى القَتْلى كُلَيْبُ لوائِلِ

وقولُه اَصِلَ حَرورِى بسَمومِى الحَرورُ الريحُ الحارَّةُ ليلًا والسَّمومُ الريحُ الحارَّةُ
نَهارًا وقد تُقامُ احدُهما مُقامَ الأخرى مَجازًا * وقولُه لَيثُ العَرِيسةِ يَعْنى به ماوى
السَّبُع يقال فيه عريسٌ وعريسةٌ بإثْباتِ الهاءِ وحذفِها كما يُقال غابٌ وغابةٌ وعَرِينٌ وعرينةٌ فاما
الغِيْلُ والخِيْسُ فلم يُلْحِقوا بهما الهاءَ * وقولُه اَفْلَتَ وله حُصاصٌ هذا المَثَلُ يُضْرَبُ لمن
نَجا من هَلَكةٍ اَشفى عليها بعدما كاد يَهْوِى فيها والحُصاصُ العَدْوُ * وقيل اِنّه الضُّراطُ
فكأنّه لَفَزَعِه يَعْدُو ويَضْرِطُ * وقولُه وَيْلٌ اَهْوَنُ من وَيْلَيْن هذا المَثَلُ يُضْرَبُ تسليةً لمَن
نالَه بعضُ المكروهِ ومِثْلُه قولُ الشاعِر

نظم

ابا مُنذِرٍ اَفْنَيْتَ فاستَبْقِ بَعْضَنا * حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ اَهْوَنُ من بَعْضِ

وقولُه انا تَئِقٌ وانت مَئِقٌ فكيف نَتَّفِقُ هذا المَثَلُ يُضْرَبُ للمُتنافِيَيْن فى الخُلُق فان التَّئِق

قصيرٌ انفه فصيرُ هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبّاءُ مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه اتهامًا له بانه غشّ خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي قصيرٌ بهذا القول عندها حتى جهزته مرارًا الى العراق فكان ياتيها بالطُّرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصتها مشهورةٌ * وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب اشارةً الى انه وُلد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بُوحٌ * وقيل البوح من اسماء الذكر ايضًا * وقوله في شهري ناجرٍ هما شهرا الحرّ وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابوبكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين *

وقوله فبت بليلةٍ نابغيةٍ اومأ به الى قول النابغة *

نظم

فبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ * من الرُّقش في انيابها السمّ ناقعُ

وقوله المعتُ اليه بثوبي يعني اشرتُ يقال منه لمعَ والمعَ بمعنىً واحدٍ * قوله يلدغ ويصئي هذا مثلٌ يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيًا بفتح الصاد وكسرها اذا صوّتت * وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى *

نظم

تشكي المحبّ وتشكو وهي ظالمةٌ * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنانٌ

وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذلّ ويقال ان اصله الجدي ينزو

مَسْجِدِها الجامِع * لألْحَقَ بِمَنْ يَقْرُبُ من الإمام * ويُقَرِّبُ أفضلَ الأنعام * فتخطّيت

بانْ جَلَّيْتُ في الحَلْبَة * وتخيّرتُ المركَزَ لاستماعِ الخُطْبَة * ولم يَزَلِ النّاسُ

يدخُلون في دِيْنِ اللّهِ أفواجاً * ويَرِدُون فُرادىٰ وأزواجاً * حتّىٰ اذا اكتَظَّ الجامِعُ

بِحَفْلِه * واَغَلَّ تَساوِي الشَّخْصِ وظِلِّه * بَرَزَ الخطيبُ في اُهْبَتِه * مُتَهادِياً خَلْفَ

عُصْبَتِه * فارتقىٰ في مِنْبَرِ الدَّعْوة * الىٰ اَنْ مَثَلَ بالذَّرْوة * فسَلَّمَ مُشيراً

باليمين * ثم جَلَسَ حتّىٰ خُتِمَ نَظْمُ التّاذِين * ثُمّ قامَ وقال * الحمدُ لِلّهِ الممدوحِ الأسماء *

المحمودِ الآلاء * الواسِعِ العَطاء * المدعُوِّ لحَسْمِ اللأْواء * مالِكِ الأُمَم * ومُصَوِّرِ الرِّمَم *

ومُكْرِمِ اَهْلِ السَّماحِ والكَرَم * ومُهْلِكِ عادٍ وارَم * اَدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ * ووَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ

حِلْمُه * وعَمَّ كُلَّ عالَمٍ طَوْلُه * وهَدَّ كُلَّ مارِدٍ حَوْلُه * اَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِم * وادعوه

دُعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّم * وهو اللّهُ لا اِلٰهَ الّا هو الواحِدُ الأحَد * العادِلُ الصَّمَد * لا وَلَدَ له ولا

والِد * ولا رِدْءَ مَعَه ولا مُساعِد * اَرْسَلَ مُحَمَّداً للإسْلامِ مُمَهِّداً * وللمِلَّةِ مُوَطِّداً * ولادِلَّةِ

الرُّسُلِ مُؤَكِّداً * وللأسْوَدِ والأحْمَرِ مُسَدِّداً * وَصَلَ الأرحامَ * وعَلَّمَ الأحكامَ * ووَسَمَ

الحَلالَ والحَرامَ * ورَسَمَ الإحلالَ والإحرامَ * كَرَّمَ اللّهُ مَحَلَّه * وكَمَّلَ الصَّلٰوةَ والسَّلامَ

له * ورَحِمَ آلَهُ الكُرَماءَ * وأهْلَهُ الرُّحَماءَ * ما هَمَرَ رُكامٌ * وهَدَرَ حَمامٌ * وسَرَحَ سَوامٌ *

وسَطا حُسامٌ * اِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ عَمَلَ الصُّلَحاءِ * واكدَحُوا لِمَعادِكم كَدْحَ الأصِحّاءِ * وارْدَعوا

اَهْواءَكم رَدْعَ الأعْداءِ * وَاَعِدُّوا للرِّحْلَةِ اِعْدادَ السُّعَداءِ * وادَّرِعُوا حُلَلَ الوَرَعِ *

هو المُمتَلِئ فَيظًا ماخوذ من قولهم اَتأَقتُ الإناءَ اذا ملأتَه والمَئِقُ هو الباكي فكانّ التَّئِقَ ينزِعُ الى الشّر لغَيظِه والمَئِقُ يَضيقُ ذَرعًا باحتماله ومثله قولُ الآخر انا كلِفٌ وانت صَلِفٌ فكيف نأتَلِف * وقوله لِطِيَّتي يَعْنِي لقصدي ووِجهتي وقد يُقال فيه طِيَةٌ بالتخفيف * وقوله بعدَ اللّتيّا والّتي اللّتيّا تصغيرُ الّتي وهو على غيرِ قياسِ التصغيرِ المُطّرِدِ لان القياسَ ان يُضمّ اوّلُ الاسم اذا صُغِّرَ وقد أُقِرّ هذا الاسمُ على فتحتِه الاصليّةِ عندَ تصغيرِه الا انّ العَرَبَ عَوَّضَتْه من ضَمِّ اَوّلِه بان زادتْ الِفًا في آخِره وقد اَجْرَتْ اَسْماءَ الاشارةِ عند تصغيرِها على حُكمِه فقالتْ في تصغيرِ الّذي والّتي اللّذيّا واللّتيّا وفي تصغيرِ ذا وذاك ذَيّا وذَيّاك وقد اختُلِفَ في معنى قولهم بعد اللّتيّا والّتي فقيل هما من اسماءِ الداهيةِ وقيل المرادُ بهما بعد صغيرِ المكروهِ وكبيرِه *

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارثُ بن همّام قال استَبضَعتُ في بعضِ اَسفارِي القَنْدَ * وقَصدتُ به سَمَرْقَنْدَ * وكُنتُ يَومئِذٍ قويمَ الشَّطاط * جمومَ النَّشاط * اَرمي عن قَوسِ المِراح * الى غَرَضِ الأفراح * وأَستَعِينُ بماءِ الشَّباب * على مَلامِحِ السَّراب * فوافَيتُها بُكرةَ عَروبَةَ * بعدَ ان كابَدتُّ الصُّعوبةَ * فسعَيتُ وماوَنيتُ * الى ان حصلَ البيتُ * فلمّا نقلتُ اليه قَندي * وملكتُ قولَ عِندي * عُجتُ الى الحَمّامِ على الاَثَر * فأَمطتُّ عنّي وَعثاءَ السَّفَر * وأَخَذتُ في غُسلِ الجُمعةِ بالاَثر * ثم بادَرتُ في هَيئَةِ الخاشِعِ * الى

الكلام * وإلمامُ الآلام * وحُمومُ الحِمام * وهُدُوُّ الحواسّ * ومِراسُ الأرماس * آهًا لها
حسرةً أَلَمُها مؤكّدٌ * وأَمَدُها سرمدٌ * ومُمارِسُها مُكْمَدٌ * ما لِوَلَهِه حاسمٌ * ولا لِسَدَمِه راحمٌ *
ولا لَهُ مِمّا عَراهُ عاصِمٌ * أَلْهَمَكُمُ اللّٰـه أَحْمَدَ الإلهام * ووَرَّدَكم رِداءَ الإكرام * وأحَلَّكم دارَ
السّلام * وأسأَلُه الرّحمةَ لكم ولأهلِ مِلّةِ الإسلام * وهو أسمَحُ الكِرام * والمُسَلِّمُ والسّلام *
قال الحارثُ بن همّام فلمّا رأيتُ الخُطبةَ نُخبةً بلا سَقَط * وعَروسًا بغير نُقَط * دعاني
الإعجابُ بنَمَطِها العجيب * إلى استجلاءِ وَجْهِ الخطيب * فأخذتُ أتوسّمه جِدًّا *
وأُقَلِّبُ الطَّرْفَ فيه مُجِدًّا * إلى أنْ وَضَحَ لي بصِدْقِ العلامات * أنّه شيخُنا ذو المقامات *
ولم يكن بُدٌّ من الصَّمْت * في ذلك الوقت * فأمسكتُ حتّى تحلّل من النَّفْل والفَرْض *
وحلّ الانتشارُ في الأرض * ثم واجَهْتُ تِلقاءه * وابتدرتُ لقاءه * فلمّا لحظني خفّ
في القيام * وأحفى في الإكرام * ثم استصحبني إلى داره * وأودعني خصائصَ أسراره *
وحين انتشر جناحُ الظّلام * وحانَ ميقاتُ المَنام * أحضَرَ أباريقَ المُدام * مَعْكومةً
بالفِدام * فقلتُ أتحسوها أمامَ النَّوم * وأنتَ إمامُ القوم * فقال مَهْ أنا بالنّهار
خطيبٌ * وفي اللّيل أطيبُ * فقلتُ واللهِ ما أدري أأعجبُ من تسليك من أناسك *
ومَسقِطِ راسك * أمْ من خِطابتك مع أدناسك * ومُدارِ كاسك * فأشاحَ بوجهه
عنّي * ثم قال اسمَعْ منّي *

نظم

لا تبكِ إلفًا نأى ولا دارا * ودُرْ مع الدّهرِ كيفما دارا

وداووا علل الطمع * وسوّوا أود العمل * واعصوا وساوس الأمل * وصوّروا لأوهامكم
حؤول الأحوال * وحلول الأهوال * ومساورة الإعلال * ومصارمة المال والآل * وادّكروا
الحمام وسكرة مصرعه * والرّمس وهول مطّلعه * واللّحد ووحدة مودعه * والملك
وروعة سؤاله ومطّلعه * والمحوا الدّهر ولؤم كرّه * وسوء محاله ومكره * كم طمس
معلما * وأمرّ مطعما * وطحطح عرمرما * ودمّر ملكا مكرّما * دأبه سكّ المسامع * وسحّ
المدامع * وإكداء المطامع * وإرداء المسمع والسّامع * عمّ حكمه الملوك والرّعاع *
والمسود والمطاع * والمحسود والحسّاد * والأساود والآساد * ما موّل الآمال * وعكس
الآمال * ولا وصل إلّا وصال * وكلم الأوصال * ولا سرّ إلّا وساء * ولؤم وأساء * ولا أصحّ
إلّا ولّد الدّاء * وروّع الأوداء * الله الله * رعاكم الله * إلام مدّ اللّهو * ومواصلة
السّهو * وطول الإصرار * وحمل الآصار * واطّراح كلام الحكماء * ومعاصاة إله السّماء *
أما الهرم حصادكم * والمدر مهادكم * أما الحمام مدرككم * والصّراط مسلككم * أما السّاعة
موعدكم * والسّاهرة موردكم * أما أهوال الطّامّة لكم مرصده * أما دار العصاة الحطمة
الموصده * حارسهم مالك * ورواؤهم حالك * وطعامهم السّموم * وهواؤهم السّموم *
لا مال أسعدهم ولا ولد * ولا عدد حماهم ولا عدد * ألا رحم الله امرأ ملك هواه * وأمّ
مسالك هداه * وأحكم طاعة مولاه * وكدح لروح مأواه * وعمل ما دام العمر مطاوعا *
والدّهر موادعا * والصّحّة كاملة * والسّلامة حاصلة * وإلّا دهمه عدم المرام * وحصر

حَرْفٍ * حتّى سَمِعتُ جارِيْ بَيْتَ بَيْتَ * يقولُ لنزيلِه في البَيْت * قُمْ يا بُنَيَّ لا قَعَدَ جَدُّك * ولا قامَ ضِدُّك * واستَصْحِبْ ذا الوَجْهِ البَدْرِيّ * واللَّوْنِ الدُّرِّيّ * والاَصْلِ النَّقِيّ * والجِسْمِ الشَّقِيّ * الَّذي قُبِضَ ونُشِر * وسُجِنَ وشُهِر * وسُقِيَ وفُطِمَ * واُدْخِلَ النَّارَ بَعْدَ ما لُطِمَ * ثم اُرْكُضْ الى السُّوق * رَكْضَ المَشُوق * فقايِضْ به اللَّاقِحَ المُلْقَح * المُفْسِدَ المُصْلِح * المُكْمِدَ المُفْرِح * المُعْنِيَ المُرَوِّح * ذا الزَّفِيرِ المُحْرِق * والجَنِيْنِ المُشْرِق * واللَّفْظِ المُقْنِع * والنَّيْلِ المُمْتِع * الَّذي اذا طَرَقَ * رَعَدَ وبَرَقَ * وباحَ بالحُرَق * ونَفَثَ في الخِرَق * قالَ فلمَّا قَرَّتْ شِقْشِقةُ الهادِر * ولم يَبْقَ الّا صَدَرُ الصّادِر * بَرَزَ فَتًى يَمِيْسُ * وما مَعَه اَنِيْسُ * فرأيتُها مُعْضِلةً تَلْعَبُ بالعُقول * وتُغْرِيْ بالدُّخول في الفُضُول * فانطلقتُ في اِثْرِ الغُلام * لاَخْبُرَ فَحْوَى الكلام * فلم يَزَلْ يَسْعى سَعْيَ العَفارِيْت * ويَتَفَقَّدُ نَضائِدَ الحَوانِيْت * حتّى انتهى عندَ الرَّواح * الى حِجارةِ القَدَّاح * فناوَلَ بائِعَها رغيفًا * وتناوَلَ منه حَجَرًا لطيفًا * فعَجِبْتُ من فَطانةِ المُرْسِلِ والمُرْسَل * وعَلِمْتُ اَنَّها سَروجيّةٌ وانْ لم اَسَلْ * وما كَذَبْتُ اَنْ بادَرْتُ الى الخان * مُنْطَلِقَ العِنان * لاَنْظُرَ كُنْهَ نَهْمِي * وهَلْ قَرْطَسَ في التَّكَهُّنِ سَهْمِي * فاذا انا في الفِراسَةِ فارِسٌ * وابو زيدٍ بوَصِيْدِ الخانِ جالِسٌ * فتهادَيْنا بُشْرَى اللِّقاء * وتفاوَضْنا تَحِيَّةَ الاَصْدِقاء * ثُمَّ قال ما الَّذي نابَكَ * حتّى زايَلْتَ جَنابَكَ * فقلتُ دَهْرٌ هاضَ * وجَوْرٌ فاضَ * فقال والَّذي اَنْزَلَ المَطَرَ من الغَمام * واَخْرَجَ الثَّمَرَ من الاَكْمام * لقد فَسَدَ الزَّمان * وعَمَّ العُدْوانُ * وعُدِمَ المِعْوانُ * واللهُ المُسْتَعانُ *

واتّخِذِ النّاسَ كلّهم سَكَناً * ومَثّلِ الارضَ كلّها دارا

واصْبِرْ على خُلْقِ مَنْ تُعاشِرُهُ * ودارِهِ فاللبيبُ مَنْ دارا

ولا تُضِعْ فُرْصَةَ السُّرورِ فما * تَدْرِي أيَوْماً تَعيشُ امْ دارا

واعْلَمْ بأنّ المَنُونَ جائِلَةٌ * وقد أدارَتْ على الوَرَى دارا

وأقْسَمَتْ لا تَزالُ قانِصَةً * ما كَرّ عَصْرُ المَحْيا وما دارا

فكيف تُرْجَى النَّجاةُ من شَرَكٍ * لم يَنْجُ منه كِسْرَى ولا دارا

قال فلمّا اعْتَوَرَتْنا الكُؤُوسُ * وطَرِبَتِ النُّفُوسُ * جَرّمَنِي اليَمِينَ الغَمُوسَ * على ان أحْفَظَ عليه النّامُوسَ * فاتّبعتُ مَرامَهُ * ورَعَيْتُ ذِمامَهُ * ونَزّلْتُهُ بين المَلَاِ مَنْزِلَةَ الفُضَيْل * وسَدَلْتُ الذَّيْلَ على مَخازِي اللّيْل * ولم يَزَلْ ذلك دأْبَهُ ودَأْبِي * الى ان تَهَيّأ إيابِي * فودّعْتُهُ وهو مُصِرٌّ على التدليس * ومُسِرٌّ حَسْوا الخَنْدَرِيس *

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارثُ بن همّام * قال الجاني حُكْمُ دَهرٍ قاسِطٍ * الى ان انْتَجِعَ أرْضَ واسِطٍ * فقصَدْتُها وانا لا أعرِفُ بها سَكَناً * ولا أمْلِكُ فيها مَسْكَناً * ولمّا حَلَلْتُها حُلولَ الحُوتِ بالبَيْداء * والشَّعْرَةِ البَيْضاء * في اللِّمّةِ السّوْداء * قادَنِي الحَظُّ النّاقِصُ * والجَدُّ النّاكِصُ * الى خانٍ يَنْزِلُهُ شُذّاذُ الآفاق * وأخْلاطُ الرِّفاق * وهو لنَظافَةِ مَكانِهِ * وظَرافَةِ سُكّانِهِ * يُرَغِّبُ الغريبَ في إيطانِهِ * ويُنْسِيهِ هَوَى أوْطانِهِ * فاستَفْرَدْتُ منه بحُجْرَةٍ * ولم أُناقِشْ في أُجْرَةٍ * فما كان الّا كلَمْحِ طَرْفٍ * او خَطِّ

التقويم ويدعمه * الى أن نعس القوم * وغشي النوم * فقلت له يا هذا ضع الفاس
في الراس * وخلص الناس * فنظر نظرة في النجوم * ثم انتشط من عقلة الوجوم * واقسم
بالطور * والكتاب المسطور * لينكشفن سر هذا الأمر المستور * ولينتشرن ذكره الى
يوم النشور * ثم انه جثى على ركبته * واسترعى الأسماع لخطبته * وقال الحمد لله الملك
المحمود * المالك الودود * مصور كل مولود * ومآل كل مطرود * ساطح المهاد *
وموطد الأطواد * ومرسل الأمطار * ومسهل الأوطار * عالم الأسرار ومدركها * ومدمر
الأملاك ومهلكها * ومكور الدهور ومكررها * ومورد الأمور ومصدرها * عم سماحه وكمل *
وطل ركامه وهمل * وطاول السؤال والأمل * وأوسع المرمل والأرمل * أحمده حمدا ممدودا
مداه * وأوحده كما وحده الأواه * وهو الله لا اله للأمم سواه * ولا صادع لما عدله وسواه * أرسل
محمدا علما للاسلام * واماما للحكام * ومسددا للرعاع * ومعطل أحكام ود وسواع *
أعلم وعلم * وحكم وأحكم * وأصل الأصول ومهد * وأكد الوعود وأوعد * واصل الله له
الاكرام * وأودع روحه دار السلام * ورحم آله وأهله الكرام * ما لمع آل * وملع رال *
وطلع هلال * وسمع اهلال * اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال * واسلكوا مسالك الحلال * واطرحوا
الحرام ودعوه * واسمعوا أمر الله وعوه * وصلوا الأرحام وراعوها * وعاصوا الأهواء واردعوها *
وصاهروا أهل الصلاح والورع * وصارموا رهط اللهو والطمع * ومصاهركم أطهر الأحرار
مولدا * وأسراهم سوددا * وأحلاهم موردا * وأصحهم موعدا * وها هو أمكم * وحل

فكيف أفلتّ * وعلى أيّ وصفيك أجفلت * فقلت اتّخذت الليل قميصا * وأدلجت
فيه خميصا * فأطرق ينكت في الأرض * ويفكّر في ارتياد القرض والفرض * ثم اهتزّ هزّة من
أكثبه قنص * أو بدت له فرص * وقال قد علق بقلبي أن تصاهر من يأسو جراحك * ويريش
جناحك * فقلت وكيف أجمع بين غلّ وقلّ * ومن الذي يرغب في ضلّ ابن ضلّ * فقال
أنا المشير بك وإليك * والوكيل لك وعليك * مع أنّ دين القوم جبر الكسير * وفكّ الأسير *
واحترام العشير * واستنصاح المشير * إلّا أنّهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم * أو جبلة
بن الأيهم * لما زوّجوه إلّا على خمس مائة درهم * اقتداء بما مهر الرسول زوجاته *
وعقد به أنكحة بناته * على أنّك لن تطالب بصداق * ولن تلجأ إلى طلاق * ثم إنّي
سأخطب في موقف عقدك * ومجمع حشدك * خطبة لم تفتق رتق سمع * ولا خطب
بمثلها في جمع * قال الحارث بن همّام * فأزدهاني بوصف الخطبة المتلوّة * دون الخطبة
المجلوّة * حتى قلت له قد وكّلت إليك هذا الخطب * فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ *
فنهض مهرولا * ثم عاد متهلّلا * وقال أبشر بإعتاب الدهر * واحتلاب الدرّ * فقد ولّيت
العقد * واكتفلت النقد * وكان قد * ثم أخذ في مواعدة أهل الخان * وإعداد حلواء
الخوان * فلمّا مدّ الليل أطنابه * وأغلق كلّ ذي باب بابه * أذّن في الجماعة *
ألا احضروا في هذه الساعة * فلم يبق فيهم إلّا من لبّى صوته * وحضر بيته * فلمّا اصطفّوا
لديه * واجتمع الشاهد والمشهود عليه * جعل يرفع الأسطرلاب ويضعه * ويلحظ

حتی تأمن المستعدی والمعدی * ویتمهد لک المقام بعدی * والا فالمعر المفر * قبل ان تسحب وتجر * ثم عمد لاستخراج ما فی البیوت * من الاکیاس والتخوت * وجعل یستخلص خالصة کل مخزون * ونخبة کل مذروع وموزون * حتی غادرها الغاء فخه * کعظم استخرج مخه * فلما همّ ما اصطفاه ورزم * وشمر عن ذراعیه وتحزم * اقبل علیّ اقبال من لبس الصفاقة * وخلع الصداقة * وقال هل لک فی المصاحبة الی البطیحة * لاصلک باخره ملیحة * فاقسمت له بالذی جعله مبارکاً اینما کان * ولم یجعله ممن خان فی خان * انه لا قبل لی بمکافح حرتین * ومعاشرة ضرتین * ثم قلت له قول المتطبع بطباعه * الکائل له بصاعه * قد کفتنی الاولی فخرا * فاطلب آخر للاخری * فتبهم من کلامی * ود لف لا لتزامی * فلویت عنه عذاری * وابدیت له ازوراری * فلما بصر بانقباضی * وتجلی له اعراضی * انشد *

نظم

یا صارفاً عنی المودة والزمان له صروف
ومعنفی فی فضح من * جاورت تعنیف العسوف
لا تلحنی فیما اتیت فاننی بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * ارهم یراعون الضیوف
وبلوتهم فوجدتهم * لما سبکتهم زیوف
ما فیهم الا مخیف ان تمکن او مخوف

حَرَمَكم * مُمْلِكًا عروسكم الكريمة * وما هِرًا لها كما مهر الرسول أُمّ سَلَمة * وهو أكرم صِهْرٍ
أُودِعَ الأولاد * ومُلِّكَ ما أراد * وما سَها مُمْلِكُه ولا وَهِم * ولا وُكِسَ مُلاحِمُه ولا وُصِم *
أسأل الله لكم إحماد وِصاله * ودوام إسعاده * وأَلْهَمَ كُلًّا إصلاح حالِه * والإعداد لمعاده *
وله الحمد السرمد * والمدح لرسوله محمد * فلما فرغ من خُطبته البديعة النظام * العرية
من الإعجام * عقد العقد على الخمس المئين * وقال بالرفاء والبنين * ثم أحضر الحلواء
التي كان أعدّها * وأبدى الآبدة عندها * فأقبلت إقبال الجماعة عليها * وكدتُّ أهوي بيدي
إليها * فزجرني عن المواكلة * وأنهضني للمناولة * فوالله ما كان بأسرع من تصافح
الأجفان * حتى خرّ القوم للأذقان * فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية * أو صرعى بنت
خابية * علمت أنها إحدى الكُبَر * وأُم الغِبَر * فقلت له يا عُدَيّ نفسه * وعُبَيد فَلْسه *
أأعددت للقوم حلوى * أم بلوى * فقال لم أعدّ إلا خبيص البنج * في صحاف الخلنج *
فقلت أُقسم بمن أطلعها زُهرًا * وهدى بها السارين طُرًّا * لقد جئت شيئًا نكرًا * وأبقيت
لك في المخزيات ذِكرًا * ثم جرت فكرة في صيور أمره * وخيفة من عدوى عرّه * حتى
طارت نفسي شَعاعًا * وأُرعدت فرائصي ارتياعًا * فلما رأى استطارة فَرَقي * واستشاطة
قلقي * قال ما هذا الفكر المرمض * والروع المومض * فإن يكن فكرك في أجلي * من أجلي *
فأنا الآن أرتع وأطفر * وأُقوي مني هذه البقعة وأقفر * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر * وإن يكن
نظرًا لنفسك * وحذرًا من حبسك * فتناول فضالة الخبيص * وطِب نفسًا عن القميص *

عَلِمْتُ اَنَّ تَرَبُّثِي بالخان * مَجْلَبَةٌ للهَوان * فضَمَمْتُ رَحَيلي * وجَمَعْتُ للرِّحْلَةِ ذَيْلِي *

وبِتُّ لَيْلَتِي اَسْرِي الى الطِّيب * واَحْتَسِبُ اللّهَ على الخَطِيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارثُ بن همّام قال ارتحلتُ من مدينةِ المنصور * الى بَلْدَةِ صُور * فلمّا حَصَلْتُ بها ذا رِفْعةٍ وخَفْضٍ * وما لِكَ رَفْعٍ وخَفْضٍ * تُقْتُ الى مِصْرَ تَوقانَ السقيمِ الى الأُساة * والكريمِ الى المُواساة * فرفضتُ علائقَ الاستقامة * ونَفَضْتُ عوائقَ الاقامة * واعْرَوْرَيْتُ ظَهْرا بنِ النَّعامة * واجفلتُ نحوها اجفالَ النعامة * فلمّا دَخَلْتُها بعدَ مُعاناةِ الأَيْن * ومُداناةِ الحَيْن * كَلِفْتُ بها كَلَفَ النَّشْوان بالاصطباح * والحيران بتنفّس الصَّباح * فبينما انا يومًا بها اَطُوف * وتحتي فَرَسٌ قَطُوف * اذ رأيتُ على جُرْدٍ من الخَيْل * عُصْبَةً كمصابيحِ اللَّيْل * فسألتُ لانتجاعِ النُّزْهة * عن العُصْبَةِ والوِجْهَة * فقيل امّا القومُ فشُهُود * وامّا المَقصِدُ فامْلاكٌ مشهود * فحدتني مَيْعةُ النَّشاط * على اَنْ سِرْتُ مع الفُرّاط * لأفوزَ بحَلاوةِ اللُّقاط * واَحُوزَ حَلْواءَ السِّماط * فافضينا بعدَ مُكابَدةِ العَناء * الى دارٍ رفيعةِ البِناء * وسيعةِ الفِناء * تَشْهَدُ لبانيها بالثَّراء والسَّناء * فلمّا نَزَلْنا من صهوات الخُيول * قدّمنا الاقدامَ للدُّخول * رأيتُ دِهْلِيزَها مُجَلَّلًا باطمارٍ مُخَرَّقةٍ * ومُكلَّلًا بمخارِفَ مُعَلَّقةٍ * وهناك شَخْصٌ على قطيفةٍ * فوقَ دكّةٍ لطيفةٍ * فرابني عُنوانُ الصَّحيفة * ومرأى هذه الظَّريفة * ودعاني التطيُّرُ بتلك المَناحِس *

لا بالصفيّ ولا الوفيّ ولا الحفيّ ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضريّ على الخروف
وتركتهم صرعى كأنّهم سقوا كاس الحتوف
وتحكّمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف
ثمّ انثنيت بمغنم * حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلّفت مكلو * م الحشا خلفي يطوف
ووترت ارباب الارا * ئك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول ترا * ع الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكاض موبق * لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلمّا انتهى الى هذا البيت لجّ في الاستعبار * وآلظّ بالاستغفار * حتّى استمال رضا قلبي المنحرف * ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف * ثم انه غيّض دمعه المنهلّ * وتأبّط جرابه وانسلّ * وقال لابنه احتمل الباقي * والله الواقي * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رأيت انسياب الحيّة والحييّة * وانتهاء الداء الى الكيّة *

القائلین * والذین فی اموالہم حق معلوم * للسائل والمحروم * احمدہ علی مارزق من طعمۃ
ھنیۃ * واعوذ بہ من استماع دعوۃ بلانیۃ * واشہد ان لا الہ الا اللہ وحدہ * لا شریک لہ *
الہ یجزی المتصدقین والمتصدقات * ویمحق الربوو یربی الصدقات * واشہد ان محمدا
عبدہ الرحیم * ورسولہ الکریم * ابتعثہ لینسخ الظلمۃ بالضیاء * وینتصف للفقراء من
الاغنیاء * فرفق صلی اللہ علیہ وسلم بالمسکین * وخفض جناحہ للمستکین * وفرض الحقوق
فی اموال المثرین * وبین ما یجب للمقلین علی المکثرین * صلی اللہ علیہ صلوۃ تحظیہ
بالزلفۃ * وعلی اصفیائہ اہل الصفۃ * اما بعد فان اللہ تعالی شرع النکاح لتعففوا * وسن
التناسل لکی تتضاعفوا * فقال سبحانہ لتعرفوا * یا ایہا الناس انا خلقنا کم من ذکر وانثی *
وجعلنا کم شعوبا وقبائل لتعارفوا * وھذا ابوالدراج * ولاج بن خراج * ذو الوجہ الوقاح *
والافک الصراح * والھریر والصیاح * والابرام والالحاح * یخطب سلیطۃ اہلہا * وشریطۃ
بعلہا * قنبس * بنت ابی العنبس * لما بلغہ من التحافہا بالحافہا * واسرافہا فی اسفافہا *
وانکماشہا علی معاشہا * وانتعاشہا عند ہراشہا * وقد بذل لہا من الصداق شلاقا ومکازا *
وصقاعا وکرازا * فانکحوہ انکاح مثلہ * وصلوا حبلکم بحبلہ * وان خفتم عیلۃ فسوف
یغنیکم اللہ من فضلہ * اقول قولی ھذا واستغفر اللہ العظیم لی ولکم * وآمالہ ان یکثر
فی المصاطب نسلکم * ویحرس من المعاطب شملکم * فلما فرغ الشیخ من خطبتہ * وابرم
للختن عقد خطبتہ * تساقط من النثار * ما استغرق حد الاکثار * واغری الشحیح بالایثار *

الى اَنْ عَمَدتُّ لذلك المجالس * فعزمْتُ عليه بمُصَرِّف الاَقدار * لَيُعرِّفنِي مَنْ رَبُّ
هٰذه الدّار * فقال ما لهـا مالكٌ مُعيّنٌ * ولا صاحِبٌ مُبيّنٌ * انماهو مصطبةُ المُقيِّفين *
والمُدَروزِين * وَوليجةُ المُشَقْشِقِين * والمُجَلوزِين * فقُلْتُ في نَفْسِي اِنّاللّه على ضِلَّةِ المسْعَى *
واِمْحالِ المَرْعَى * وهَممْتُ فى الحال بالرُّجعَى * لكِنّني استهْجنتُ العَوْدَ من فَوْرِي *
والقَهْقَرةَ دُونَ غَيْرِي * فولجْتُ الدّارَ مُتجرِّعًا الغُصَص * كما يلِجُ العُصْفورُ القَفَص *
فاذا فيها اَرائِكُ منقوشةٌ * وطَنافِسُ مفروشةٌ * ونَمارِقُ مصفوفةٌ * وسُجوفٌ مرصوفةٌ *
وقد اَقبَــلَ المُمْلِكُ يَمِيسُ في بُرْدتِه * ويَتَبَهْنَسُ بين حَفَدتِه * فحين جَلَسَ كانّه ابنُ
ماءِ السّماءِ * نادى مُنادٍ من قِبَلِ الاَحْماءِ * وحُرْمةِ ساسانَ اُستاذِ الاُستاذِيْن *
وقُدوةِ الشّحازِيْن * لاعقَدَ هٰذا العَقْدَ المُبجّل * في هٰذا اليَومِ الاَغرِّ المُحجَّل * الّا الّذِى
جالَ وجابَ * وشَبَّ فى الكُدْيةِ وشابَ * فاَعْجَبَ رَهْطَ الصِّهْرِما اَشارُوا اليه * وآذَنوا
في اِحْضارِ المنصوص عليه * فبرز حينئِذٍ شيخٌ قداَمالَ المَلَوانِ قامَتَه * ونَوَّرَالفَتَيانِ
ثَغامَتَه * فتباشرتِ الجماعةُ باِقْبالِه * وتبادرَتْ الى استقبالِه * فلمّاجلَسَ على زِرْبِيَّتِه *
وسكنَتِ الضَّوْضاءُ لِهَيْبَتِه * ازدَلَفَ الى مَسْنَدِه * ومسَحَ سَبَلَتَهُ بيَدِه * ثمّ قال الحمْدُ لله
المُبتدِى بالاِفضال * المُبتَدِعِ للنَّوال * المُتقرَّبِ اليه بالسُّؤال * المُؤمَّلِ لتحقيقِ الآمال *
الذى شرعَ الزكوٰةَ فى الاَموال * وزجَرعن نَهرِالسُّؤّال * وندَبَ الى مُواساةِ المُضطرّ *
وآمَرَباِطْعامِ القانِعِ والمُعْترّ * ووصَفَ عِبادَهُ المُقرَّبِين * في كتابِه المُبيْن * فقال وهواَصْدَقُ

مِثْلَ ما لاقَيْتُ مذ زَحْـزَحَنِي * مَنْهَـا العُلُـوج

عَبْـرَةٌ تَهْمِي وشَجْـوٌ * كُلَّمـا قَـرَّ يَهِيـجُ

وهُمُـومٌ كُلَّ يَوْمٍ * خَطْبُهـا خَطْبٌ مَرِيجٌ

ومَساعٍ في التَّرَجِّي * قاصِراتُ الخَطْـوِ عُوجُ

لَيْتَ يَوْمِي حُـمَّ لَمّا * حُـمَّ لِي منهـا الخُروجُ

قال فلمّا بَيَّـنَ بلَدَه * ووَعَيْتُ ما أنْشَـدَه * أيْقنتُ أنَّه علّامتنا أبُو زَيدٍ * وإنْ كان الهَرَمُ قد أوْثَقَه بقَيْدٍ * فبادَرْتُ الى مُصافَحَتِه * واغتَنَمْتُ مُواكَلَتَه من صَحْفَتِه * وظَلْتُ مُدَّةَ مُقامِي بمِصْرَ أعْشُو الى شُواظِه * وأحْشُو صَدَفَتَيَّ من دُرَرِ ألفاظِه * الى أنْ نَعَبَ بيننا غُرابُ البَيْـنِ * ففارَقْتُـه مُفارقةَ الجَفْـنِ للعَيْنِ *

قد استَتَبَّ طَبْعُ هذا المجلد الاوّل مِنَ المقامات

الحريريّة مُحْتَوِيًا على ثلثين مقا مات

* من جُمْلَـةِ خمسيـن *

* حِكـايات *

***

ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله * ويقدم اراذله * قال الحارث بن همام فتبعته لانظر مرجة القوم * واكمل بهجة اليوم * فعاج بهم الى سماط زينته طهاته * وتنا صفت في الحسن جهاته * فحين ربع كل شخص في ربضه * وطفق يرتع في روضه * انسللت من الصف * وفررت من الزحف * فحانت من الشيخ لفتة الي * ونظرة هجم بها طرفه علي * فقال الى اين يا برم * هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم * فقلت والذي خلقها طباقا * وطبقها اشراقا * لاذقت لماقا * ولا لست رقاقا * او تخبرني اين مدب صباك * ومن اين مهب صباك * فتنفس الصعداء مرارا * وارسل البكاء مدرارا * حتى اذا استنزف الدمع * واستنصت الجمع * قال لي ارعني السمع *

نظم

مسقط الراس سروج * وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها * كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل * وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وازاهير رباها * حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرمى * جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها * زفرات ونشيج

المقامة الحادية والثلثون الرملية

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * وريعان العيش اللباب * اقلي الاكتنان بالغاب * واهوى الاندلاق من القراب * لعلمي ان السفر * ينفج السفر * وينتج الظفر * ومعاقرة الوطن * تعقر الفطن * وتحقر من قطن * فاجلت قداح الاستشارة * واقتدحت زناد الاستخارة * ثم استجشت جاشا اثبت من الحجارة * واصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيمت بالرملة * والقيت بها عصا الرحلة * صادفت بها ركابا تعد للسرى * ورحالا تشد الى ام القرى * فعصفت بي ريح الغرام * واهتاج لي شوق الى البيت الحرام * فزممت ناقتي * ونبذت علقي وعلاقتي * **نظم**

وقلت للائمي اقصر فاني * ساختار المقام على المقام

وانفق ما جمعت بارض جمع * واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * والى الخير جري الخيل * فلم نزل بين ادلاج وتاويب * وايجاف وتقريب * الى ان حبتنا ايدي المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متاهبين للاحرام * مترشفين بادراك المرام * فلم يك الا ان انخنا الركائب * وحططنا الحقائب * حتى طلع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحي الاهاب * وهو ينادي * يا اهل ذا النادي * هلم الى ما ينجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا * واحتفوا به وانصتوا * فلما راى تاثفهم حوله *

ما الحجّ سيرك تأويبا وإدلاجا * ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا

الحجّ أن تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحجّ لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الانصاف متّخذا * ردع الهوى هاديا والحقّ منهاجا

وأن تواسي مما أوتيت مقدرة * من مدّ كفّا الى جدواك محتاجا

فهذه إن حوتها حجّة كملت * وإن خلا الحجّ منها كان إخداجا

حسب المرائين غبنا أنّهم غرسوا * وما جنوا ولقوا كدّا وإزعاجا

وأنّهم حرموا أجرا ومحمدة * وألحموا عرضهم من غاب أو هاجا

أخيّ فابغ بما تبديه من قرب * وجه المهيمن ولّاجا وخرّاجا

فليس تخفى على الرحمن خافية * إن أخلص العبد في الطاعات أو داجى

وبادر الموت بالحسنى تقدّمها * فما ينهنهه داعي الموت إن فاجا

واقن التواضع خلقا لا تزايله * عنك الليالي ولو ألبسنك التاجا

ولا تشم كلّ خال لاح بارقه * ولو ترائى هتون السكب ثجّاجا

ما كلّ داع بأهل أن يصاخ له * كم قد أصمّ بنعي بعض من ناجى

وما اللبيب سوى من بات مقتنعا * ببلغة يدرج الأيّام إدراجا

فكلّ كثر الى قلّ مغبّته * وكلّ ناز الى لين وإن هاجا

قال الراوي فلمّا ألقح مقسم الأفهام * بسحر الكلام * استروحت ريح ابي زيد * وما دبي

واستعظامهم قوله * تسنم احدى الآكام * ثم تنحنح مستفتحا للكلام * وقال يا معشر الحجاج * الناسلين من الفجاج * أتعقلون ما تواجهون * والى من تتوجهون * ام تدرون على من تقدمون * وعلام تقدمون * اتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل * وقطع المراحل * واتخاذ المحامل * وايقار الزوامل * ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان * وانضاء الابدان * ومفارقة الولدان * والتنائي عن البلدان * كلا والله بل هو اجتناب الخطية * قبل اجتلاب المطيـــة * واخلاص النية * في قصد تلك البنية * وامحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * واصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فوالذي شرع المناسك * للناسك * وارشد السالك * في الليل الحـــالك * ما ينقـــي الاغتسال بالذنوب * من الانغماس في الذنوب * ولا يعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * ولا تغني لبسة الاحرام * عن المتلبس بالحرام * ولا ينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * ولا يجدي التقرب بالحلق * مع التقلب في ظلم الخلق * ولا يرحض التنسك بالتقصير * درن التمسك بالتقصير * ولا يسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * ولا يزكو بالخيف * من يرغب في الحيف * ولا يشهد المقام الا من استقام * ولا يحظى بقبول الحجة * من زاغ من المحجة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * وورد شريعة الرضا * قبل شروعه على الاضا * ونزع من تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * وفاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * وكاد يزعزع الجبال الشم * وانشد

نظم

وانْدُبِ نِفْعَلِكَ القَبِيحَ وسُحِّي لهُ بِدَمْ

وادْبُغيهِ بتَوْبةٍ * قَبْلَ أنْ يَحْلُمَ الأدَمْ

فعَسَى اللهُ أنْ يَقِيكَ السَّعيرَ الَّذي احْتَدَمْ

يَوْمَ لا عَثْرةٌ تقالُ * ولا يَنْفَعُ النَّدَمْ

ثُمَّ انَّهُ اغْمَدَ عَضْبَ لسانِهِ * وانْطَلَقَ لِشانِهِ * فما زِلْتُ في كُلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُهُ * ومُعَرَّسٍ نَتَوسَّدُهُ * اتَفَقَّدُهُ فَافْتَقِدُهُ * وأسْتَنْجِدُ بِمَن يَنْشُدُهُ فلا يَجِدُهُ * حتَّى خِلْتُ أنَّ الجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ * والأرْضَ اقْتَطَعَتْهُ * فما كابَدتُّ في الغُرْبةِ * كهٰذهِ الكُرْبةِ * ولا مُنِيتُ في سَفْرةٍ * بِمِثْلِها مِن زَفْرةٍ *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همَّام * قال أجْمَعْتُ حين قَضَيْتُ مناسِكَ الحجِّ * وأقَمْتُ وظائِفَ العَجِّ والثَّجِّ * أنْ اقْصِدَ طيبةَ * مع رُفقةٍ من بَنِي شَيْبةَ * لأزُورَ قَبْرَ المُصْطَفى * وأخْرُجَ مِن قبيلِ مَنْ حَجَّ وجَفا * فأُرْجِفَ بأنَّ المَسالِكَ شاغِرةٌ * وعَرَبُ الحَرَمَيْنِ مُتَشاجِرةٌ * فحِرْتُ بَيْنَ إشْفاقٍ يُثَبِّطُنِي * وأشْواقٍ يُنَشِّطُنِي * الى أنْ أُلْقِيَ في رُوعِي الاسْتِسْلامُ * وتغليبُ زِيارةِ قَبْرِهِ عليه السَّلامُ * فاعْتَدْتُ القَعْدةَ * وأعْدَدْتُ العُدَّةَ * وسِرْتُ والرُّفْقةَ * لا تَلْوِي على عُرْجةٍ * ولا تَنِي في تأويبٍ ولا دُلْجةٍ * حتى وافَيْنا بَنِي حَرْبٍ * وقد آبُوا من حَرْبٍ * فأزْمَعْنا ان نَقْضِيَ ظِلَّ اليَوْمِ * في حِلَّةِ القَوْمِ * وبَيْنَما نحْنُ نَتَخَيَّرُ

الارتياحُ اليه اىَّ مَيدٍ * فمكثتُ حتّى اسْتوضَبتُ حِكَمَه * واستحضرتُ اكَمَه * ثم دلفتُ اليه لاتصفّحَ صفحاتِ مُحيّاه * واستشفّ جوهرَ حلاه * فاذا هو الضالّةُ التى انشُدُها * وناظمُ القلائدِ التى انشدَها * فعانقتُه عناقَ اللامِ الالِف * ونزّلتُه منزلةَ البُرءِ عند الدنِف * وسألتُه ان يلازمَنى فابى * او يزاملَنى فنبا * وقال آليتُ في حجّتى هذه ان لا احتقبَ * ولا اعتقبَ * ولا اكتسبَ * ولا انتسبَ * ولا ارتفقَ * ولا اوافقَ * ولا اوافقَ * مَن ينافقَ * ثم ذهبَ يهرولُ * وغادرنى اوَلوِلُ * فلم ازل اتبعُه نظرى * واودّ لو يمشى على ناظرى * حتّى توقّلَ احدَ الاطوادِ * ووقفَ للحجيجِ بالمرصادِ * فحين شاهدَ ايضاعَ الركبانِ * فى الكثبانِ * وقعَ بالبنانِ * على البنانِ * واندفعَ ينشدُ *

نظم

لَيسَ مَن زارَ راكبًا * مِثلَ ماشٍ على القدمْ
لا ولا خادمٌ اطاعَ * كعاصٍ من الخدمْ
كيفَ ياقومِ يستوى * سَعىُ بانٍ ومَن هدمْ
ضيّقيهم المفرطون فَدا ماتهم النَّدمْ
ويقولُ الّذى تقرّبَ طوبى لمن خدمْ
وَيكِ يانفسُ قدّمى * صالحًا عندَ ذى القدمْ
وازدرى زخرفَ الحيوةِ فوجدانُه عدمْ
واذكرى مصرعَ الحِمامِ اذا خطبُه صدمْ

مَسِيلُ الوادِي * قال أَيُسْتَباحُ ماءُ الضَّرِيرِ * قال نَعَمْ ويُجْتَنَبُ ماءُ البصيرِ * الضَّرِيرُ حَرْفُ الوادِي والبصيرُ الكَلْبُ * قال أَيَحِلُّ الطَّوْفُ في الرَّبِيعِ * قال يُكْرَهُ ذلك في الحَدَثِ الشَّنِيعِ * الطَّوْفُ النَّغُوطُ والرَّبِيعُ النَّهْرُ الصغيرُ * قال أَيَجِبُ الغُسْلُ على مَنْ أَمْنَى * قال لا ولَوْ ثَنَّى * أَمْنَى نَزَلَ مِنًى * يُقالُ مِنْهُ مَنَى وأَمْنَى وامتنى * قال فهل يَجِبُ على الجُنُبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ * قال أَجَلْ وغَسْلُ إِبْرَتِهِ * الفَرْوَةُ جِلْدُ الراسِ والإِبْرَةُ عَظْمُ المِرْفَقِ * قال فإِنْ أَخَلَّ بغَسْلِ فأْسِهِ * قال هو كما لَوْ أَلْغَى غَسْلَ رأْسِهِ * الفأْسُ العَظْمُ المُشْرِفُ على نُقْرَةِ القَفا * قال ما تقولُ فيمَنْ تَيَمَّمَ ثم رأى رَوْضًا * قال بطَلَ تيمُّمُه فليَتَوضَّأْ * الرَّوْضُ ههُنا جَمْعُ رَوْضَةٍ وهي الصُّبابَةُ تَبْقَى في الحَوْضِ * قال أيجوزُ أن يَسْجُدَ الرَّجُلُ في العَذِرةِ * قال نَعَمْ وليُجانِبِ القَذِرَةَ * العَذِرةُ فِناءُ الدّارِ * قال فهل له السُّجودُ على الخِلافِ * قال لا ولا على أَحَدِ الأَطْرافِ * الخِلافُ الكُمُّ * قال فإِنْ سَجَدَ على شِمالِهِ * قال لا بأْسَ بفَعالِهِ * الشِّمالُ جمعُ شَمْلةٍ * قال فهل يجوزُ السُّجودُ على الكُراعِ * قال نَعَمْ دونَ الذِّراعِ * الكُراعُ ما استطالَ من الحَرَّةِ * قال أيُصَلِّي على راسِ الكَلْبِ * قال نَعَمْ كسائرِ الهَضْبِ * راسُ الكَلْبِ ثَنِيَّةٌ معروفةٌ * قال ما تقولُ فيمَنْ صَلَّى وعانَتُه بارِزَةٌ * قال صلوتُه جائزةٌ * العانةُ الجَماعةُ من حُمُرِ الوَحْشِ * قال فإِنْ صَلَّى وعليه صَوْمٌ * قال يُعِيدُ ولو صَلَّى مائةَ يومٍ * الصَّوْمُ ذَرْقُ النَّعامِ * قال فان حَمَلَ جِرْوًا وصَلَّى * قال هو كما لو حَمَلَ باقِلَّى * الجِرْوُ الصِّغارُ من القِثّاءِ والرُّمّانِ * قال أَتَصِحُّ صلوةُ حامِلِ القَرْوَةِ *

المُناخ * ونَرودُ الوِردَ النُّقاخ * اذ رأينا هم يَركُضُون * كأنّهم الى نُصُبٍ يُوفِضُون * فرابنا انثيالُهم * وسألنا ما بالُهم * فقيل قد حضر ناديَهم فقيهُ العرب * فاهرعهم لهذا السبب * فقلتُ لرُفقتي ألا نشهدُ مَجمَعَ الحيّ * لنتبيّن الرُّشدَ من الغيّ * فقالوا لقد أسمعتَ اذ دعوتَ * ونصحتَ وما ألوتَ * ثم نهضنا نتّبعُ الهادي * ونؤمُّ النادي * حتّى اذا اطللنا عليه * واستشرفنا الفقيهَ المنهودَ اليه * ألفيتهُ أبا زيدٍ ذا الشقَر والبقَر * والفواقرِ والفِقَر * وقد اعتمّ القَفداء * واشتمل الصمّاء * وقعد القُرفُصاء * وأعيانُ الحيّ به مُحتفّون * وأخلاطهم عليه مُلتفّون * وهو يقول سَلوني عن المُعضِلات * واستوضِحوا منّي المُشكِلات * فوالذي فطر السماء * وعلّم آدمَ الأسماء * إنّي لفقيهُ العربِ العرباء * وأعلمُ من تحتَ الجَرباء * فصمد له فتًى فتيقُ اللسان * جريُّ الجَنان * وقال إنّي حاضرتُ فقهاءَ الدُّنيا * حتّى انتخلتُ منهم مائةَ فُتيا * فان كنتَ ممّن يرغبُ عن بنات غيرِه * ويرغبُ منافي مَيره * فاستمِعْ وأجِبْ * لتُقابَلَ بما يجِب * فقال اللّٰه أكبر * سيبينُ المَخبَر * وينكشفُ المُضمَر * فاصدعْ بما تؤمَر *

قال ما تقول فيمن توضّأ ثم لمس ظهرَ نعلِه * قال انتقضَ وضوءُه بفعلِه * النعلُ الزَّوجة *
قال فإنْ توضّأ ثم اتّكأه البرد * قال يُجدّدُ الوضوءَ من بعد * البَردُ النوم * قال أيمسحُ المتوضّي أُنثييه * قال قد نُدِبَ اليه ولم يجِبْ عليه * الأُنثيان الأُذنان * قال أيجوزُ الوضوءُ ممّا يقذِفُه الثُّعبان * قال وهل أنظفُ منه للعُربان * الثُّعبانُ جمعُ ثَعبٍ وهو

ما ذكره ابن دريد وقيل هو ولد الكروان والنهار ولد الحبارى * قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء * قال يلزمه والله القضاء * البيضاء من اسماء الشمس * قال فان استثار الصائم الكيد * قال أنطر ومن احل الصيد * الكيد القيء واستثاره استدعاه * قال أله ان يفطر بالحاج الطابخ * قال نعم لا بطا هي المطابخ * الطابخ الحمى الصالب * قال فان ضحكت المرأة في صومها * قال بطل صوم يومها * ضحكت ههنا اى حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحاق * قال فان ظهر الجدري على ضرتها * قال تفطر ان آذن بمضرتها * الضرة اصل الابهام واصل الثدي ايضا * قال ما يجب في مائة مصباح * قال حقتان يا صاح * المصباح الناقة التي تصبح في المبرك * قال فان ملك عشر خناجر * قال يخرج شاتين ولا يشاجر * الخناجر النوق الغزار واحدتها خنجر وخنجور * قال فان سمح للساعي بحميمته * قال يا بشرى له يوم قيامته * الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال * قال أيستحق حملة الأوزار من الزكوة جزءا * قال نعم اذا كانوا غزى * الاوزار السلاح وغزى جمع غاز * قال أيجوز للحاج ان يعتمر * قال لا ولا ان يختمر * الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة * والاختمار لبس الخمار * قال فهل له ان يقتل الشجاع * قال نعم كما يقتل السباع * الشجاع الحية * قال فان قتل زمارة في الحرم * قال عليه بدنة من النعم * الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار * قال فان رمى ساق حر فجدله * قال

قال لا ولو صَلّى فوقَ المروة * القَروةُ مِيلغةُ الكلب * قال فان قطرَ على ثوبِ المُصلّي
نَجو * قال يمضي في صلوته ولا غرو * النَجْوُ السَّحابُ الذي قد هراق ماءه * قال
أيجوز ان يؤمَّ الرّجالَ مُقنَّعٌ * قال نعم ومُدرَّعٌ * المُقَنَّع لابسُ المِغفرِ والمُدرّعُ لابسُ
الدِرع * قال فان أمَّهم مَن في يده وَقْفٌ * قال يُعيدون ولو انّهم ألف * الوَقْفُ
السِّوارُ من العاجِ او الذَّبل * وأراد به انّه لا يجوز للرجال الايتمامُ بالنساء * قال
فان أمّهم مَن فَخِذُه باديةٌ * قال صلوته وصلوتهم ماضيةٌ * الفَخْذُ العَشيرةُ وباديةٌ
يسكنون البَدو واختارَ بعضهم تسكينَ الخاء من هذه الفخذ ليحصلَ الفرقُ بينها وبين
الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثَّورُ الاجمّ * قال صَلّ وخلاك ذمّ * الثَّورُ السَّيّدُ
والاجمّ الذي لا رُمحَ معه * قال أيدخُل العَصْرُ في صلوة الشاهد * قال لا والغائبِ
الشاهد * صلوة الشاهد صلوةُ المَغرب سُمّيت بذلك لاقامتها عند طلوع النَّجم لان النَّجمَ
يُسمّى الشاهدَ * قال أيجوزُ للمعذور ان يُفطِرَ في شهرِ رمضان * قال ما رُخّص فيه الا
للصّبيان * المعذورُ المختونُ وهو ايضًا المَعْذُر * قال فهل للمُعرّسِ ان يأكل فيه * قال نعم
بمِلْءِ فيه * المُعرّسُ المسافرُ الذي ينزل * في آخر ليلةٍ ليستريحَ ثم يرتحل * قال فان أفطرَ فيه
العُراةُ * قال لا تُنكِر عليهم الوُلاةُ * العُراةُ الذين تأخذهم العُرَواءُ * وهي الحُمّى برِعْدةٍ * قال
فان أكلَ الصائمُ بعدما أصبحَ * قال هو أحوطُ له وأصلحُ * أصبحَ اي استصبحَ بالمصباح * قال
فان عمَدَ لأن اكل ليلًا * قال ليُشمّر للقضاء ذَيلًا * الليلُ الأنثى من فِراخِ الحُبارى على

قال أيجوز أن يبيع الرجل صفيفه * قال لا ولكن ليبع صفيه * الصفيف الولد على الكبر * والصفي الناقة الغزيرة الدر * قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح * قال ما في رده جناح * الأم مجتمع الدماغ * قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء * قال لا ولا للشريك في الصفراء * الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة * قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا * قال إن كانا في الفلا فلا * يحمى يمنع والخلا الكلأ * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال حل للمقيم والمسافر * الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه * قال أيجوز أن يضحي بالحول * قال هو أجدر بالقبول * الحول جمع حائل * قال فهل يضحي بالطالق * قال نعم ويقري منها الطارق * الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت * قال فإن ضحي قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا محالة * الغزالة الشمس * وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت * قال أيحل الكسب بالطرق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة * قال أيسلم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الأباعد * القاعد التي قعدت من الحيض ومن الأزواج * قال أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحبب به في البقيع * الرقيع السماء وعني بالبقيع بقيع المدينة * قال أيمنع الذمي من قتل العجوز * قال معارضته في العجوز لا تجوز * العجوز الخمر وقتلها مزجها * قال أيجوز أن ينتقل الرجل من عمارة أبيه * قال ما جوزلها ملي ولا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول في التهود * قال هو مفتاح التزهد * التهود التوبة ومنه قوله تعالى إنا هدنا

يُخرج شاةً بدلَه * ساقُ حُرٍّ ذكرُ القَماري * قال فان قتَلَ اُمَّ عَوْفٍ بعدَ الاِحْرام * قال يتصدّق بقَبْضةٍ من طعام * اُمّ عَوْفٍ الجرادةُ * قال أَيَجبُ على الحاجّ استصحابُ القارِب * قال نَعَمْ ليسوقَهم الى المَشارِب * الحاجّ اسمٌ للجمع وللواحدِ والقاربُ طالبُ الماءِ بالليل * قال ماتقولُ في الحَرام بعدَ السَبْت * قال قد حَلَّ في ذلك الوَقْت * الحرامُ المُحْرِمُ والسَبْتُ حَلْقُ الرّاس وحَلَّ من تحليلِ الحجّ * قال ماتقول في بَيْعِ الكُمَيْت * قال حَرامٌ كبَيْعِ المَيْت * الكُمَيْتُ الخَمْرُ * قال أيَجُوزُ بيعُ الخَلّ بلَحْمِ الجَمَل * قال لا ولا بلَحْمِ الحَمَل * الخَلُّ ابنُ المَخاض ولا يَحِلُّ بَيْعُ اللَّحْمِ بالحَيَوان سواءٌ كانَ من جِنْسِه او من غيرِ جِنْسِه * قال أيَحِلُّ بيعُ الهَدِيَّة * قال لا ولا بَيْعُ السَبِيَّة * الهَدِيَّةُ بالتَّشْديد ما يُهْدى الى الكَعْبة ويقال فيها هَدْيَةٌ بتسكين الدّال وتخفيفِ الياء والسبِيَّةُ الخَمْرُ * قال ماتقولُ في بَيْعِ العقيقة * قال محظورٌ على الحقيقة * العقيقةُ ما يُذْبَح عن المولود في اليَوْم السابع من وِلادته * قال أيَجوز بَيْعُ الداعي على الراعي * قال لا ولا على السّاعي * الدّاعي بَقِيَّةُ اللَّبَن في الضَّرْع والسّاعي جابي الصَّدَقة * قال أيُباعُ الصَّقْرُ بالتَمْرِ * قال لا ومالِكِ الخَلْق والاَمْرِ * الصَّقْرُ الدِبْسُ * قال أيَشْتري المُسْلِمُ سَلَبَ المُسْلِمات * قال نَعَمْ ويُوْرَثُ عنه اذا مات * السَلَبُ لِحاءُ الشَّجَر وهو ايضًا خُوصُ الثُّمام * قال فهَلْ يجوزُ ان يُبْتاعُ الشّافِع * قال مالجوازِه من دافِع * الشافعُ الشاةُ التي معَها سَخْلُها * قال أيُباعُ الاِبْريقُ على بَني الاَصْفَر * قال يُكْرَهُ كبَيْع المِغْفَر * الاِبْريقُ السَّيْفُ الصَّقيلُ الكثيرُ الماءِ وبنُو الاَصْفرِ الرُّوم *

قال حين يرى له الحظّ فيه * البدن الدّرع القصيرة * قال فهل يجوز أن يبتاع له حشاً *
قال نعم اذا لم يكن مغشّى * الحشّ النخل المجتمع * قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالماً *
قال نعم اذا كان عالماً * الظالم الذي يشرب اللّبن قبل ان يروب ويخرج زبده * قال
أيستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا حسنت منه السيرة * البصيرة ههنا الترس *
قال فان تعرّى من العقل * قال ذاك عنوان الفضل * العقـل ضرب من الوشي *
قال فان كان له زهو وجبّار * قال لا انكار ولا إكبار * الزهو البسر المتلوّن والجبّار النخل
الذي فات اليد والقاعد من النخل ضدّها * قال أيجوز ان يكون الشاهد مريباً * قال
نعم اذا كان اريباً * المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب * قال فان بان انّه لاط *
قال هو كما لو خاط * لاط الحوض اذا طيّنه * قال فان عثر على انّه غربل * قال تردّ شهادته
ولا تقبل * غربل اي قتل ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربلة * قال فان وضح
انّه مائن * قال هو وصف له زائن * المائن ههنا الذي يعول ويكفي المؤنة من مان
يمون * قال ما يجب على عابد الحقّ * قال يحلف بالله الخلق * العابد ههنا الجاحد والحقّ
الدّين * قال ما تقول في من فقأ عين بلبل عامداً * قال تفقأ عينه قولاً واحداً * البلبل
الرّجل الخفيف * قال فان جرح قطاة امرأة فماتت * قال النفس بالنفس إذا فاتت * القطاة
ما بين الوركين * قال فان ألقت الحامل حشيشاً من ضربه * قال ليكفّر بالإعتاق من ذنبه *
الحشيش الجنين الملقى ميتاً * قال ما يجب على المختفي في الشّرع * قال القطع لإقامة

اليک * قال ماتقولُ في صَبرِ البَلِيّة * قال اَعظِمْ بهٖ من خطِيَّة * الصَّبْــرُ الحَبسُ والبَلِيَّةُ النّاقةُ تُحبَسُ عند قبرِ صاحِبِها فلا تُسقى ولا تُعلَفُ الى ان تموتَ وكانتِ الجاهليَّةُ تزعُمُ اَنّ صاحبَها يُحشَرُ عليها * قال اَيحِلُّ ضَربُ السفير * قال نَعَمْ والحملُ على المُستَشِير * السّفيرُ ما تساقَطَ من وَرَقِ الشَّجَرِ والمُستَشِيرُ الجَمَلُ السَّمين وهو ايضًا الجَمَلُ الذي يَعرِفُ اللاقِحَ من الحائل * قال اَيعزِّرُ الرجُلُ اَباهُ * قال يَفعلُهُ البَرُّ ولا يأباهُ * التعزيرُ التعظيمُ والنُصرة * قال ما تقــولُ فيمن اَفقرَ اَخاه * قال حبّذا ما توخّاه * اَفقرهُ اَعارهُ ناقةً يركبُ فقارَها * قال فان اَعرى وَلَدَه * قال يا حُسنَ ما اعتَمَدَه * اَعراه اَعطاه ثَمَرةَ نخلهِ عامًا * قال فانْ اَصلى مملوكهُ النّارَ * قال لا اِثمَ عليه ولا عارَ * المملوكُ العجينُ الّذي قد اُجيدَ عجنُهُ حتّى قَوِيَ * قال اَيجوزُ للمَرْأةِ اَنْ تَصرِمَ بَعلَها * قال ما حظَرَ اَحَدٌ فِعلَها * البَعلُ النَخلُ الّذي يَشرَبُ بعُروقِه من الاَرض * قال فهل تُؤدَّبُ المَرأةُ على الخَجَل * قال اَجَــلْ * الخَجَلُ سُوءُ احتمالِ الغِنى ومنه قولــه عليه السلامُ للنِساء اِنّكُنّ اذا جُعتُنّ دَقِعتُــنّ واذا شَبِعتُــنّ خَجِلتُنّ * قال ما تقولُ فيمن نحتَ اَثلَةَ اَخيهِ * قال اَثِمَ ولو اَذِنَ له فيه * نحتَ اَثلَتَهُ اذا اغتابهُ وقدَحَ في عِرضِه * قال اَيَحجُرُ الحاكِمُ على صاحبِ الثَّور * قال نَعَمْ ليأمَنَ غائلةَ الجَور * الثَّورُ الجُنونُ * قال فهل له اَنْ يَضرِبَ على يَدِ اليتيم * قال نَعَمْ الى ان يَرشُدَ ويَستَقيمُ * يقال ضَرَبَ على يدهِ اذا حَجَرَ عليه * قال فهل يجوزُ اَن يَتّخِذَ له رَبَضًا * قال لا ولو كان له رِضًا * الرَّبَضُ الزوجةُ * قال فمتى يَبِيعُ بَدَنَ السّفيه *

اليه القومُ ذَوُو دَامعٍ قَينة * وسألوه أن يزورهم الفَينة بعدَ الفَينة * فنهض يُمنيهم العَود * ويُزجّي الآمة والذَّود * قال الحارثُ بن همّام فاعترضتُه وقلتُ له عَهدي بك سفيهاً * فمتى صِرتَ فقيهاً * فظلّ هُنَيهةً يَجُول * ثم انشأ يقول *

نظم

لَبِستُ لكلِّ زمانٍ لَبُوسا * ولابستُ صَرفَيه نُعمى وبُؤسا

وما شَرتُ كُلَّ جليسٍ بما * يُلايمُه لأَروقَ الجليسا

فعندَ الرُّواة أُديرُ الكلامَ * وبين السُّقاة أُديرُ الكُؤوسا

وطَوراً بوَعظي أُسيلُ الدُّموعَ * وطوراً بلَهوي أَسُرُّ النفوسا

وأَفري المسامعَ إمّا نطقتُ * بَياناً يقودُ الحَرونَ الشَّموسا

وإن شئتُ أُرعِفُ كفّي اليراعَ * فساقطَ دُرّاً يُحلّي الطُّروسا

وكم مُشكِلاتٍ حَكَينَ السُّها * خَفاءً فصِرنَ بكشفي شُموسا

وكم مُلَحٍ لي خَلَبنَ العقولَ * وأَسأَرنَ في كُلِّ قَلبٍ رَسيسا

وعَذراءَ فُهتُ بها فانثنى * عليها الثناءُ طليقاً حبيسا

على أنني من زماني خُصِصتُ * بكيدٍ ولا كَيدَ فِرعونَ موسى

يُعَثِّرُ لي كُلَّ يومٍ وَغىً * أطامِنُ لَظاها وطيساً وطيسا

ويطرُقُني بالخُطوبِ التي * يُذِبنَ القُوى ويُشِبنَ الرُّؤوسا

ويُدني اليَّ البعيدَ البغيضَ * ويُبعِدُ منّي القريبَ الأنيسا

الرَّدْع * المُختفِي نَبَّاشَ القُبور * قال فانْ سرَقَ ثميناً من ذَهَب * قال لا قَطْعَ كما لو غَصَبَ * الثمينُ الثُمُنُ كما يُقالُ فی النِّصْف نصيفٌ وفی السُّدْس سديسٌ * قال فانْ بانَ على المَرأةِ السَّرَق * قال لا حرَجَ عليها ولا فَرَق * السَّرَقُ الحريرُ الاَبيضُ * قال اَيَنْعَقِدُ نِكاحٌ لم تَشْهَدْهُ القَوارِی * قال لا والخالِقِ البارِی * القَوارِی الشُّهودُ لاَنَّهم يَقْرُوْن الاَشْياءَ ای يتتبَّعُونَها * قال ما تقولُ في عَرُوسٍ باتَتْ بلَيْلةٍ حُرَّةٍ * ثم رُدَّتْ في حافرتِها بسُحرةٍ * قال يَجِبُ لهانِصْفُ الصَّداق * ولاتَلْزَمُها عِدَّةُ الطَّلاق * يُقال باتَتِ العَروسُ بلَيْلةٍ حُرَّةٍ اذا امتَنَعتْ على زَوْجِها فان افتَضَّها قيلَ باتَتْ بلَيْلةٍ شَيْباءَ والرَّدُّ في الحافِرةِ بمعنى الرُّجوع فی الطَّريق الاَوَّل وكَنِیَ به عن طَلاقِها و رَدِّها الى اَهْلِها * فقال له السائلُ للهِ دَرُّكَ من بَحرٍ لا يُغْضِنُهُ الماتِحُ * وحِبْرٍ لا يَبْلُغُ مَدْحَهُ المادِحُ * ثم اَطْرَقَ اِطْراقَ الحَيِيِّ * وارْمَ اِرمامَ العَيِيِّ * فقال له ابوزيدٍ اِيْهٍ يا فتى * فالی مَتى والی مَتى * فقال اِنَّه لم يَبْقَ في كِنانَتِي مِرماةٌ * ولا بَعْدَ اِشْراقِ صُبْحِكَ مُماراةٌ * فباللهِ اَيُّ ابْنِ اَرْضٍ اَنتَ * فما اَحْسَنَ ما اَبَنْتَ * فاَنْشَدَ بلِسانٍ ذَلِقٍ * وصَوْتٍ صَهْصَلِقٍ * **نظم**

اَنا فی العالِم مُثْلَـه * ولاَهلِ العِلْم قِبْلَـه
غَيْرَ اَنِّی كُلَّ يَوْمٍ * بَيْنَ تعريسٍ و رِحْلَه
والغريبُ الدارِ لَو حَلَّ بطُوبَی لم تَطِبْ له

ثُم قال اللّٰهمَّ كما جَعَلْتَنا مِمَّنْ هُدِيَ ويَهْدِی * فاجْعَلْهم مِمَّنْ يَهْتَدِي ويُهْدِی * فساقَ

ما تكلّفَ لي لُبْثة * واستمع منّي نَفْثة * ثم له الخِيار من بعد * وبيده البذلُ والردّ * فعقد له القومُ الحُبا * وسمّوا أمثال الرُّبا * فلمّا آنسَ حُسْنَ إنصاتهم * ورزانةَ حَصاتهم * قال يا أولي الأبصار الرامقة * والبصائر الرائقة * أما يُغني عن الخَبَر العِيانُ * ويُنبئ عن النارِ الدُّخانُ * شيبٌ لائح * وضَعْف بائح * ووَهْن فادح * وداءٌ واضح * والباطنُ فاضح * ولقد كنتُ والله ممّن مَلَكَ ومالَ * ووَلِيَ وآلَ * ورفَدَ ونالَ * ووَصَلَ وصالَ * فلم تزلِ الجوائحُ تَسْحَتُ * والنوائبُ تَنْحَتُ * حتّى الوكرُ قَفْرٌ * والكفُّ صِفْرٌ * والشِّعارُ ضُرٌّ * والعَيْشُ مُرٌّ * والصِّبْيةُ يتضاغَوْن من الطَّوَى * ويتمنَّوْن مُصاصةَ النَّوَى * ولم أقُمْ هذا المَقامَ الشائن * وأكشِفْ لكم الدفائن * إلّا بعدما شَقِيتُ ولَقِيتُ * وشِبْتُ ممّا لَقِيتُ * فليتني لم أكُنْ بَقِيتُ * ثم تأوَّهَ تأوُّهَ الأسيف * وأنشد بصوتٍ ضعيف *

نظم

أشكو إلى الرحمنِ سُبحانَهُ * تقلُّبَ الدهرِ وعُدْوانَهُ

وحادثاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتي * وقَوَّضَتْ مَجْدي وبُنيانَهُ

واهتَصَرَتْ عُودي ويا وَيْلَ مَنْ * تَهْتَصِرُ الأحداثُ أغصانَهُ

وأمْحَلَتْ رَبْعي حتّى جَلَتْ * من رَبْعِيَ المُمْحِلِ جِرْذانَهُ

وغادرَتْني حائراً بائراً * أُكابِدُ الفَقْرَ وأشجانَهُ

من بعدِ ما كنتُ أخا ثَروةٍ * يَسْحَبُ في النِّعمةِ أرْدانَهُ

يَغْتَبِطُ العافونَ أوراقَهُ * ويَحْمَدُ السارونَ نِيرانَهُ

ولولا خساسة اخلاقه * لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الاحزان * ولا تلم الزمان * واشكر لمن نقلك من مذهب ابليس * الى مذهب ابن ادريس * فقال دع الهتار * ولا تهتك الاستار * وانهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او افقه التفسير * فقال تالله لقد اوجبت ذمما * وطلبت اذ طلبت امما * فهاك ما يشفي النفس * وينفي اللبس * قال فلما اوضح لي المعمى * وكشف عني الغمى * شددنا الاكوار * وسرت وسار * ولم ازل من مسامرته * مدة مسايرته * فيما انساني طعم المشقة * وودت معه بعد الشقة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * وفزنا من الزيارة بالسول * اشام واعرقت * وغرب وشرقت *

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

اخبر الحارث بن همام * قال ما عهدت الله تعالى مذ يفعت * ان لا اوخر الصلوة ما استطعت * فكنت مع جوب الفلوات * ولهو الخلوات * اراعي اوقات الصلوات * واحاذر من مأثم الفوات * واذا ارافقت في رحلة * اوحللت بحلة * مرحبت بصوت الداعي اليها * واقتديت بمن يحافظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صليت مع عصبة مفاليس * فلما قضينا الصلوة * وازمعنا الانفلات * برز شيخ بادي اللقوة * بالي الكسوة والقوة * فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية * وتفوق در العصبية * الا

لخليةٍ خليةٍ * فخذ هذه الصبابة * وهَبْها لا خطأً ولا اصابةً * فنزّل قلبُهم منزلة الكنز * ووصل قبوله بالشكر * ثم تولّى يجر شِقّه * وينهب بالخبط طُرقه * قال المخبر بهذه الحكاية * فصوّر لي انّه مُحيل لحليته * متصنّع في مشيته * فنهضت انهج منهاجه * واقفو اذ راجه * وهو يلحظني شزرًا * ويوسعني هجرًا * حتى اذا خلا الطريق * وامكن التحقيق * نظر اليّ نظر من هشّ وبشّ * وماحض بعد ما غشّ * وقال اني لاخالك اخا غربةٍ * ورائد صُحبةٍ * فهل لك في رفيقٍ يرفُق بك ويُرفِق * وينفُق عليك وينفِق * فقلت له لو اتاني هذا الرفيق * لواتاني التوفيق * فقال لي قد وجدت فاغتبط * واستكرمت فارتبط * ثم ضحك مليًّا * وتمثّل لي بشرًا سويًّا * فاذا هو شيخنا السَّروجيّ لا قلبة بجسمه * ولا شبهة في وَسمه * ففرحت بلُقيته * وكذب لقوته * وهممت بملامته على سوء مقامته * فشحا فاه * وانشد قبل ان الحاه *

نظم

ظهرت برثّ لكيما يقال * فقير يزجي الزمان المزجّى
واظهرت للناس ان قد فلجت * فكم نال قلبي به ما ترجّى
ولولا الرثاثة لم يُرث لي * ولولا التغالي لم ألق فلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مرتع * ولا في اهلها مطمع * فان كنت الرفيق * فالطريق الطريق * فسرنا منها متجرّدين * ورافقته عامين اجردين * وكنت على ان اصحبه ما عشت * فابى الدهر المشت *

فَاَصْبَحَ الیــوم کاَنْ لم یَکُن * اَعانَهُ الدَّهْــرُ الَّذِی مانَهُ

وازوَرَّ مَن کانَ له زائِــراً * وعافَ ما فِی العُرْفِ عِرْفانَهُ

فَهَلْ فَتیً یَحْــزُنُهُ ما یَرِی * من ضُــرِّ شیخٍ دَهْــرُهُ خانَهُ

فَیَفْرِجَ الهَــمَّ الَّذِی هَمَّــهُ * ویُصْلِحَ الشَّــانَ الَّذِی شانَهُ

قال الراوی فَصَبَتِ الجماعةُ الیٰ اَن تَسْتَبِینَهُ * لِتَسْتَنْبِجَسَ خُبْأَتَهُ * وتَسْتَنْفِضَ حَقِیبَتَهُ * فقالَتْ له قد عَرَفْنا قَدْرَزَنِیک * ورَأَینا دَرْمُزَنَتِک * فعَرِفْنا دَوْحَةَ شُعْبَتِک * واحْســرِ اللِّئامَ من نِسْبَتِک * فاَعْرَضَ اِعراضَ مَنْ مُنِیَ بالاِعْنات * او بُشِّرَبا لبَنات * وجَعَلَ یَلْعَنُ الضَّرورات * ویَتأَفَّفُ من تَغَیُّضِ المُــرُوّات * ثم اَنْشَد بلفظٍ صادِعٍ * وجَــرْسٍ خادِعٍ *

نظم

لَعَمْــرُکَ ما کُلُّ فَــرْعٍ یَدُلُّ جَنــاهُ اللَّذِیذُ عَلیٰ اَصْلِهِ

فَکُلْ ما حَلا حِینَ تُوتِیْ بِهٖ * ولا تَسْأَلِ الشَّهْدَ من نَحْلِهِ

ومَیِّزْاذاما اعْتَصَرْتَ الکُرُومَ * سُــلافَةَ عَصْرِکَ من خَلِّهِ

لِتُغْلِیْ وتُــرْخِصَ من خِبْرَةٍ * وتَشْــرِیَ کُلّاً شِرَیْ مِثْلِهِ

فَعارٌ عَلیٰ الفَطِنِ اللَّــوْذَعِیِّ * دُخُولُ الغَمِیزَةِ فی عَقْلِهِ

قال فاَزْدَهَیَ القومَ بذَکائِهٖ ودَهائِهٖ * واخْتَلَبَهم بحُسنِ اَدائِهٖ مع دائِهٖ * حتّیٰ جَمَعُوا له خَبایا الخُبَنِ * وخَفایا الثُّبَنِ * وقالوا له یاهذا اِنَّک حُمْتَ علیٰ رَکِیَّةٍ بَکِیَّةٍ * وتعَرَّضْتَ

بِكُلِّ ما نُطِقَتْ بِهِ مُضْطَلِعا * يَشْفِيكَ إنْ قالَ وإنْ قُلْتَ وَعى

وَإنْ تُصِبْكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعا * وإنْ تَسُمْهُ السَّعْيَ في النارِ سَعى

وإنْ تُصاحِبْهُ ولو يوماً رَعى * وإنْ تُقَنِّعْهُ بِظِلْفٍ قَنِعا

هو على الكَيْسِ الَّذي قد جَمَعا * ما فاهَ قَطُّ كاذِباً ولا ادَّعى

ولا أجابَ مَطْمَعاً حِينَ دَعا * ولا استَجازَتْ سِرّاً أُودِعا

وطالَما أبْدَعَ فيما صَنَعا * وفاقَ في النَّثْرِ وفي النَّظْمِ مَعا

واللهِ لولا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعا * وصِبْيَةٌ أضْحَوْا عُراةً جُوَّعا

ما بِعْتُهُ بِمُلْكِ كِسْرى أجْمَعا

قال فلمّا تأمّلتُ خَلْقَهُ القَوِيمَ * وحُسْنَهُ الصَّمِيمَ * خِلْتُهُ من وِلْدانِ جَنَّةِ النعيم * وقلتُ ما هذا بَشَراً إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كريم * ثم استَنْطَقْتُهُ عن اسمِهِ * لا لرَغْبَةٍ في عِلْمِهِ * بل لأنْظُرَ أينَ فَصاحَتُهُ مِنْ صَباحَتِهِ * وكيفَ لَهْجَتُهُ من بَهْجَتِهِ * فلم يَنْطِقْ بِحُلْوَةٍ ولا مُرَّةٍ * ولا فاهَ فَوْهَةَ ابنِ أَمَةٍ ولا حُرَّةٍ * فضَرَبْتُ منه صَفْحاً * وقلتُ قُبْحاً لِعِيِّكَ وشُقْحاً * فغارَ في الضِّحْكِ وأنْجَدَ * ثم أنْغَضَ رأسَهُ إليَّ وأنْشَدَ *

نظم

يا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ أنْ لَمْ أَبُحْ * بِاسْمِي لهُ ما هكذا مَنْ يُنْصِفُ

إنْ كانَ لا يُرْضِيكَ إلّا كَشْفُهُ * فاصِخْ لهُ أنا يُوسُفُ أنا يُوسُفُ

ولقدْ كَشَفْتُ لكَ الغِطاءَ فإنْ تَكُنْ * فَطِناً عَرَفْتَ وما إخالُكَ تَعْرِفُ

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همّام * قال لمّا جُبتُ البِيدَ * الى زبيدَ * صحبني غلامٌ كنتُ ربّيته الى أن بلغ أشدَّه * وثقّفته حتّى أكمل رُشده * وكان قد أنِسَ بأخلاقي * وخَبَرَ مجالب وفاقي * فلم يكن يتخطّى مَرامِيَ * ولا يُخطئ في المرامي * لا جرمَ أنّ قُربه إناطت بصفري * واخلصته لحضري وسفري * فألوى به الدّهرُ المُبيدُ * حين ضمّتنا زَبيد * فلمّا شالَت نعامتُه * وسكنت نامتُه * بقيتُ عامًا * لا أُسيغُ طعامًا * ولا أُريغُ غلامًا * حتّى ألجأتني شوائبُ الوحدة * ومتاعبُ القَومةِ والقَعدة * الى أن أعتاضَ عن الدُّرّ الخَرَزَ * وأرتادَ مَن هو سِدادٌ مِن عَوَز * فقصدتُ مَن يبيعُ العبيدَ * بسوقِ زبيد * وقلتُ أُريدُ مبتدًا يُعجِبُ اذا قُلّبَ * ويُحمَدُ اذا جُرّبَ * وليكن ممّن خرّجه الأكياسُ * وأخرجه الى السّوق الإفلاسُ * فاهتزّ كلٌّ منهم لمطلبي ووثب * وبذل تحصيله من كثب * ثمّ دارت الأهلّة دورها * وتقلّبت كَورها وحَورها * وما نجز من وعودهم وعدٌ * ولا سحّ لها رعدٌ * فلمّا رأيتُ النّخّاسين * ناسين او متناسين * علمتُ أن ليس كلُّ من خلق يفري * وأن لن يحكّ جلدي مثل ظُفري * فرفضتُ مذهب التفويض * وبرزتُ الى السّوق بالصُّفر والبِيض * فإنّي لأستعرضُ الغلمانَ * وأستعرفُ الأثمانَ * إذ عارضني رجلٌ قد اختطم بلثام * وقبض على زند غلام * وقال *

نظم

مَن يشتري منّي غلامًا صَنَعا * في خَلقِه وخُلقِه قد برعا

وَلم تَعثُر بحمد الله مِنّی * علی عَیبٍ یُکَتِّمُ او یُذاعُ

فَاِنّی سائغ عندک نبذ عهدی * کما نبذت بِراتَهاالصِّناعُ .

ولِم سمحت قرونک بامتهانی * وان اُشری کما یُشری المَتاعُ

وهَلّا صُنت مرضی منه صونی * حدیثک یوم جدّ بنا الوداعُ

وقلتَ لِمَن یسا وِمُ فی هذا * سکابِ فما یُعار ولا یُباعُ

فما انا دون ذاک الطِّرفِ لکن * طِباعک فوقَها تلک الطِباعُ

علی اَنّی سأنشُد عند بیعی * اَضاعونی وایَّ فتیً اَضاعوا

قال فلمّا وعی الشیخ اَبیاته * وعقل مُناغاته * تنفّس الصُّعداء * وبکی حتّی اَبکی البُعداء * ثمّ قال لی اِنّی اُحِلّ هذا الغلام محلّ ولدی * ولا اُمیزّه عن افلاذ کبدی * ولولا خُلُوّ مُراحی * وخبو مِصباحی * لما درج من عُشّی * الیٰ ان یُشیّع نعشی * وقد رأیتَ ما نزل به من لَوعة البین * والمؤمنُ هَیّنٌ لَیّن * فهل لک فی تَسلِیة قلبه * وتَسرِیة کربه * بان تعاهدنی علی الاقالة فیه متی استقلتُ * وان لا تستثقلنی اذا ثقلتُ * ففی الآثار المنقولة * المدوّنة من الثقات * من اقال نادمًا بیعته * اقالهُ الله عثرته * قال الحارث بن همّام فوعدتُه وعد الابرزة الحیاء * وفی القلب اشیاء * فاسندنی حینئذٍ الغلام الیه * وقبّل ما بین عینیه * وانشد والدمع یرفضّ من جفنیه *

نظم

خفّض فقد تک النفس ما تلاقی * من بُرحاء الوجد والاشفاقِ

قال فسرّی عتبی بشعره * واستبی لُبّی بسحره * حتّی شُدِهتُ من التحقیق * واُنسیتُ قصّة یوسف الصّدیق * ولم یکن لی هَمٌّ لأُمساومة مولاهُ فیه * واستطلاع طلع الثّمن لاُوَفّیه * وکنتُ اَحسبُ انّه سینظر شزرًا الیّ * ویغلی السّیمة علیّ * فما حلّق الی حیث حلقتُ * ولا اعتلق بما به اعتلقتُ * بل قال انّ العبد اذا نزر ثمنه * وخفّت مؤنه * تبرّک به مولاهُ * والتحف علیه هواه * وانّی لاُوثر تحبیب هذا الغلام الیک * بان اُخفّف ثمنه علیک * فزن مائتی درهم ان شئت * واشکرلی ما حبیت * فنقدتُه المبلغ فی الحال * کما ینقد فی الرخیص الحلال * ولم یخطُر لی ببال * انّ کلّ مرخص غال * فلمّا تحقّقت الصّفقة * وحقّت الفرقة * هملت عینا الغلام * ولاهمول دمع الغمام * ثم اقبل علی صاحبه وقال *

نظم

لحاک اللهُ هل مثلی یباعُ * لکیما تشبع الکرش الجیاعُ

وهل فی شِرعة الانصاف انّی * اُکلّف خطّةً لا تُستطاعُ

وان اُبلی بروعٍ بعد روعٍ * ومثلی حین یُبلی لا یُراعُ

اما جرّبتنی فخبرت منّی * نصائح لم یمازجها خداعُ

وکم ارصدتّنی شرکًا لصیدٍ * فعدتُ وفی حبائلی السّباعُ

ونُطتَ بیَ المصاعب فاستقادت * مطاوعةً وکان بها امتناعُ

وایّ کریهةٍ لم اُبل فیها * وغُنمٍ لم یکن لی فیه باعُ

وما ابدت لیَ الایّامُ جُرمًا * فیُکشف فی مُصارمتی القناعُ

ولا تلمه * وحذار من اعتلاقه * والطمع في استرقاقه * فانه حر الاديم * غير معرض للتقويم * وقد كان ابوه احضره امس * قبيل افول الشمس * واعترف بانه فرعه الذي انشاه * وان لا وارث له سواه * فقلت للقاضي اوتعرف اباه * اخزاه الله * فقال وهل يجهل ابو زيد الذي جرحه جبار * وعند كل قاض له اخبار واخبار * فتحرقت حينئذ وحولقت * وافقت ولكن حين فات الوقت * وايقنت ان لئامه كان شرك مكيدته * وبيت قصيدته * فنكس طرفي ما لقيت * وآليت ان لا اعامل متلثما ما بقيت * ولم ازل اتاوه بخسر صفقتي * والافتضاح بين رفقتي * فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي * وتبين حرار تماضي * يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك * ولا اجرم اليك من ايقظك * فاتعظ بما نابك * وكاتم اصحابك ما اصابك * وتذكرا بدا ما دهمك * لتقي الذكرى دراهمك * وتخلق بخلق من ابتلى فصبر * وتجلت له العبر فاعتبر * فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن * ساحبا ذيل الغبن والغبن * ونويت مكاشفة ابي زيد بالهجر * ومصارمته مدى الدهر * فجعلت اتنكب من ذراه * واتجنب ان اراه * الى ان غشيني في طريق ضيق * فحياني تحية شيق * فما زدت على ان عبست * وما نبست * فقال ما بالك شمخت بانفك * على الفك * فقلت انسيت انك احتلت وختلت * وفعلت فعلتك التي فعلت * فاضطرب منها زيا * ثم انشد متلاقيا *

نظم

فما تَطُولُ مُدَّةُ الفِراقِ * ولا تَنِي رَكائبُ التَّلاقِي
بحُسْنِ عَوْنِ القادِرِ الخَلَّاقِ

ثم قال له اَستودِعُك مَنْ هو نِعْمَ المَولى * وشَمَّرَ ذَيْلَه ووَلَّى * فلَبِثَ الغلامُ في زفيرٍ وعويلٍ * رَيْثَما يَقْطَعُ مدى مِيلٍ * فلمّا اَسْتَفاقَ * وكَفْكَفَ دَمْعَهُ المُهَراقَ * قال اَتَدرِي لِمَ اَعولْتُ * وعَلامَ عَوَّلْتُ * قلتُ اَظُنُّ فِراقَ مَولاكَ * هو الَّذي اَبْكاكَ * فقال انّكَ لَفي وادٍ * وأنا في وادٍ * ولَكَمْ بين مُرِيدٍ ومُرادٍ * ثم اَنشَدَ *

نظم

لَمْ اَبْكِ واللّهِ على اِلْفٍ نَزَحْ * ولا على فَوْتِ نعيمٍ وفَرَحْ
وانّما مَدْمَعُ اَجْفانِي سَفَحْ * على غَبِيٍّ لَحَظْتُهُ حِينَ طَمَحْ
وَرَّطَه حتّى تَعَنّى وافْتَضَحْ * وضَيَّعَ المنقوشةَ البِيضَ الوَضَحْ
وَيكَ اَما ناجَتْكَ هاتيكَ المُلَحْ * باَنَّنِي حُرٌّ وبَيْعِي لم يُبَحْ
اِذْ كان في يُوسُفَ مَعْنًى قد وَضَحْ

قال فتمثّلتُ مقاله في مرآةِ المُداعِبِ * ومَعْرِضِ المُلاعِبِ * فتصلّبَ تَصَلُّبَ المُحِقِّ * وتبرّأَ من طِينَةِ الرِّقِّ * فجُلْنا في مُخاصَمةٍ اتّصلَتْ بمُلاكَمةٍ * واَفْضَتْ الى مُحاكَمةٍ * فلمّا اَوضَحْنا للقاضي الصُّورةَ * وتَلَوْنا عليه السُّورةَ * قال الانَ مَنْ اَنْذَرَ * فقد اَعْذَرَ * ومن حَذَّرَ * كمن بَشَّرَ * ومن بَصَّرَ فما قَصَّرَ * وانَّ فيما شَرَحْتُماهُ لدَليلًا على ان هذا الغُلامَ قد نَبَّهَكَ فما ارْعَوَيْتَ * ونَصَحَ لكَ فما وَعَيْتَ * فاستُرْدَاءُ بَلَهِكَ واكْتُمْهُ * ولُمْ نفسَكَ

رَوَي الحارثُ بن همّام قال مررتُ فی تَطْوافِي بشيْراز * على نادٍ يَسْتوقِفُ المُجْتاز *
ولوكان على اَوْفاز * فلم اَسْطِعْ تعدِّيه * ولا خطتْ قَدَمي في تَخَطِّيْه * فعُجْتُ اليهِ لاَسْبِرَ
جَوْهرِه * واَنْظُرَكيف ثَمَرة من زَهْرِهِ * فاذا اَهْلُه اَفرادٌ * والعائجُ اليهم مُفادٌ * وبَيْنَما
نحن في مُفاكهةٍ اَطْرَبَ من الاَغاريد * واَطيبَ من حَلَبِ العَناقيد * اذا احْتفَّ بنا ذُو
طِمْرَيْن * قَدْكادَ يُناهِزُ العُمُرَيْن * فحيّا بلِسانٍ طليق * واَبانَ اِبانةَ مِنْطيق * ثمّ احْتَبی
حَبْوَةَ المُنْتدِين * وقال اجْعَلْنا اللهمّ من المُهتدين * فازْدَراهُ القَوْمُ لطِمْرَيْه * ونَسُوا
اَنّ المَرْءَ باَصْغَرَيْه * واَخَذوا يتداوَلون فَصْلَ الخِطاب * ويَعُدّون عُوْدَه من الاَحْطاب *
وهو لا يُفيضُ بكلِمةٍ * ولا يُبينُ عن سِمةٍ * الى اَنْ سبرَقرائحَهم * وخبَرَشائلَهم وراجحَهم *
فحين استخرجَ دفائنهم * واستنثلَ كنائنهم * قال يا قومِ لو علِمتم انّ وَراءَ الفِدام *
صَفْوَ المُدام * لما احتقرتم ذا الاَخلاق * وقلتم ما له من خَلاق * ثمّ فجّرَمن ينابيعِ الاَدَب *
والنُّكَتِ النُّخَب * ما جلبَ به بدائعَ العَجَب * واستوجبَ ان يُكتَبَ بذَوْبِ
الذَّهَب * فلمّا خَلَبَ كُلَّ خِلْبٍ * وقلَبَ اليه كُلَّ قلْبٍ * تَحَلْحَلَ * ليَرْحَلَ * وَتأهّبَ *
ليَذهَبَ * فعلِقَتِ الجماعةُ بذَيْلِه * وماقتْ مَسْرَبَ سَيْلِه * وقالتْ لهُ قد اَرَيْتَنا وَسْمَ
قِدْحِک * فخبِّرْنا عن قَبْضِک ومَنْحِک * فصمتَ صُموتَ مَن اُفْحِم * ثمّ اَعْوَلَ حتّى رُحِمَ *
قال الراوي فلما رأيتُ شَوْبَ ابي زَيْدٍ ورَوْبَه * واُسلوبَه المألوفَ وصَوْبَه * تأمّلتُ
الشيخَ على سُهومَةِ مُحيّاه * وسُهوكَةِ رَيّاه * فاذا هو ايّاه * فكتمتُ سِرّه كما يُكتَمُ الداء

يا مَنْ بدا مِنْهُ صُدو * دٌ مُوحِشٌ وتَجَهُّمُ
وغدا يُرِيشُ مَلاوِمًا * مِن دُونِهِنَّ الأَسْهُمُ
ويقولُ هَلْ حُرٌّ يُبا * عُ كما يُباعُ الأَدْهَمُ
أَقْصِرْ فما أنا فيه بِدْ * عًا مِثْلَ ما تَتَوَهَّمُ
قد باعتِ الأَسباطُ قَبْـ * ـلِي يُوسُفًا وهُمُ هُمُ
هٰذا وأُقْسِمُ بالّتي * يَسْرِي اليها المُنْهِمُ
والطائفِينَ بها وهُمْ * شُعْثُ النواصِي سُهَّمُ
ما قُمْتُ ذاكَ الموقفَ المُخْـ * ـزِي وعندي دِرْهَمُ
فاعذِرْ أخاكَ وكُفَّ عنه * مَلامَ مَن لا يَفْهَمُ

ثُمَّ قال أمّا مَعْذِرَتِي فقد لاحَتْ * وأمّا دَراهِمُكَ فقد طاحَتْ * فإن كان إشْعارُكَ مِنِّي * وازْوِرارُكَ عنِّي * لِفَرْطِ شَفَقَتِكَ * على غُبَّرِ نَفَقَتِكَ * فلستَ مِمَّنْ يُلْسَعُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ * ويُوطَأُ على جَمْرَتَيْنِ * وإنْ كنتَ طَوَيْتَ كَشْحَكَ * وأطعتَ شُحَّكَ * لِتَسْتَنْقِذَ ما عَلِقَ بأَشْراكِي * فَلْتَبْكِ على عَقْلِكَ البَواكِي * قال الحارثُ بن هَمّام فاضطَرَّنِي بِلَفْظِهِ الخالِبِ * وسِحْرِهِ الغالِبِ * الى أن عُدْتُ له صَفِيًّا * وبه حَفِيًّا * ونَبَذْتُ فَعْلَتَهُ ظِهْرِيًّا * وإن كانت شَيْئًا فَرِيًّا *

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

وَيَقْتَنِي مِنِّي الثَّناءِ الَّذِي * يَضُوعُ رَيَّاهُ مَعَ الأَدْعِيَه

قال فلم يَبْقَ فِي الجماعة الاَّ مَن نَدِيَتْ له كَفُّه * وانباعَ اليه عُرْفُه * فلمّا نَجَحَتْ بغيته * وكَمُلتْ مائتُه * اَخَذَ يُثْنِي عليهم بصالحٍ * ويشمّر عن ساقٍ مارِحٍ * فتبِعْتُه لأَستعْرِفَ رِيبَةَ خِدْرِهِ * وَمن قَتَلَ فِي حِدثانِ اَمْرِهِ * فكأنّ وَشْكَ قِيامي * مثَّلَ له مَرامِي * فازدَلَفَ مِنّي * وقال افقَهْ عَنّي *

نظم

قَتْلُ مِثْلِي يا صاحِ مَزْجُ المُدامِ * ليس قَتْلِي بلَهْذَمٍ او حُسامِ

والّتي عُنِّسَتْ هِيَ البِكْرُ بِنْتُ الكَرْمِ لا البِكْرُ من بَناتِ الكِرامِ

ولتجهيزها الى الكاسِ والطّاسِ قِيامي الّذي تَرى ومُقامِي

فتفَهَّمْ ما قلتُه وتَحكَّمْ * في التّغاضِي اِنْ شِئْتَ او في المَلامِ

ثم قال انا مُريبٌ * وانت رِعْدِيدٌ * وبيننا بَوْنٌ بَعِيدٌ * ثم وَدَّعَني وانطلقَ * وزَوَّدَني نَظْرةَ من ذي عَلَقٍ *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارثُ بن همّام قال اَنختُ بمَلَطِيَّةَ مَطِيَّةَ البَيْن * وحَقيبتي مَلأَى من العَيْن * فجعلتُ هِجِّيرايَ * مذ اَلقيتُ بها عَصايَ * اَن اَتَوَرَّدَ مَوارِدَ المَرَح * واَتصيَّدَ شَوارِدَ المُلَح * فلم يُفْتِنِّي بها مَنْظَرٌ ولا مَسْمَعٌ * ولا خَلا مِنّي مَلْعَبٌ ولا مَرْتَعٌ * حتّى اذا لم يَبْقَ لي فيها مَأْرَبٌ * ولا في الثَّواءِ بها مَرْغَبٌ * عَمَدتُ لإنْفاقِ الذَّهَبِ * في ابتياعِ الاُهَبِ * فلمّا

الّدخِبُل * وسَتَرتُ مَكرَهٗ وإنْ لم يَكُن يُخِيلُ * حتّى اذا انزَعَ من اِعوالِهٖ * وقد عَرَفَ عثوري على حالِهٖ * رمَقَنِى بعَيْنِ مِضحاكٍ * ثمّ طَفِقَ يُنْشِدُ بلسانِ مُتباكٍ * **نظم**

اَستَغفِرُ اللّهَ واَعنُولهٗ * من فَرَطاتٍ اَثقَلَتْ ظَهرِيَهْ

يا قومِ كَمْ من عاتِقٍ عانِسٍ * مَمْدوحةِ الاَوصافِ فى الاَنْدِيَهْ

قَتَلتُها لا اَتَّقِى وارِثًا * يَطْلُبُ مِنّى قَوَدًا اَوْدِيَهْ

وكُلّما استَذنَبتُ فى قَتلِها * اَحلَتُ بالذَّنبِ على الاَقضِيَهْ

ولم تَزَلْ نَفسى فى غَيِّها * وقَتلِها الاَبكارَ مُستَشرِيَهْ

حتّى نَهانِى الشَّيبُ لَمّا بَدا * فى مَفرِقِى عن تِلكُمُ المَعصِيَهْ

فلم اُرِقْ مُذ شابَ فَوْدِى دَمًا * من عاتِقٍ يومًا ولا مُصبِيَهْ

وها اَنا الآنَ على ما يُرى * مِنّى ومن حِرفَتِىَ المُكْدِيَهْ

اَرُبُّ بِكرًا طالَ تَعنيسُها * وحَجبُها حتّى عنِ الاَهوِيَهْ

وَهْىَ على التَعنيسِ مَخطوبةٌ * كَخِطبَةِ الغانِيَةِ المُغنِيَهْ

وليسَ يَكفِينِى لِتجهيزِها * على الرِّضا بالدُّونِ الاَّمائَهْ

واليَدُ لا تُوكِى على درهَمٍ * والارضُ قَفرٌ والسَّماءُ مُصحِيَهْ

فهَل مُعينٌ لى على نَقلِها * مَصحوبةً بالقَينَةِ المُلهِيَهْ

فَيَغسِلَ الهَمَّ بصابُونِهٖ * والقَلبَ من اَفكارِهِ المُضنِيَهْ

اعلموا یا ذوی الشمائل الادبیّة * والشمول الذهبیّة * انّ وضع الاحجیّة * لامتحان الالمعیّة * واستخراج الخبیّة الخفیّة * وشرطها ان تکون ذات مماثلة حقیقیّة * والفاظ معنویة * ولطیفة ادبیّة * فمتی نافث هذا النمط * ضاهت السّقط * ولم تدخل السفط * ولم ار کم حافظتم علی هذه الحدود * ولا مزتم بین المقبول والمردود * فقلنا له صدقت فکلّ لنا من لبابک * وافض علینا من عبابک * فقال افعل لئلا یرتاب المبطلون * ویظنوا بی الظنون * ثم قابل ناظورة القوم وقال *

نظم

یا من سما بذکاء * فی الفضل واری الزناد

ما ذا یماثل قولی * جوع امدّ بزاد

ثم ضحک الی الثانی وانشد *

نظم

یا ذا الذی فاق فضلا * ولم یدنّسه شین

ما مثل قول المحاجی * ظهر اصابته عین

ثم لحظ الثالث وانشأ یقول *

نظم

یا من نتائج فکره * مثل النقود الجائزة

ما مثل قولک للذی * حاجیت صادف جائزة

ثم اتلع الی الرابع وقال *

نظم

ایا مستنبط الغامض * من لغز واضمار

أكملتُ الاعداد * وتهيّأ الطّعنُ منها او كاد * رأيتُ تسعةَ رهطٍ قد صبأُوا واقهوا * وارتبأُوا ربوةً * ودماثتهم قيدُ الالحاظ * وفكاهتهم حلوةُ الالفاظ * فنحوتُهم طلباً للمنادمتهم * لا لمدامتهم * وشغفًا بممازجتهم * لا بمزاجتهم * فلمّا انتظمتُ عاشرهم * واضحيتُ معاشرهم * الفيتُهم ابناءَ علّاتٍ * وقذائفَ فلواتٍ * الّا انّ لحمةَ الادب * قد الّفتْ شملَهم الفةَ النّسب * وساوتْ بينهم فى الرُّتب * حتّى لاحُوا مثلَ كواكبِ الجوزاء * وبدَوْا كالجملةِ المتناسبةِ الاجزاء * فابهجنى الاهتداءُ اليهم * واحمدتُّ الطالعَ الّذى اطلعنى عليهم * وطفقتُ افيضُ بقدحى مع قداحهم * واستشفى برياحهم لا براحهم * حتّى انّ تناشجونَ المفاوضة * الى التحاجى بالمقايضة * كقولك اذا منيتَ به الكرامات * ما مثلُ النّومُ فاتَ * فانشأنا نجلو السّها والقمر * ونجنى الشّوكَ والثّمر * وبينما نحنُ ننشرُ القشيبَ والرّثَّ * ونَنْثُلُ السمينَ والغثَّ * طلعَ علينا شيخٌ قد ذهبَ حبرُه وسبرُه * وبقى خبرُه وسبرُه * فمثلَ مثولَ من يسمعُ وينظرُ * ويلتقطُ ما ننثرُ * الى ان نفضتِ الاكياسُ * وحصحصَ الياسُ * فلمّا رأى اجبالَ القرائح * واكداءَ الماتحِ والمائح * جمعَ اذيالَه * وولّانا قذالَه * وقالَ ما كلُّ سوداءَ تمرةٌ * ولا كلُّ صهباءَ خمرةٌ * فاعتلقنا به اعتلاقَ الحرباءِ بالاعواد * وضربنا دونَ وجهتِه بالاسداد * وقلنا له انّ دواءَ الشّقّ ان يحاصَ * والّا فالقصاصَ القصاصَ * فلا تطمعْ في انْ تجرحَ * وتنهرَ الفتقَ وتمرحَ * فلوى عنانَه راجعًا * ثم جثمَ بمكانِه راصعًا * وقال امّا اذا استثرتمونى بالبحث * فساحكمُ حكمَ سليمانَ فى الحرث *

قال الرّاوی فلمّا انْتهیٰ الیَّ * هَزّ مَنْکِبیَّ * و قال * نظم

یا مَنْ لہ النُّکتُ الّتی * یُشْجِی الخُصُومَ بها و یَنْکُتْ
اَنْتَ المُبِیْنُ فقُــلْ لَنا * ما مِثْلُ قَوْلِی خَالِیَ اسکُتْ

ثُم قال قد اَنْهَلْتُکم و اَمْهَلْتُکم * وِانْ شئتُم اَنْ اُمَلِّکم مَلَلْتُکم * قال فَاَلْجَاَ نا لَهَبُ الغُلَل * الی استسقاء العَلَل * فقال لَسْتُ کمَنْ یَسْتا ثِرُ هلی نَدِ یْمِہ * ولا مِمَّنْ سَمَّنہ فی اَدِیْمِہ *

ثُم کَرَّهلی الاَوَّل و اَنْشَدَ * نظم

یا من اذا اشْکَلَ المُعَمّیٰ * جَلَّتْــہَ اَفْکا رُہ الدَّ قِیقَہْ
انْ قالَ یَوْمًا لکَ المُحاجی * خُذْ تلک ما مِثلُــہ حقیقہْ

ثُم ثَنیٰ جِیْدَہ الی الثّانی و قالَ * نظم

یا مَنْ بَدَ ا بَیــا نُــہ * مَــنْ فَضْلِــہ مُبَیِّنــا
ما نَ ا مِثا لُ قَوْ لِهِــم * حِما رُ وَ حْشٍ زُ یِّنــا

ثُم اَوْ حیٰ الی الثالِث بلَحْظِہ وقال * نظم

یا مَنْ غَــدا فی فَضْــلِہ * و ذَ کا ئِہ کا لاَصْمَعِی
ما مِثْــلُ قو لک لِلّذ ی * جا جا کَ اَنْفِق تَقْمَعِ

ثُم حَمْلَقَ الی الرّابِع وقال * نظم

یا مَنْ اذا ما مَــوِیْصٌ * دَ جا اَ نا رَ ظَــلا مَــہْ

اَلا اکشِف لِی ما مِثل * تَناوَلْ اَلْفَ دِینار

نظم

ثم رَمَی الخامِسَ ببَصَرِه واَنْشدَ *

یا اَیُّهذا الاَلمعیُّ اَخوالذّکاءِالمُنجلی

ما مِثلُ اَهمَل حِلیَۃ * بَیِّن هُدِیتَ وعَجِّل

نظم

ثُم اِلْتَفتَ لِفتَ السادِس وقال *

یا مَنْ تَقَصَّر عن مَدا ةُ خُطا مُجارِیْه وتَضْعُفُ

ما مِثلُ قولِک للّذِی * اَضْحیٰ یُحاجِیک اکفُفِ اکفُفْ

نظم

ثُم خالَجَ السابِعَ بحاجِبِه واَنشَدَ *

یا مَنْ لَهُ فِطنۃٌ تَجلَّتْ * وَرُتبۃٌ فی الذّکاءِ جَلّتْ

بَیِّنْ فمازِلتَ ذابَیانٍ * ما مِثلُ قَولِی الشَّقیقُ اَفلَتْ

نظم

ثُم استَنْصَتَ الثامِنَ واَنْشَدَ *

یا مَنْ حَدائِقَ فَضلِه * مَطلولۃُ الاَزهارِ رَفّضه

ما مِثلُ قولِک للمُحاجِی ذِی الحِجیٰ ما اختار رَفضَه

نظم

ثم حدّجَ التاسِعَ بَبصَرِه وقال *

یا مَنْ یُشارُ الیه فی القَلْبِ الذّکِیِّ وفی البَراعَۃ

اَوْضِحْ لنا ما مِثلُ قَولِکَ للمُحاجِی دُسْ جَماعَہ

ثم قَبَضَ بجُمعهِ على رُدنِی وقال * نظم

یا مَنْ سَما بثقوبِ فطنَتهِ * فی المُشکلاتِ ونُورِ کوکبِهِ
ما ذا مِثالُ صَفیرُ جحفلـةٍ * بینـه تیمـا نا ینمُّ بهِ

قال الحارثُ بن همام فلمّا اَطربَنا بما سمِعناهُ * وطالَبنا بکشفِ مَعناهُ * قُلنا له لسنا من خَیلِ هذا المیدان * ولا لنا بحلّ هذه العُقد یدان * فان اَبنتَ * مننتَ * وان کتمتَ * غممتَ * فظلّ یشاوِرُ نفسیـه * ویُقلّب قدحیْه * حتی هانَ بذلُ المأمونِ علیه * فاقبلَ حینئذٍ علی الجماعةِ وقال سأُعلّمکم مالم تکونوا تعلمون * ولا ظننتم اَنّکم تُعلّمون * فاَوکوا علیه الاَوعِیَة * وروضوا به الاَندِیَة * ثم اَخذَ فی تفسیرٍ صقلَ به الاَذهانَ * واستفرغَ معه الاَردانَ * حتی آضتِ الاَفهامُ اَنورَ من الشمسِ * والاَکمامُ کأَن لم تغنَ بالاَمسِ * ولمّا همّ بالمفرّ * سُئلَ عن المقرّ * فتنفّس * کما تتنفّسُ الثکول * ثم اَنشأ یقول * نظم

کُلُّ شِعبٍ لِی شِعبٌ * وبهِ رَبعِیَ رَحبٌ
غیرَ اَنّی بسرُوجٍ * مُسْتَهامُ القلبِ صَبٌّ
هِیَ اَرضی البِکرُ والجوُّ الذی منـه الهُبُّ
والی رَوضتِها الغنّـاءِ دونَ الرّوضِ اَصبُو
ما حلا لِی بعدَها حُلـوٌ ولا اعذوذبَ عَذبُ

قال الراوی فقلتُ لاَصحابی * هذا ابوزید السروجی * الذی اَذنی مُلحِهِ الاَحاجی *

ما ذا يماثلُ قولي * استنشِ ريحَ مُدامَهْ

ثم اومض الى الخامس وانشد * نظم

يا من تنزّه فهمه * عن أن يروّي او يُشكّي

ما مثلُ قولك للذي * أضحى يحاجي قطّ هلكي

ثم أقبل قِبَلَ السادس وانشأ يقول * نظم

يا أخا الفطنة التي * بان فيها كمالُهُ

سار بالليل مُدّةً * أيُّ شيءٍ مثالُهُ

ثم نحا بصره الى السابع وقال * نظم

يا من تحلّى بفهم * اقام في الناس سوقه

لك البيان فبيّن * ما مثلُ أخبِب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد * نظم

يا من تبوّء ذروة * في الفضل فاقت كلّ ذروة

ماه مثلُ قولك أعطِ ابريقًا يلوح بغير عروة

ثم ابتسم الى التاسع وقال * نظم

يا من حوى حسن الدرا * ية والبيان بغير شكّ

ما مثلُ قولك للمحا * جي ذي الذكاء التور ملكي

أبريقا يلوح بغير عُروةٍ فمثله أُسكوب لأنّ الأوسَ العطاء والأمرُ منه أُسْ والكُوبُ الابريق بغير عُروةٍ * واما الثورُ مِلْكِي فمثله اللآلِي لان اللآءَى على وزن القنا هو ثورُ الوحش * واما صَفِيرٌ جَحْفلةٍ فمثله مُكاشَفة لان المُكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتُهم عند البيت الا مُكاءً وتصديةً والاصلُ في المُكا المدّ ولكنّه قصَره في هذه الأُحجيّة كما حذفَ همزةَ الفرا في أُحجيّته وكلا الأمرين من قصر الممدودِ وحذفِ همزة المهموزِ جائزٌ *

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدتُ الى صَعْدةَ * وانا ذُو شَطاطٍ يحكي الصَّعْدةَ * واشتدادٍ يبدُرُ بناتِ صَعدةَ * فلمّا رأيتُ نَضْرتها * ورَعَيْتُ خُضْرتهــا * سألتُ نحاريرَ الرُّواة * عمّن تحويه من السَّراة * ومعادنِ الخَيــرات * لأتخذه جِذوةً في الظُّلُمات * ونَجدةً في الظُّلامات * فنُعتَ لي قاضٍ بها رحيبُ البـاع * خَصيبُ الرِّباع * تميميّ النَّسَب والطِّباع * فلم أزلْ أتقرّبُ اليه بالإلمام * وأتنفّقُ عليه بالإجمام * حتى صِرتُ صَدى صَوته * وسَلمانَ بيته * وكنتُ مع اشتيارِ شَهْده * وانتشاقِ رَنْدِه * اشهدُ مشاجرَ الخُصوم * واسْتَبِرُ المعصومَ منهم والموصوم * فبينما القاضي جالسٌ للإسجال * في يومِ المَحفِلِ والاحتفال * إذ دخلَ شيخٌ بالي الرِّياش * بادي الارتعاش * فتبصّر الحَفْلَ تبصُّرَ نقّادٍ * ثم زعم أنّ له خَصْمًا غيــرَ منقادٍ * فلم يكُنِ الأكلمحِ شرارةٍ * اووحي إشارةٍ * حتّى أُحضرَ غلامٌ * كأنّه ضِرغامٌ * فقال الشيخُ أيّدَ اللهُ القاضي * وعصمَه من التغاضي *

اَخَذ تُ اَصِفُ لهم حُسْنَ تَوشِيَنه وانقياذَ الكلامِ لِمَشِيَّته * ثم التفتُّ فاذا به قد طَمَر * وناء بما قَمَر * فعجِبْنا ممَّا صَنَع * ولم نَدْرِ اَيْنَ سَكَع وصَقَع *

تفسيرُ الاَحاجِي المُودَعةِ هذهِ المَقامة

امَّا جُوعٌ اُمِدَّ بزادٍ فمِثْلُه طَوامِير * واما ظَهْرُ اَصابَته عَيْنٌ فمِثْلُه مَطامِير * واما صادَفَ جائزةً فمِثْلُه الفاصِلة * واما تناوَلَ اَلفَ دِينارٍ فمِثْلُه هادِيه * واما اَهْمَلَ حِلْيةً فمِثْلُه الغاشِيه * واما اكفف اكفف فمِثْلُه مَهْمَهْ * واما الشقيقُ اَفْلَتَ فمِثْلُه الاَخْطار * واما ما اخْتارَ فِضَّةً فمِثْلُه اَبارِقه لان الرِّقَة من اَسماءِ الفِضّة وقد نَطَقَ بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال في الرِّقَة رُبْعُ العُشْر * واما دُسْ جَماعةً فمِثْلُه طَافِيَه * واما خالِيَ اُسْكُتْ فمِثْلُه خالِصَه لانك اذا نادَيْتَ مُضافًا الى نَفْسِك جاز لك حذفُ الياء واثباتُها ساكنةً ومتحركةً وقد حذفَ هٰهُنا حرفَ النِّداء كما حذفه في اصل الاُحجِيّة وصَه بمعنى اُسْكُتْ * واما خُذْ تلك فمِثْلُه هاتِيك * واَمَّا حِمارُ وَحْشٍ زُيِّنَا فمِثْلُه فرازِين لاَنَّ الفَرا حِمارُ الوَحْش ومنه الخَبَرُ كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا * واما قَوْلُه اَنْفِقْ تَقْمَعْ فمِثْلُه مُنْتَقِم لاَنَّ الامر من مان يَمُونُ مُنْ ومُضارِعَ وَقَمَتَ تَقِمُ * واما اسْتَنْشِ رِيْحَ مُدامة فمِثْلُه رَحْــراح لان الاَمرَ من استدعاءِ الرائحة رَحْ * واما اَعْطِ هَلْكَى فمِثْلُه صُنْبُور لاَنَّ البُورَ هُمُ الهَلْكَى وفي القرآن كنتم قومًا بُورًا * واما سارَ بالليل مُدّةً فمِثْلُه سَراحِين * واما اَحِبَّ فَروقة فمِثْلُه مِقْلاع لان الاَمْرَ من وَمِقَ يَمِقُ مِقْ واللَّاعُ الجَبان يقالُ فلانٌ هاعٌ لاعٌ اذا كان جَبانًا جَزُوعًا * واما اَعْطِ

واصبِرْ على ما نابَ مِنْ فاقةٍ * صبْراً اُولي العزمِ واغمِضْ عليه

ولا تُرِقْ ماءَ المُحَيَّا ولو * خَوَّلكَ المسئولُ ما في يدَيْه.

فالحُرُّ مَن إنْ قذِيَتْ عينُه * اَخْفى قذى جَفْنيه عن ناظِرَيْه

ومَنْ إذا اَخْلَقَ دِيباجُه * لم يَرَ اَنْ يُخْلِقَ دِيباجَتَيْه

قال فعبَسَ الشيخُ واكفَهرّ * وانذَرأ على ابنِه وهَرّ * وقال له صَهْ يا عُقَق * يا مَنْ هوا لشَّجي والشَرَق * وَيْلَك اتُعلِّمُ امّك البِضاعَ * وظِئرَك الارْضاعَ * لقد تحكّكتِ العَقْربُ بالافْعى * واستنّتِ الفصالُ حتّى القَرْعى * ثم كانّه ندِمَ على ما فرَطَ من فيه * وحَدَتْه المِقةُ على تلافيه * فرنا اليه بعَينٍ عاطِفٍ * وخفَضَ له جناحَ مُلاطِفٍ * وقال وَيْكَ يا بُنيَّ إنَّ مَن اُمِرَ بالقَناعة * وزُجِرَ عن الضَّراعة * هُمْ اَرْبابُ البِضاعة * واُولو المَكسِبة بالصِّناعة * فامّا ذَوُو الضَّرورات * فقد استُثْنِيَ بهِم في المحظُورات * وهَبْكَ جَهِلْتَ هذا التاويلَ * ولم يبلُغْكَ ما قِيلَ * اَلَسْتَ الذي عارَضَ اباه * اِذْ قال وماحاباه *

نظم

لا تَقْعُدنّ على ضُرٍّ ومَسْغَبةٍ * لكَيْ يُقالَ عزيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرُ

وانْظُرْ بعَيْنك هل اَرْضٌ معطّلةٌ * من النَّباتِ كارْضٍ حَفَّها الشَّجَرُ

فعِدْ عمّا يُشيرُ الاَغْبِياءُ به * فايُّ فَضْلٍ لعُودٍ ما له ثَمَرُ

وارْحَلْ رِكابَك عن ربْعٍ ظَمِئتَ به * الى الجَنابِ الّذي يَهْمي به المطَرُ

اِنَّ ابْنِی هٰذا کالقَلَمِ الرَّدِیّ * والسّیفِ الصَّدِیّ * یَجْهَلُ اَوصافَ الاِنْصاف * ویَرتضِعُ اَخْلافَ الخِلاف * اِنْ اَقْدمتُ اَحْجَمَ * واذا اَمَرْتُ اَعْجَمَ * واِنْ اَذْکَیْتُ اَخْمَدَ * ومَتیٰ شَوَّیْتُ رَمَّدَ * معَ اَنِّی کَفَلْتُه مُذ دَبَّ * الیٰ اَنْ شَبَّ * وکُنْتُ له اَلْطَفَ مَنْ رَبّیٰ وَرَبَّ * فاَکْبَرَ القاضِی ما اَشکا اِلَیْه * واَطْرفَ بهِ مَن حوالَیْه * ثم قال اَشْهَدُ اَنَّ العُقوقَ اَحَدُ الثُّکْلَیْن * ولَرُبَّ عُقْمٍ اَقَرُّ للعَیْن * فقال الغُلام * وقد اَمَضّه هٰذا الکَلام * والّذی نَصَبَ القُضاةَ للعَدْل * ومَلَّکَهم اَزِمَّةَ الفَصْل * اِنّه ما دَما قَطُّ الّا اَمِنْتُ * ولا ادَّمیٰ الّا اَمَنْتُ * ولا لَبّیٰ الّا واَحْرَمْتُ * ولا اَوْریٰ اِلّا واَضْرَمْتُ * بَیْدَ اَنَّه کمَنْ یَبْغِی بَیْضَ الاَنُوق * ویَطْلُبُ الطَّیَرانَ من النُّوق * فقال له القاضی وبِمَ اَعْنَتَکَ * وامتَحَنَ طاعتَکَ * قال اِنّه مُذْ صَفِرَ من المال * ومُنِیَ بالاِمْحال * یَسُومُنِی اَن اَتلمّظَ بالسُّؤال * واَستَمْطِرَ سُحُبَ النَّوال * لیَفِیْضَ شِرْبُه الّذی غاضَ * ویَنْجَبِرَ من حالِه ما انْهاضَ * وقد کانَ حینَ اَخَذَنِی بالدَّرْس * وعلّمنِی اَدَبَ النَّفْس * اَشْرَبَ قلبِی اَنَّ الحِرْصَ مَتْعَبَةٌ * والطَّمَعَ مَعْتَبةٌ * والشَّرَهَ مَنْقَصَةٌ * والمَسْئلةَ مَلأَمَةٌ * ثم اَنْشَدَنِی من فِلَقِ فِیْه * ونُحتِ قَوافِیْه *

نظم

اِرْضَ بادْنیٰ العَیْشِ واشْکُرْ علیه * شُکْرَ مَنِ القلُّ کثیرٌ لَدَیْه

وجانِبِ الحِرْصَ الّذِی لم یَزَلْ * یَحُطُّ قَدْرَ المُتَرامِی اِلَیْه

وحامِ عن عِرْضِکَ واسْتَبْقِهِ * کما یُحامِی اللَّیْثُ عن لِبْدَتَیْه

قال فهش القاضي لقوله * واجزل له من طوله * ثم لفت وجهه الى الغلام * وقد نصل له اسهم الملام * وقال له ارأيت بطل زعمك * وخطأ وهمك * فلا تعجل بعدها بذم * ولا تنحت مودّا قبل عجم * واياك وتأبيك * من مطاوعة ابيك * فانك ان مدت تعقه * حاق بك مني ما تستحقه * اسقط الفتى في يده * ولاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * وتبعه الشيخ ينشد *

نظم

مَنْ ضامه اوضاره دهره * فليقصد القاضي في صعده

سماحه ازرى بمن قبله * وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره * الى ان احرورف لمسيره * فناجيت النفس باتباعه * ولوالى رباعه * لعلي اظهر على اسراره * واعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * وانطلقت حين انطلق * ولم يزل يخطو واعتقب * ويبعد واقترب * الى ان ترائي الشخصان * وحق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاهتشاش * ورفع الارتعاش * وقال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * ولا حوول حالة * فبادرت اليه لاصافحه * واستعرف سانحه وبارحه * فقال دونك ابن اخيك البر * وتركني ومرّ * فلم يعد الفتى ان افتر * ثم فركما فر * فعدت وقد استبنت مينهما * ولكن اين هما *

المقامة الثامنة والثلثون المروية

واسْتَنزِلِ الرِّيَّ من دَرِّ السّحاب فإن * بُلَّت يداك به فَلْيهْنِكَ الظَّفَرُ

وإن رُدِدتَ فما في الرّدّ مَنْقَصةٌ * عليك قد رُدّ مُوسى قبلُ والخضِرُ

فلما رأى القاضي تنافِيَ قولِ الفتى وفِعْله * وتَحلّيَه بما ليس من أهْلِه * نظَـرَ اليه بعَيْنِ غَضْبى * وقال أتميميّاً مرّةً وقيسيّاً اخرى * أُفٍّ لِمن ينقُضُ ما يقُولُ * ويتلوّن كما يتلوّنُ الغُولُ * فقال الغلامُ والّذي جعلكَ مِفْتاحاً للحَقِّ * وفتّاحاً بين الخلْق * لقد أنْسِيتُ مذ أسِيتُ * وصَدِيَ ذِهْني مُذْ صَدِيتُ * على أنّه أين البابُ الفُتُح * والعطاءُ السُّرُح * وهل بقِيَ من يتبرّعُ بالّلُها * وان استُطْعِمَ يقول ها * فقال له القاضي مَه فمع الخواطِيء سَهْمٌ صائِبٌ * وما كلُّ برْقٍ خالِبٌ * فميِّزِ البُرُوقَ اذا شِمْتَ * ولا تشْهَدْ الّا بما علِمْتَ * فلمّا تبيّنَ للشّيخِ أنّ القاضِيَ قد غَضِبَ للكِرام * وأعْظَمَ تبْخِيلَ جميع الأنام * علِمَ أنّه سينصُرُ كلِمتَه * ويُظْهِرُ أُكْرُومَتَه * فما كذّب أنْ نصَبَ شبكتَه * وشوى في الحريق سمكتَه * وأنشأ يقــولُ *

نظم

يا أيّها القاضي الذي عِلْمُه * وحِلْمُه أرْسخُ من رَضْوى

قد أدْمى هذا على جهْـلِه * أنْ ليسَ في الدُّنيا أخو جدْوى

وما درى أنّك من معْشَرٍ * عطاءُهُم كالمنّ والسَّلْـوى

فجُـدْ بما يَثْنِيه مُسْتَخْزِيًا * ممّا افترى من كَذِبِ الدَّعْوى

وأنْثَنِي جَذْلانَ أُثْنِي بما * أوْليتَ من جَدْوى ومن عَدْوى

الرَّغائِبُ من كَرمِك * وتُنزَلُ المَطالِبُ بساحَتِك * وتُستَنزَلُ الراحةُ من راحَتِك * وكان فَضلُ اللهِ عليك عظيمًا * واحسانُه لديك عميمًا * ثم اِنّي شيخٌ تَرِب بعدَ الاِتراب * وعَدِمَ الاَعشابَ حين شابَ * قصدتُك من مَحَلّةٍ نازِحةٍ * وحالةٍ رازِحةٍ * آمُلُ من بَحرِك دُفعةً * ومن جاهِك رِفعةً * والتاميلُ اَفضَلُ وَسائلِ السائِلِ * ونائِلُ النائِلِ * فاَوجِبْ لي ما يَجِبُ عليك * واَحسِنْ كما اَحسَنَ اللهُ اليك * واِيّاك اَن تَلوِيَ عِذارَك * عمَّن ازدارَك * واَمَّدارَك * او تَقبِض راحَك * عمَّن امتاحَك * وامتارَ سماحَك * فواللهِ ما مَجَدَ من جَمَدَ * ولا رشد من حَشَدَ * بل اللبيبُ مَن اذا وَجَدَ جادَ * واِن بَدَأ بعائِدةٍ عادَ * والكريمُ مَن اذا استُوهِبَ الذَّهبَ * لم يَهَبْ اَن يَهَبَ * ثم اَمسَك يرقُبُ اُكُلَ غَرسِه * ويرصُدُ مَطِيّةَ نَفسِه * واَحَبَّ الوالي اَن يَعلَمَ هل نُطفَتُه ثَمَدٌ * ام لِقَريحَتِه مَدَدٌ * فاَطرَقَ يُرَوِّي في اِستِيراءِ زَندِه * واستِشفافِ فِرِندِه * والتَبَسَ على ابي زيدٍ سِرُّ صَمتِه * وسَبَبُ اِرجاءِ صِلَتِه * فتَوَغَّرَ غَضَبًا * واَنشَدَ مُقتَضِبًا *

نظم

لا تَحقِرَنَّ اَبيتَ اللَّعنَ ذا اَدَبٍ * لاَن بَدا خَلَقَ السِّربالِ مَسبُروتا

ولا تُضِعْ لاَخِي التاميلِ حُرمَتَهُ * اَكانَ ذا اَلَسِنٍ ام كان سِكِّيتا

وانفَحْ بعُرفِك مَن وافاك مُختَبِطًا * وانعَشْ بغَوثِك مَن الفَيتَ مَنكُوتا

فخَيرُ مالِ الفَتى مالٌ اَشادَ لَهُ * ذِكرًا تَناقَلَهُ الرُّكبانُ او صِيتا

وما على المُشتَري حَمدًا بمَوهِبَةٍ * غَبنٌ ولو كانَ ما اَعطاهُ ياقُوتا

حكى الحــارثُ بن همّام * قال حُبِّبَ اليَّ مُذ سَعَتْ قَدَمِى * ونَفَثَ قَلَمِى * أن
أتّخِــذَ الأدَبَ شِرْعةً * والاقتباسَ منه نُجْعَةً * فكنتُ أُنَقِّبُ من أحبارِه * وحَزَنَةِ
أسْرارِه * فاذا ألْفَيْتُ منهم بُغْيَةَ المُلتَمِس * وجِذْوَةَ المُقْتَبِس * شَدَدتُ يَدَيَّ بغَــرْزِه *
واستَنزلتُ منه زَكوةَ كَنْزِه * على أنّى لم ألْقَ كالسَّروجىّ فى غَزارةِ السُّحْب *
ووَضْعِ الهِناءِ مَواضِعَ النَّقْب * الا انّه كان أسْيَرَ من المَثَل * واسْرَعَ من القَمَر
فى النَّقَل * وكنتُ لِهَوَى مُلاقاتِه * واستحسانِ مَقاماتِه * أرْغَبُ فى الاغتراب *
واَسْتَعْذِبُ السَّفَرَ الّذِى هو قِطعةٌ من العَذاب * فلّما تَطَوَّحْتُ الى مَرْو * ولا غَرْوَ *
بَشَّرَنِى بمَلْقاهُ زَجْرُ الطَّيْر * والفالُ الذِى هو بَرِيدُ الخَيْر * فلم أزَلْ أنْشُدُهُ فى المَحافِل *
وعِنْدَ تَلَقِّى القَوافِل * فلا اَجِدُ عنه مُخبِرًا * ولا أرى له اَثَــرًا ولا عِثْيَرًا * حتّى غَلَبَ
الياسُ الطَّمَع * وانزَوَى التاميلُ وانقَمَع * فانّى لَذاتَ يومٍ بحَضْرةِ والِى مَرْوَ * وكان
مِمَّن جَمَعَ الفَضلَ والسَّرْوَ * اِذ طَلَعَ ابو زيدٍ في خَلَقٍ مِمْلاقٍ * وخُلُقٍ مَلَّاقٍ * فحَيّى
الوالِىَ تَحِيّةَ المُحتاج * اذا لَقِىَ رَبَّ التاج * ثم قال له اَعْلَمُ وُقِيتَ الذَّمّ * وكُفِيتَ
الهَمّ * اَنّ مَن مُدِّحَت به الأعمالُ * أُعْلِقَتْ به الآمالُ * ومَنْ رُفِعَتْ له الدَّرَجاتُ *
رُفِعَتْ اليه الحاجاتُ * وانّ السعيدَ مَن اذا قدر * ووَاتاهُ القَدَر * اَدّى زَكوةَ النِّعَم *
كما يُؤدِّى زَكوةَ النَّعَم * والتَزَمَ لأهْلِ الحُرَم * كما يَلْتَزِمُ للأهْلِ والحَرَم * وقد اَصْبَحْتَ
بحَمْدِ اللهِ عَميدَ مِصْرِك * وعِمادَ مَصْرِك * تُزْجَى الرَّكائِبُ الى حَرَمِك * وتُرْجَى

له هُنِئْتَ بما اُوتِيتَ * ومُلِّيتَ بما اُولِيتَ * فَاَسفَرَ وجهُه وتَلَألأَ * وَوَالىٰ شُكرَ اللّٰهِ تعالىٰ *

ثُم خَطَر اختِيالاً * وانشد ارتِجالاً * **نظم**

من يَكُنْ نالَ بالحَماقَةِ حَظًّا * اوسَما قدرُه لِطيبِ الاُصولِ

فبفَضلِي انْتفعتُ لا بفُضولي * وبقَولِي ارتفَعْتُ لا بقُيولِي

ثُم قال تَعَسًا لمَنْ جَدَبَ الاَدَبَ * وطُوبىٰ لمَنْ جَدَّ فيه ودَأَبَ * ثم وَدَّعَنِي وذَهَبَ * وَاَوْدَعَنِي اللَّهَبَ *

المقامة التاسعة والثلثون العُمانية

حدث الحارثُ بن هَمّام * قال لَهِجْتُ مذ اخْضَرَّ ازارِي * وبَقَلَ عِذارِي * بأنْ اَجُوبَ البَوارِي * على ظُهورِ المَهارِي * اُنجِدُ طَورًا * واَسلُكُ تارةً غَورًا * حتّى فَلَيتُ المَعالِمَ والمَجاهِلَ * وبَلَوتُ المَنازِلَ والمَناهِلَ * واَدْمَيتُ السَّنابِكَ والمَناسِمَ * وانْضَيتُ السَّوابِقَ والرَّواسِمَ * فلمّا مَلِلْتُ الاِصحارَ * وقد سَنَحَ لي اَرَبٌ بصُحارَ * مِلتُ الى اختِبارِ التَّيّارِ * واختِيارِ الفُلكِ السَّيّارِ * فنقلتُ اليه اَساوِدِي * واستَصحَبتُ زادِي ومَزاوِدِي * ثم رَكِبتُ فيه رُكوبَ حاذِرٍ ناذِرٍ * عاذِلٍ لنَفسِه وعاذِرٍ * فلمّا شرَعْنا في القُلْعَةِ * ورفَعْنا الشُّرُعَ للشِّرْعَةِ * سَمِعنا من شاطِئِ المَرسىٰ * حينَ دَجَى اللَّيلُ وأَغسىٰ * هاتفًا يقولُ يا اهلَ ذا الفُلْكِ القَوِيمِ * المُزَجّى في البَحرِ العَظِيمِ * بتقديرِ العزيزِ العليمِ * هل اَدُلُّكم على تِجارةٍ تُنْجيكم من عذابٍ اليمٍ * فقُلنا له اَقبِسْنا نارَكَ اَيُّها الدَّليلُ * واَرْشِدْنا كما يُرشِدُ الخليلَ الخَليلُ * فقال أَتَستَصحِبُون

لَوْلَا الْمُرُوَّةُ ضاقَ العُذْرُ عن فَطِنٍ * اِذَا اشْرَأَبَّ الىٰ ماجاوَزَ القُوتا

لٰكِنَّهُ لِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ جَدَّ وَ مَن * حُبِّ السَّماحِ ثَنَى نَحْوَ الغِنَى لِيتا

وما تَنَشَّقَ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ * اِلَّا وَ ازْرَى بِنَشْرِ الْمِسْكِ مَفْتُوتا

وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لم يُفْضَ اجتماعُهما * حتّى لقد خِيلَ ذا ضَبًّا وذا حُوتا

وَالسَّمْحُ فى النّاسِ محبوبٌ خَلائقُه * وَالجامِدُ الكَفِّ ما يَنْفَكُّ مَمْقُوتا

وَلِلشَّحِيحِ على اَمْوالِهِ عِلَلٌ * يُوسِعُنَهُ اَبَدًا ذَمًّا وتَبكِيتا

فَجُدْ بِما جَمَعَتْ كَفّاكَ من نَشَبٍ * حتّى يُرى مُجْتَدِي جَدْواكَ مَبْهُوتا

وَخُذْ نصيبَكَ منه قبلَ رائِعَةٍ * من الزَّمانِ تُرِيكَ العُودَ مَنْحُوتا

فالدَّهْرُ اَنْكَدُ من ان تَستَمِرَّ به * حالٌ تَكَرَّهْتَ تلكَ الحالَ ام شِئتا

فقال له الوالى تاللّٰهِ لَقَدْ اَحْسَنْتَ * فاَىُّ وَلَدِ الرَّجُلِ اَنْتَ * فنَظَرَ اليه عن عُرْضٍ * ثم اَنْشَدَ وهو مُغْضٍ *

نظم

لا تَسأَلِ الْمَرْءَ مَن اَبُوهُ وَرُزْ * خِلالَهُ ثم صِلْهُ اوفاَصْرِمِ

فما يَشِينُ السُّلافَ حين حَلا * مَذاقُها كَوْنُهَا ابنةَ الحِصْرِمِ

قال فَقَرَّبَه الوالِى لِبيانِه الفاتِنِ * حتّى اَحَلَّه مَقْعَدَ الخاتِنِ * ثم فَرَضَ له من سُيُوبِ نَيْلِه * ما آذَنَ بطُولِ ذَيْلِه * وقِصَرِ لَيْلِه * فنَهَضَ عنه بَرْدَيْنِ مَلْآنَ * وقَلْبٍ جَذْلانَ * وَتَبِعْتُه حاذِيًا حَذْوَهُ * وقافِيًا خَطْوَه * حتّى اذا خَرَجَ مِنْ بابِه * وفَصَلَ مَنْ غابِه * قلتُ

رَهْوٌ * وَالْجَوُّ صَحْوٌ * وَالْعَيْشُ صَفْوٌ * وَالزَّمانُ لَهْوٌ * وَاَنَا اَجِدُ لِلُقْيانِهِ * وَجْدَ الْمُثْرِي بِعِقْيانِهِ * وَاَفْرَحُ بِمُناجاتِهِ * فَرَحَ الْغَرِيقِ بِمَنْجاتِهِ * اِلَى اَنْ عَصَفَتِ الْجَنُوبُ * وَعَسُفَتِ الْجُنُوبُ * وَنَسِيَ السَّفْرُ ما كانَ * وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ * فَمِلْنا لِهٰذَا الْحَدَثِ الثّائِرِ * اِلَى اِحْدَى الْجَزائِرِ * لِنُرِيحَ وَنَسْتَرِيحَ * رَيْثَما تُواتِي الرِّيحُ * وَتَمادَى اعْتِياصُ الْمَسِيرِ * حَتّى نَفِدَ الزّادُ غَيْرَ الْيَسِيرِ * فَقالَ لِي اَبُو زَيْدٍ اِنَّهُ لَنْ يُحْرِزَ جَنَى الْعُودِ بِالْقُعُودِ * فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثارَةِ السُّعُودِ بِالصُّعُودِ * فَقُلْتُ لَهُ اِنِّي لَكَ لَاَتْبَعُ مِنْ ظِلِّكَ * وَاَطْوَعُ مِنْ نَعْلِكَ * فَنَهَدْنا اِلَى الْجَزِيرَةِ * عَلَى ضَعْفٍ مِنَ الْمَرِيرَةِ * لِنَرْكُضَ فِي اسْتِواءِ الْمِيرَةِ * وَكِلانا لا يَمْلِكُ فَتِيلًا * وَلا يَهْتَدِي فِيها سَبِيلًا * فَاَقْبَلْنا نَجُوسُ خِلالَها * وَنَتَفَيَّأُ ظِلالَها * حَتّى اَفْضَيْنا اِلَى قَصْرٍ مَشِيدٍ * لَهُ بابٌ مِنْ حَدِيدٍ * وَدُونَهُ زُمْرَةٌ مِنْ عَبِيدٍ * فَناسَمْناهُمْ لِنَتَّخِذَهُمْ سُلَّمًا اِلَى الارْتِقاءِ * وَاَرْشِيَةً لِلاسْتِقاءِ * فَاَلْفَيْنا كُلًّا مِنْهُمْ فِي مَسْكِ كَسِيرٍ * وَكَرْبِ اَسِيرٍ * فَقُلْنا اَيَّتُها الْغِلْمَةُ * لِمَ هٰذِهِ الْغُمَّةُ * فَلَمْ يُجِيبُوا النِّداءَ * وَلا فاهُوا بِبَيْضاءَ وَلا سَوْداءَ * فَلَمّا رَاَيْنا نارَهُمْ نارَ الْحُباحِبِ * وَخَبَرَهُمْ كَسَرابِ السَّباسِبِ * قُلْنا شاهَتِ الْوُجُوهُ * وَقُبِّحَ اللُّكَعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ * فَابْتَدَرَ خادِمٌ قَدْ عَلَتْهُ كَبْرَةٌ * وَعَرَتْهُ عَبْرَةٌ * وَقالَ يا قَوْمِ لا تُوسِعُونا سَبًّا * وَلا تُوجِعُونا عَتْبًا * فَاِنّا لَفِي حُزْنٍ شامِلٍ * وَشُغْلٍ عَنِ الْحَدِيثِ شاغِلٍ * فَقالَ لَهُ اَبُو زَيْدٍ نَفِّسْ خُناقَ الْبَثِّ * وَانْفُثْ اِنْ قَدَرْتَ عَلَى النَّفْثِ * فَاِنَّكَ سَتَجِدُ مِنِّي عَرّافًا كافِيًا * وَوَصّافًا شافِيًا * فَقالَ اعْلَمْ اَنَّ رَبَّ هٰذَا الْقَصْرِ هُوَ قُطْبُ هٰذِهِ الْبُقْعَةِ * وَشاهُ هٰذِهِ الرُّقْعَةِ *

ابن سبيل * زاده في زبيل * وظله غير ثقيل * وما يبغي سوى مقيل * فاجمعنا على الجنوح اليه * وان لا نبخل بالماعون عليه * فلما استوى على الفلك * قال اعوذ بمالك الملك * من مسالك الهلك * ثم قال انا روينا فى الاخبار * المنقولة عن الاحبار * ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على العلماء ان يعلموا * وان معي لعوذة * عن الانبياء * ماخوذة * وعندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة * وما وسعني الكتمان * ولا من خيمي الحرمان * فتدبروا القول وتفهموا * واعملوا بما تعلمون وعلموا * ثم صاح صيحة المباهي * وقال اتدرون ما هي * هي والله حرز السفر * عند مسيرهم فى البحر * والجنة من الغم * اذا جاش موج اليم * وبها استعصم نوح يوم الطوفان * ونجا ومن معه من الحيوان * على ما صدعت به آي القرآن * ثم قرأ بعد اساطير تلاها * وزخارف جلاها * وقال اركبوا فيها * بسم الله مجريها ومرسيها * ثم تنفس تنفس المغرمين * او عباد الله المكرمين * وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين * ونصحت لكم نصح المبالغين * وسلكت بكم محجة الراشدين * فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة * وعجت له اصواتنا بالتلاوة * وآنس قلبي من جرسه * معرفة عين شمسه * فقلت له بالذي سخر البحر للجي * الست السروجي * فقال لي بلى * وهل يخفى ابن جلا * فاحمدت حينئذ السفر * وسفرت عن نفسي اذ سفر * ولم نزل نسير والبحر

فاستدِم عَيْشک الرغيدَ وحاذِرْ * اَن تبيعَ المحققَ بالمظنونِ

واحترِس من مخادعٍ لک يَرقيک ليُلقيکَ فی العذابِ المهينِ

ولعَمري لقد نَصَحتُ ولکنْ * کم نصيحٍ مشبّهٍ بظنينِ

ثمّ انه طمسَ المکتوبَ علیٰ غفلةٍ * وتفل عليه مائةَ تفلةٍ * وشدّ الزبدَ في خرقةِ حريرٍ * بعدَ ما ضمّخها بعبيرٍ * وامر بتعليقها علیٰ فخذ الماخضِ * واَن لا تعلق بها يدُ حائضٍ * فلم يکُ الا کذواقِ شاربٍ * اوفواقِ حالبٍ * حتّیٰ اندلقَ شخصُ الولدِ * لخصيصیٰ الزّبدِ * بقدرةِ الواحدِ الصّمدِ * فامتلأ القصرُ حبوراً * واستطير عميدُه وعبيدُه سروراً * واحاطتِ الجماعةُ بابی زيدٍ تثنی عليه * وتقبّلُ يديه * وتتبرکُ بمساسِ طمريه * حتّیٰ خُيّلَ اليَّ انه القرنیّ اويسٌ * او الاسديّ دبيسٌ * ثمّ انثال عليه من جوائزِ المجازاة * ووصائلِ الصّلاتِ * ما قيّضَ له الغنیٰ * وبيّضَ وجهَ المنیٰ * ولم يخلُ ينتابه الدّخلُ * مذ نُتِجَ السَّخلُ * الیٰ ان اُعطیَ البحرُ الامانَ * وتمنّی الاتمامُ الیٰ عمانَ * فاکتفیٰ ابوزيدٍ بالنحلةِ * وتأهّبَ للرحلةِ * فلم يسمحِ الوالی بحرکتهِ * بعد تجربةِ برکتهِ * بل اوعزَ بضمّهِ الیٰ خزانتهِ * وان تطلقَ يدُه في خزانتهِ * قال الحارثُ بن همامٍ فلمّا رأيتُه قد مالَ * الیٰ حيثُ يکتسبُ المالَ * انحيتُ عليه بالتّعنيفِ * وهجّنتُ له مفارقةَ المألفِ والاليفِ * فقال اليکَ عنّی * واسمعْ منّی * **نظم**

لا تصبوَنّ الیٰ وطنْ * فيه تضامُ وتمتهنْ

الا انه لم يخل من كمد * لخلوه من ولد * ولم يزل يستكرم المغارس * ويتخير من الفارش النفائس * الى ان بشر بحمل عقيلة * وآذنت رقلته بفسيلة * فنذرت له النذور * واحصيت الايام والشهور * ولما حان النتاج * وصيغ له الطوق والتاج * عسر مخاض الوضع * حتى خيف على الاصل والفرع * فما فينا من يعرف قرارا * ولا يطعم النوم الا غرارا * ثم اجهش بالبكاء واعول * وردد الاسترجاع وطول * فقال له ابوزيد اسكن يا هذا واستبشر * وابشر بالفرج وبشر * فعندي عزيمة الطلق * التي انتشر سمعها في الخلق * فتبادرت الغلمة الى مولاهم * متباشرين بانكشاف بلواهم * فلم يكن الا كلا ولا * حتى برز من هلمم بنا اليه * فلما دخلنا عليه * ومثلنا بين يديه * قال لابي زيد ليهنك منالك * ان صدق مقالك * ولم يفل فالك * فاستحضر قلما مبريا * وزبدا بحريا * وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف * فما ان رجع النفس * حتى احضر ما التمس * فسجد ابو زيد وعفر * وسبح واستغفر * ثم اخذ القلم واسحنفر * وكتب على الزبد بالمزعفر *

نظم

ايهذا الجنين اني نصيح * لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين * وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الف * مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت * الى منزل الاذى والهون
وترا اي لك الشقاء الذي تلقى * فتبكي له بدمع هتون

لتُونسَنِي في الغُربة * وتَرحَضَ عنّي قَشَفَ العُزبة * فلَقِيتُ مِنها مَرَقَ القِربة * تَمطُلُني بحقّي * وتُكلِّفُني فَوقَ طَوقي * فانا منها نِضوُ وجَى * وحِلفُ شَجوٍ وشَجي * وها نحن قد تساعَينا الى الحاكم * ليَضرِبَ على يدِ الظّالم * فانِ انتظمَ بيننا الوِفاقُ * والاّ فالطّلاقُ والانطلاقُ * قال فمِلتُ الى ان اخبَرَ لمن الغَلَبُ * وكيفَ يكونُ المُنقَلَبُ * فجعلتُ شُغلِي دَبرَ اُذُني * وصَحِبتُهما وان كُنتُ لا اُغني * فلمّا حضَرا القاضيَ وكان مِمّن يَرى فضلَ الامساك * ويَضِنُّ بنُفاثةِ السّواك * جثا ابوزيدٍ بين يَدَيه * وقال ايّد اللهُ القاضيَ واحسَنَ اليه * انّ مَطِيّتي هذه اَبِيَّةُ القِياد * كثيرةُ الشِّراد * مع انّي اَطوَعُ لها من بَنانِها * واَحنى عليها من جَنانِها * فقال لها القاضي وَيحكِ اَما عَلِمتِ انّ النُّشوزَ يُغضِبُ الرَّبَّ * ويُوجِبُ الضَّربَ * فقالت انّه ممّن يَدُورُ خَلفَ الدّار * ويأخُذُ الجارَ بالجار * وليس لي على ذلك اصطِبار * فقال له القاضي تبّاً لك اَتَبذُرُ في السِّباخ * وتَستَفرِخُ حيثُ لا افراخ * اُغرُب عنّي لا نَعِمَ عَوفُك * ولا اَمِنَ خَوفُك * فقال ابوزيدٍ انّها ومُرسِلِ الرِّياح * لَاَكذَبُ مِن سَجاحِ * فقالت بل هو ومَن طَوَّقَ الحَمامةَ * وجَنَّحَ النَّعامةَ * اَكذَبُ من ابي ثُمامة * حين مَخرَقَ باليَمامة * فزَفَرَ ابوزيدٍ زفيرَ الشُّواظ * واستشاطَ استشاطةَ المُغتاظ * وقال لها وَيلَكِ يا دَفارِ يا فَجارِ * يا غُصّةَ البَعلِ والجارِ * اتَعمِدينَ في الخَلوةِ لتَعذيبي * وتُبدِينَ في الحَفلةِ تَكذيبي * وقد عَلِمتِ اَنّي حين بَنَيتُ عليكِ * ورَنَوتُ اليكِ * اَلفَيتُكِ اَقبَحَ مِن قِردةٍ * واَيبَسَ من قِدّةٍ * واَخشَنَ من لِيفةٍ * واَنتَنَ من جِيفةٍ * واَثقَلَ من

وارْحَلْ عن الدّارِ الّتي * تُعْلي الوِهادَ على القُنَنْ

واهْرُبْ الى كِنٍّ يَقِي * ولَوِ انّه حِضْنا حَضَنْ

وارْبأْ بنفسِك أنْ تُقِيمَ بحيثُ يَغْشاكَ الدَّرَنْ

وجُبِ البِلادَ فأيُّها * أرْضاكَ فاخْتَرْهُ وَطَنْ

ودَعِ التّذكُّرَ للمَعا * هِدِ والحَنِينَ الى السَّكَنْ

واعْلَمْ بانّ الحُرَّ في * أوْطانِه يَلْقَى الغَبَنْ

كالدُّرِّ في الاصْدافِ يُسْتَزْرَى ويُبْخَس في الثَّمَنْ

ثم قال حَسْبُك ما اسْتَمَعْتَ * وحبّذا انْتَ لوِ اتّبعْتَ * فاوضَحْتُ له مَعاذِيرِي * وقلتُ له كُنْ عَذِيرِي * فعَذَرَ واعتَذَرَ * وزَوَّدَ حتّى لم يَذَرْ * ثمّ شيّعَني تَشْييعَ الاقارِبِ * الى انْ ركِبْتُ في القارِبِ * فودّعْتُه وانا أشْكو الفِراقَ وأَدُمُّه * وأوَدُّ لو كانَ هَلَكَ الجَنِينُ وأُمُّه *

المقامة الاربعون التبريزية

أخْبَرَ الحارثُ بنُ همّام * قال أزْمَعْتُ التّبرِيزَ من تَبْرِيزَ * حينَ نَبَتْ بالذّليل والعزيز * وخَلَتْ من المُجِيرِ والمُجِيزِ * فبَيْنَما أنا في إعْدادِ الأُهْبَةِ * وارتِيادِ الصُّحْبَةِ * لَقِيتُ ابا زيدٍ السَّروجيّ مُلْتفّا بكِساءٍ * ومُحْتَفّا بنِساءٍ * فسأَلْتُه عن خَطْبِه * والى أيْنَ يَسْرُبُ مع سِرْبِه * فأوْمأَ الى امْرَأةٍ منهُنّ باهِرةِ السُّفُورِ * ظاهِرةِ النُّفُورِ * وقال تَزوَّجْتُ هذه

نَظَرَ الأَلمعيّ * وأَفكَرَ فِكرَةَ اللَوذَعيّ * ثم اقبلَ عليهما بوجهٍ قد قطّبهُ * ومِجَنٍّ قد قلّبهُ *
وقال ألم يكفكما التَّساؤهُ في مجالس الحكم * والإقدامُ على هذا الجُرم * حتى تراقيتما
من فحش المقاذعة * الى خُبث المخادعة * وايمُ اللهِ لقد اخطأت إستُكما الحُفرةَ *
ولم يُصِب سهمكما الثُّغرةَ * فانّ اميرَ المؤمنين * اعزّ اللهُ ببقائه الدِّين * نصبني لا قضي
بين الخصماء * لا لاَقضيَ دَين الغرماء * وحقّ نعمتهِ التي احلّتني هذا المحلَّ * وملّكتني
العقدَ والحلّ * لئن لم توضحا لي جليّةَ خطبكما * وخبيّةَ خِبّكما * لاُندّدنّ بكما في الامصار *
ولأجعلنّكما عِبرةً لأولي الأبصار * فأطرق ابو زيد اطراقَ الشجاع * ثم قال له سماعِ سماعِ *

نظم

أنا السروجيّ وهذي عِرسي * وليس كفو البدرِ غيرُ الشمسِ
وما تنافى أُنسها وأُنسي * ولا تناءى ديرُها من قَسّي
ولا عدت سقياي أرضَ غرسي * لكننا منذ ليالٍ خمسِ
نُصبح في ثوب الطّوى ونُمسي * لا نعرف المضغَ ولا التّحسّي
حتى كأنّا لخفوت النفسِ * أشباحُ موتى نُشروا من رمسِ
فحين عزّ الصبرُ والتأسّي * وشفّنا الضرُّ الأليمُ المسّ
قمنا لسعد الجدّ والتّنحسِ * هذا المقامَ جنتلا بفلسِ
والفقر يُلجي الحرّ حين يُرسي * الى التحلّي في لباس اللّبسِ

هَيْضَةٍ * واقْذَرَ من حِيضَةٍ * وَابْرَزَ من قِشْرةٍ * وابْرَدَ من قِرَّةٍ * وَاحْمَقَ من رِجْلَةٍ *
وَاوسَعَ مِنْ دِجْلَةٍ * فَسَتَرْتُ عُوارَكَ * ولم اُبْدِ عارَكَ * عَلَى انّه لو حَبَتكَ شِيرِينُ بجمالِها *
وزُبَيدَةُ بمالِها * وبِلْقِيسُ بعَرْشِها * وبُورانُ بفَرْشِها * والزَّبّاءُ بمُلْكِها * ورابعةُ بنُسْكِها * وخِنْدِفُ
بفَخْرِها * والخَنْساءُ بشِعْرِها في صَخْرِها * لَأَنِفْتُ أن تكونِي قَعِيدةَ رَحْلِي * وطَرُوقَةَ فَحْلِي * قال
فتَذَمَّرَتِ المرأةُ وتنمَّرَتْ * وحَسَرَتْ عن ساعِدِها وشَمَّرَتْ * وقالَتْ له يا ألأَمَ من
مادِرٍ * وأشأَمَ من قاشِرٍ * وأجبَنَ من صافِرٍ * وأطْيَشَ من طامِرٍ * أتَرْمِينِي بشَنارِكَ *
وتَفْرِي عِرْضِي بشِفارِكَ * وانتَ تَعلَم انّكَ أحقَرُ من قُلامة * وأعيَبُ من بَغْلَةِ ابي
دُلامة * وأفضَحُ من حَبْقَةٍ في حَلْقةٍ * وأحيَرُ من بَقَّةٍ في حُقَّةٍ * وهَبكَ الحَسَنَ في لَفظِه
ووَعْظِه * والشَّعبيَّ في عِلمِه وحِفظِه * والخَلِيلَ في عَرُوضِه ونَحْوِه * وجَريرًا في غَزَلِه
وهَجْوِه * وقُسًّا في فَصاحتِه وخَطابتِه * وعبدَ الحَمِيد في بَلاغتِه وكِتابتِه * وأبا عَمْرٍو في
قِراءتِه وإعرابِه * وابنَ قُرَيبٍ في روايتِه عن أعرابِه * أتظُنُّنِي أرضاكَ إمامًا لمِحرابِي *
وحُسامًا لقِرابِي * لا واللهِ ولا بَوّابًا لبابِي * ولا عَصًا لجِرابِي * فقال لهما القاضِي
أراكُما شَنًّا وطَبَقَة * وحِدَأةً وبُنْدُقَة * فاترُكْ أيُّها الرجلُ اللَّدَدَ * واسلُكْ في سَيرِكَ الجَدَدَ *
وأمّا أنتِ فكُفّي عن سِبابِه * وقِرِي اذا أتى البيتَ من بابِه * فقالتِ المرأةُ واللهِ
ما أسجُنُ عنه لِسانِي * إلّا إذا كَسانِي * ولا أرفَعُ له شِراعِي * دُونَ إشباعِي * فحلَفَ
ابوزيدٍ بالمُحرِجاتِ الثَّلث * انّه لا يَملِكُ سِوَى أطمارِهِ الرِّثاث * فنظَرَ القاضِي في قَصَصِهما

وآخذ يذمّ القضاءَ ومناعبه * ويعدّد شوائبه ونوائبه * ويفنّد طالبه وخاطبه * ثم تنفّس

كما يتنفّس الحريب * وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب * وقال إنّ هذا لشيءٌ

عجيب * أأرشق في موقف بسهمين * أأُلزم في قضيّة بغرمين * أأطيق ان أُرضي

الخصمين * ومن أين * ومن أين * ثمّ عطف الى حاجبه * المنفذ لمآربه * وقال ما هذا

يومُ حكمٍ وقضاء * وفصلٍ وإمضاء * هذا يومُ الاغتمام * هذا يومُ الاغترام * هذا يومُ البحران *

هذا يومُ الخسران * هذا يومٌ عصيب * هذا يومٌ نصاب فيه ولا نصيب * فأرضني من

هذين المهذارين * واقطع لسانهما بدينارين * ثمّ فرّق الاصحاب * وأغلق الباب *

وأشع انّه يوم مذموم * وانّ القاضي فيه مهموم * لئلّا يحضرني خصوم * قال فأمّن

الحاجب على دعائه * وتباكى لبكائه * ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين * وقال أشهد

أنّكما لأحيل الثقلين * لكن احترما مجالس الحكّام * واجتنبا فيها فحش الكلام * فما

كلّ قاضٍ قاضي تبريز * ولا كلّ وقتٍ تسمع الاراجيز * فقالا لمثلك من حجب *

وشكرك قد وجب * ونهضا وقد حظيا بدينارين * وأصليا قلب القاضي نارين *

تفسير ما تضمّنت هذه المقامة من

الالفاظ اللغويّة والامثال العربيّة

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدّة في الأمر الذي يزاوله كما

انّ حامل القربة يلقى جهدًا حتى يعرق * وقوله جعلته دبر أذني يعني اطّرحته *

فهذه حالي وهذا ادرمي * فانظر الى يومي وسل من امسي

وامُر بجبري ان تشأ او حبسي * ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي لِيَثُب اُنسُك * ولتطب نفسك * فقد حقّ لك ان تُغفر خطيئتك * وتُوفَّر عطيّتك * فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت * واشارت الى الحاضرين وقالت *

نظم

يا اهل تبريز لكم حاكمٌ * اوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمته ضيزى

قصدته والشيخ نبغي جنى * عودٍ له ما زال مهزوزا

فسرّح الشيخ وقد نال من * جدواه تخصيصاً وتمييزا

وردّني اخيب من شائم * برقاً خفا في شهر تموزا

كأنه لم يدر انّي التي * لقّنت ذا الشيخ الاراجيزا

وانّني ان شئت فادرته * اضحوكةً في اهل تبريزا

قال فلمّا رأى القاضي اجتراء جنانهما * وانصلات لسانيهما * علم انّه قد مُني منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منح احد الزوجين * وصرف الآخر صفر اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلّى المغرب ركعتين * فطلسم وطرسم * واخرنطم وبرطم * وهمهم وغمغم * ثم التفت يمنة وشأمة * وتململ كآبة وندامة *

صافِر فقد اختلف في تفسيره قال بعضهم عُنِيَ به كُلّ ما يَصفِرُ من الطَّير * وخُصَّ بالجُبن لكثرةِ ما يتّقيه من جَوارِح الجوّ ومَصائِد الأرضِ وقيل انّه طائرٌ بعينِه اذا جَنّه اللّيلُ تعلّق ببعض الأغصانِ ولم يزَلْ يصفِرُ طوالَ ليلتِه خوفًا من أن ينامَ فيؤخَذ * وقيل انّه الّذي يَصفُر بالمرأة لِريبةٍ فهو يَجبُن وقتَ صفيره مَخافة أن يُظهَر على أمرِه * وقيل انّ المرادَ به في المَثَل المَصفورُ به وهو الّذي يُنذَر بالصَّفير فعلى هذا القَولِ فاعلٌ هُهنا بمعنى مَفعول كقوله تعالى مِن ماءٍ دافقٍ اي مَدفوقٍ وكقولهم راحِلة بمعنى مَرحولة وهو كثيرٌ في كلامهم * وقد جاءَ مفعولٌ بمعنى فاعلٍ كقوله تعالى حِجابًا مَستورًا اي ساترا * واما قولُها أطيشُ من طامِرٍ فالمرادُ به البُرغوثُ ويُسمّى طامِرَ بنَ طامِرٍ لكثرة وُثوبه * واما قولُ القاضي أراكُما شنًّا وطَبَقَه وحِدأةً وبُندُقَه فانّه ارادَ به ان كلًّا منكما كُفوٌ لصاحبِه ومُقاوِم له ولِكلٍّ من المَثَلين تفسيرٌ مُختلَفٌ فيه * امّا شنٌّ وطبقه فانّ العُلماء مختلفون في معنى قولهم وافَقَ شنٌّ طَبقه فقال الاكثرون انّهما قبيلتان فشنٌّ هو ابنُ أفصى بن دُعمِيّ بن جَديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار * وطبَقةُ حيٌّ من ايادٍ وكانت طبقةُ لا تُطاقُ فاوقعت بها شنٌّ فانتصفت منها * وقال بعضهم كان شنٌّ رجلًا من دُهاةِ العَرب وكان الزم نَفسَه ألّا يتزوّجَ الا بامرأةٍ تُلائمه فكان يَجوبُ البلادَ في ارتيادِ طَلِبتِه فصاحبَه رجل في بعضِ أسفاره فلمّا أخذ منهما السَّيرُ قال له شنٌّ أتحمِلُني أم أحمِلُك فقال له الرَّجلُ يا جاهلُ هل يَحمِلُ الرّاكِبُ الراكبَ فأمسك وسارا حتى أتيا على زَرعٍ فقال له شنٌّ أترى هذا الزَّرعَ

زهو كقوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وقوله اَكْذَبُ من سَجاحِ يعني التي تَنَبَّأَتْ في عهدِ مُسَيلِمَةَ الكَذّابِ * وسارَتْ اليه لِمُناظرةٍ وتَخْتَبِرَهُ * ثم آمنَتْ به وَوَهَبَتْ نفسها له * وهذا الاسم مبنيٌّ على الكَسْرِ مثلَ حَذامِ وقَطامِ لكونه من الأسماءِ المَعْدولة واشتقاقُه من السَّجاحة وهي السُّهولة ومنه قولُهم مَلَكْتَ فَاَسْجِحْ * وقولُها اَكْذَبُ من ابي ثُمامَة هذه كُنيةُ مُسَيلِمَةَ الكَذّاب وكان تَنَبَّأَ باليمامة ومَخرقَ بها الى اَنْ سارَ اليه خالدُ بنُ الوَلِيد وقَتَلَه * وقوله لا نَعِمَ عَوفُك العَوْفُ الحالُ وهو ايضا الذَّكَرُ * ويُدْعى للباني على اَهْله فيُقال له نَعِمَ عَوفُك * وقوله يا دَفارِ ويا فَجارِ هذان الاسمانِ مَعْدولانِ عن دَفِرَةٍ وفاجِرَةٍ والدَّفَرُ النتن وبه سُمِيَتِ الدُّنيا اُمَّ دَفْرٍ وكلُّ ما سُمِّي بصِفَةٍ غالبةٍ ثم عُدِلَ بها الى فَعالِ بُنِيَ على الكَسرِ عند النِّداء كقولك يا لَكاعِ يا خَباثِ يا دَفارِ يا فَجارِ ولا يجوزُ استعمالُ ذلك في غَيرِ النِداء الا في ضَرُورةِ الشِّعر كقَوْلِ الشّاعر *

نظم

اُطَوِّفُ ما اُطَوِّفُ ثم آوِي * الى بَيْتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

واما قوله اَحمَقُ من رِجْلِة فهي ضربٌ من الحَمْضِ تَنبُتُ في مَجارِي السَّيْل فيَجْتَرِفُها * واما قولُها اَلأَمُ من مادِرٍ فهو رجل من بني هِلال بن عامرٍ كان اتَّخذ حَوْضًا لِسَقْيِ ابِلِه فلمّا رَوِيَتْ سَلَحَ فيه ومَدَرَه بسَلْحِه لئلّا يَنْتَفِعَ به مَنْ بَعْدَه * واما قولُها اَشأمُ من قاشِرٍ فانه فَحلٌ كان في بَعضِ قَبائِلِ سَعْدِ بنِ زَيدِ مَناةَ ما طَرَقَ ابِلاً الّا ماتَتْ * وقيل المرادُ به العامُ المُجدِبُ وسُمِّي قاشرًا لقَشْرِهِ وَجْهَ الأَرْضِ من النَّبات * واما قولُها اَجْبَنُ من

وَقفا * وزعم انه اسم القبيلة * واما قوله اَخْطاَتْ اِستُكما الحُفرةَ فاِنهُ مَثلٌ يُضربُ لمن يُخطِئ في مَقْصدهِ ويضع الشَيْءَ في غَيْرِموضعِهِ * واما قوله طَلْسَمَ وطَرْسَمَ فمعني طَلْسَمَ كَرَّهَ وَجْهَه ومعني طَرْسَمَ اَطرَقَ * وقوله اِخْرَنْطَمَ وبَرْطَمَ اى غَضِبَ و قَطَّبَ وقيل معني آخر نَطَمَ اى غَضِبَ مع تكَبُّرٍ ومعني بَرْطَمَ اى غَضِبَ مع تَعَبُّسٍ * وقوله هَمْهَمَ وغمغم اى لم يُبيِّنِ الكلامَ *

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حَدَّثَ الحارثُ بن هَمَّام قال اَطعْتُ دَواعِيَ التَّصابِي * في غُلَواءِ شَبابِي * فلم اَزَلْ زِيرًا للغِيْدِ * واُذُنًا للاغارِيْد * الى آنْ وافَى النَّذِيْرُ * ووَلَّى العَيْشُ النَّضِيرُ * فقرِمْتُ الى رُشْدِ الانتباه * ونَدِمْتُ علي ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللّه * ثُمَّ اَخذْتُ في كَسْعِ الهَناتِ بالحَسَناتِ * وتَلافِي الهَفَواتِ قَبْلَ الفَواتِ * فمِلْتُ عن مُغاداةِ الغاداتِ * الى مُلاقاةِ التُّقاةِ * وعَنْ مُقاناةِ القَيْناتِ * الى مُداناةِ اَهْلِ الدِّياناتِ * وآلَيْتُ ان لاّاَصْحَبَ اِلاَّ مَنْ نَزَعَ عَنِ الغَيِّ * وفاءَ مَنْشَرُهُ الى الطَّيِّ * واِنْ اَلْفَيْتُ مَنْ هوخَلِيعُ الرَّسَنِ * مَدِيدُ الوَسَنِ * اَنْأَيْتُ دارِى عَنْ دارِهِ * وفَرَرْتُ من عَرِّهِ وعارِهِ * فلَمّا اَلْقَتْنِى الغُرْبَةُ بتِنِّيسَ * واَحَلَّتْنِي مَسْجِدَها الاَنِيسَ * رأيتُ به ذاحَلْقَةٍ مُلْتَحِمَةٍ * ونَظّارةٍ مُزْدَحِمَةٍ * وهو يَقُولُ بجاشٍ مَتِينٍ * ولِسانٍ مُبِينٍ * مِسكِينٌ اِبْنُ آدَمَ واَيُّ مِسكِينٍ * رَكَنَ مِنَ الدُّنيا الى غَيْرِرَكِيْنٍ * وَاسْتَعصَمَ مِنها بِغَيْرِمَكِيْنٍ * وذُبِحَ مِنْ حُبِّها بِغَيْرِسِكِّيْنٍ *

قد أُكِلَ أَمْ لا فقال له يا جاهِلُ اما تَراهُ فى سُنْبلِه فأمسك الى ان استقبلتهما جنازة

فقالَ له شَيٌ اَتری صاحبها حيًّا فقال له ما رأيتُ اَجْهلَ منك اَتراهم حملوا الى القبر

حيًّا ثم انّهما وصلا الى قَرْيَةِ الرَّجل فصار به الى مَنْزله وكانت له بنتٌ تُسَمّی طَبَقَة

فأخَذَ يُطْرِفُها بحديث رفيقه فقالت له ما نَطَقَ الا بالصَّواب ولا استَفْهَمَكَ الاّ عَمّا

يُستَفهَم عن مثلِه امّا قَوْلُه اتحمِلُني ام اَحمِلُكَ فانه اَراد اَتحدّثني ام اُحدّثك حتى

نَقْطَعَ الطريقَ بالحديث واما قولُه اَتری هذا الزَّرْعَ اُكِلَ ام لا فانّه اراد هل استسلفَ

اَهْلُه ثَمَنَه ام لا واما استفهامُه عن صاحبِ الجنازة اَحَيٌّ هُو فانّه اراد اَخَلَّفَ عَقِبًا

يَحْيی ذِكْرُه به ام لا فلمّا خَرَجَ الى الرجل حدَّثَه بتأويل ابنته كلامَه فخطبها اليه فزوّجه

ايّاها فلمّا سار بها الى قَوْمِه وخبّروا ما فيها من الدَّهاءِ والفِطْنَة قالُوا وافَقَ شَنٌّ طَبَقَة

فسارَتْ مَثَلًا وحُكِيَ اَنَّ الاَصْمَعِيَّ سُئِلَ عن تفسير هذا المَثَل فقال اَظُنّ الشَّنَّ وِعاءً

من اَدَمٍ كان قد استَشَنَّ فلما اتّخِذَ له غِطاءٌ وافقه ضُرِبَ فيه هذا المَثَل * واما حِدَأةَ

وبُنْدُقَة فانّه يُقال فى المَثَل المضروبِ لِمَنْ يفزع بعَدُوِّه او يُبْلی بنَظِيرِه حِدَاَ حِدَاَ وراءَكَ

بُنْدُقَة وكانَ الاَصْلُ حِدَأَةُ باثبات الهاءِ فرُخِّمَ فى النِّداءِ وقد اختلف فى المرادِ بهما

فقيل هما الطّائر المعروف وبُنْدُقَة الرّامی وقيل انّهما قبيلتان من سَعْدِ العشيرة فأغارَتْ

حِدَأَةُ وكانت تنزِلُ بالكوفة على بُنْدُقَة وكانت تنزل باليَمَن فنالَتْ منهم ثُمّ كَرّتْ بُنْدُقَة

على حِدَأة فأنحَتْ عليهم وروی بعضهم هذا المثَلَ حِدا حِدا فيرَمَهْموزٍ على مثالِ عَصا

فأخلص التوبة تطمس بها * من الخطايا السود ما قد نُقش
وعاشر الناس بخلق رضا * ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر إن حصّه * زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فإن * عجزت عن إنجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة * عساك في الحشر به تنتعش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد * بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من مبكياته * وقضى إنشاد أبياته * نهض صبي قد شدن * وأمرى البدن * وقال يا ذوي الحصاة * والإنصات الى الوصاة * قد وعيتم الإنشاد * وفقهتم الإرشاد * فمن نوى منكم أن يقبل * ويصلح المستقبل * فليبن ببري عن نيته * ولا يعدل عني بعطيته * فوالذي يعلم الأسرار * ويغفر الإصرار * إن سري لكما ترون * وإن وجهي ليستوجب الصون * فأعينوني رزقتم العون * قال وأخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب * ويسني له المطلوب * حتى أنبط جفره * واعشوشب قفره * فلما أن أترع الكيس * انصلت يميس * ويحمد تنيس * ولم يحل للشيخ المقام * بعد ما انصاع الغلام * فاسترفع الأيدي للدعاء * ثم نحا نحو الانكفاء * قال الراوي فارتحت الى أن أعجمه * وأحل مترجمه * فتبعته وهو يشتد في سمته * ولا يفتق رتق صمته * فلما أمن المفاجئ * وأمكن التناجي * لفت جيده الي * وسلم تسليم البشاشة علي * ثم قال أراقك ذكاء ذاك

يَكْلَفُ بها لِعبَاوَتِه * ويكلَبُ عليها الشقاوَتِه * ويَعْتَدُّ فيها لِمُفاخَرتِه * ولا يَتزوّدُ منها لآخِرَتِه * اُقْسِمُ بِمَنْ مَرج البحرين * ونَوّرَ القمرين * ورفع قدر الحجرين * لو عقل ابنُ آدم * لمَا نادَم * ولو أفكر فيما قدّم * لبكى الدّم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر في المآل * لحسّن قُبح الأعمال * يا عجبا كلّ العجب * لمن يقتحم ذات اللّهب * في اكتناز الذهب * وخزن النشب * لذوي النسب * ثم من البدع العجيب * ان يعظك وخط المشيب * وتؤذن شمسك بالمغيب * ولست ترى أن تنيب * وتهذب المعيب * ثم اندفع ينشد * انشاد من يرشد *

نظم

يا وَيْحَ مَنْ أنذرهُ شيبهُ * وهو على غيّ الصبا مُنكمِش

يَعْشُو الى نار الهوى بعد ما * أصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللّهو ويعتدّه * أوطأ ما يفترش المفترش

لم يهب الشيب الذي ما رأى * نجومه ذو اللّب الّا دهش

ولا انتهى عمّا نهاه النهى * عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له * وان يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرءٍ نشره * كنشر ميتٍ بعد عشر نبش

وحبّذا من عرضه طيّب * يروق حسنا مثل بُردٍ رُقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه * هلكت يا مسكين او تنتقش

بآلِ أبي صُفْرة * فلمّا الْقَيْتُ الجِران بنَجْران * واصطَفيْتُ بها الخُلّانَ والجيران * تخذتُه نَدِيْتَها مُعتَمري * ومَوسِمَ نُكاهتي وسَمَري * فكُنْتُ اتَعَهّدُها صَباحَ ومَساءَ * واظْهِرُفيها على ما سَرّوساءَ * فبينما أنا في نادٍ مَحشودٍ * ومَحفِلٍ مَشهودٍ * اذْ جثم لدينا هِمٌّ * عليه هِدمٌ * فحيّا تحيّة ملِقٍ * بلسانٍ ذلِقٍ * ثم قال يا بُدورَ المحافِل * وبُحورَ النّوافِل * قد تبيّن الصُّبحُ لذي عَينين * وناب العِيانُ مَنابَ عَدلَيْن * فماذا ترَوْنَ فيما تَرَوْنَ * أتُحسِنُونَ العَوْنَ * أم تَنأَوْنَ إذْ تُدعَوْنَ * فقالوا تاللّه لقد غِظْتَ * ورُمتَ أن تَنْبِطَ فغِضْتَ * فناشَدَهم اللّهَ عمّا ذا أصَدّهم * حتّى استَوجبَ رَدَّهم * فقالوا كُنّا نتناضَلُ بالألغاز * كما يُتناضَلُ يومَ البِراز * فما تمالكَ أن شَعشَعَ من المَنصول * والحَقَ هذا الفَضلَ بنَمَطِ الفُضول * فلسنَهُ لُسُنُ القَوْم * ووخَزُوهُ بأسِنّةِ اللَّوم * وآخذُهُو يتنصَّلُ مِن هَفوتِه * ويتندّمُ على فَوْهتِه * وهم مُضِبّون على مُواخذته * ومُلِبّون داعِيَ مُنابذَتِه * الى أن قال لهم يا قَومِ إنّ الاحتمالَ من كَرَمِ الطَّبع * فعَدُّوا عن اللَّذْع والقَذْع * ثمّ هَلُمَّ الى أن نُلغِزَ * ونُحكِّمَ المُبرِّزَ * فسكَنَ عند ذلك توقُّدُهم * وانحلّت عُقَدُهم * ورَضُوا بما شَرَطَ عليهم ولهم * واقترَحوا أن يكونَ أوّلَهم * فأمسكَ ريثما يَعقِدُ شِسعًا * ويَشُدُّ نِسعًا * ثمّ قال اسمَعوا وُقيتُم الطَّيشَ * ومُلّيتُم العَيشَ * وانشَدَ مُلغِزًا في مِروَحةِ الخَيش *

نظم

وجاريةٍ في سيرِها مُشمَعِلّةٍ * ولكنْ على إثْرِ المَسيرِ قُفولُها

الشَّوَيْدِن * فقلتُ اِيْ والمُؤمِنِ المُهَيْمِن * قال اِنّه فتى السَّرُوجِي * ومُخْرِجُ الدُّرِّمن اللُّجِّي * فقلتُ اَشْهَدُ اَنّك لشَجَرةُ ثَمَرتِه * وشُواظُ شَرارَتِه * فصَدِّق كِهانَتِي * واستَحْسِن اِبانَتِي * ثُمّ قال هَلْ لك في ابتدارِ البَيْت * لِنَتَنازَعَ كاسَ الكُمَيْت * فقلتُ له ويحك اَتأمُرُونَ النّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ اَنفُسَكم * فافتَرَّ افتِرارَ مُتَضاحِك * ومَرَّ غيرَ مُماحِك * ثُم بَدَا له اَنْ تَراجَعَ اِلَيَّ * وقال اِحفَظْها عَنِّي وعَلَيَّ *

نظم

اِصْرِفْ بِصَرْفِ الرّاحِ عنك الاَسى * ورَوِّحِ القَلْبَ ولا تَكْتَئِبْ
وقُلْ لِمَنْ لامَكَ فيما بِهِ * تَدفَعُ عنك الهَمَّ قَدْكَ اتَّئِبْ

ثُم قال اَمّا اَنا فسَاَنطلِقُ * الى حَيْثُ اَصْطَبِحُ واَغتَبِقُ * واِذا كُنْتَ لا تَصْحَبُ * ولا تُلائِمُ من يَطْرَبُ * فلَسْتَ لي برَفِيقٍ * ولا طَرِيقُكَ لي بطَرِيقٍ * فخَلِّ سَبِيلِي ونَكِّبْ * ولا تُنقِّرْ عَنِّي ولا تُنَقِّبْ * ثُمّ وَلَّى مُدبِرًا ولم يُعَقِّبْ * قال الحارثُ بنُ هَمّام فالتَهَبْتُ وَجْدًا عند انطلاقِه * ووَدِدْتُ لو لَمْ اُلاقِه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارثُ بنُ همّام * قال تَراءَتْ بِي مَرامِي النَّوى * ومَسارِي الهَوى * الى اَنْ صِرتُ ابنَ كُلِّ تُربَةٍ * واَخاكُلِّ غُربَةٍ * اِلّا اَنّي لَمْ اَكُن اَقْطَعُ وادِيًا * ولا اَشْهَدُ نادِيًا * اِلّا لاقتباسِ الاَدَبِ المُسلِي عن الاَشجان * المُغلِي قيمةَ الاِنسان * حتّى عُرِفَتْ لي هذه الشِّنْشِنَةُ * وتَناقَلَتْها عَنِّي الاَلسِنَةُ * وصارَتْ اَعلَقَ بي من الهَوى بِبَنِي عُذْرَةَ * والشَّجاعةِ

فريق بــا رزٍ فاعجب * له من راسبٍ طــافِ
يسحُّ دموعَ مهضــومٍ * ويهضِــمُ هضمَ متلافِ
ويُخشي منه حِــدَّتهُ * ولكنْ قلبُه صافِ

قال فلمّا رشَق * بالخَمْسِ التي نسَق * قال يا قوم تدبّروا هذه الخَمْسَ * واعقِدوا عليها الخَمْسَ * ثمّ رأيكم وضمّ الذَّيْل * اوالا زديادَ من الكَيْل * قال فاستفــزّتِ القومَ شهوَةُ الزِّيادة * على ما اُشْرِبُوا من البَلادة * فقالوا له انّ وُقوفَنا دونَ حَدِّك * ليُفحِمُنا مَن استيراءِ زَنْدِك * فان اتممتَ عشرًا فمنْ عِندِك * فاهتزّا هتزا زَمن فَلَج سَهْمُه * وانخزَل خصمُه * ثمّ افتتحَ النُّطق بالبَسْمَلة * وانشدَ مُلغِزًا في المِزَمَّلة

نظمٌ

ومَسرُورةٍ مَغمومةٍ طُولَ دَهرِها * ومَا هي تَدرِيْ مَا السُّرورُ ولا الغَمُّ
تُقرِّبُ اَحْيانًا لاَجْلِ جَنينِها * وكَمْ وَلَــدٍ لَوْلاهُ طُلِقَتِ الاُمُّ
وتُبعَدُ اَحْيانًا وما حالَ عهْدُها * وابْعادُ مَنْ لم يَسْتَحِلْ عَهْــدَهُ ظُلْمُ
اذا قصُرَ الليلُ استُلِذَّ وِصالُها * وان طــالَ فالا عراضُ عن وَصْلِها نُعْمُ
لَها مَلبَسٌ بادٍ انيقٌ مُبطَّنٌ * بما يُــزدَرِي لكن لما يَزْدَرِي الحُكْمُ

ثمّ كَشَرَ عن انيابِهِ الصفر * وانشدَ مُلغِزًا في الظُّفْر *

نظمٌ

ومَزهوبٍ الشبــا نامٍ * وما يُــرْوي ولا يَشْــرَبْ
يُري في العَشْرِ دونَ النَّحْــرِ فاسمَــعْ وَصْفَــهُ واعْجَــبْ

لها سائقٌ من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها

ترى في اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولّى المصيف قحولها

ثمّ قال وهاكم يا اولي الفضل * ومراكز العقل * وانشد ملغزًا في حابول النخل * نظم

ومنتسب الى امٍّ * تنشّا اصله منها

يعانقها وقد كانت * نفته برهةً عنها

به يتوصّل الجاني * ولا يُلحى ولا يُنهى

ثم قال ودونكم الخفيّة العلم * المعتكرة الظُلم * وانشد ملغزًا في القلم * نظم

وماموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام

له اذ يرتوي طيشان صادٍ * ويسكن حين يعروه الاوام

ويذري حين يستسعي دموعًا * يرقن كما يروق الابتسام

ثمّ قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * وانشد ملغزًا في الميل * نظم

وما ناكح اختين جهرًا وخفيةً * وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه * وان مال بعل لم تجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهدًا * وبرًّا وهذا في البعول قليل .

ثمّ قال وهذه يا ذوي الالباب * معيارًا لآداب * وانشد ملغزًا في الدولاب * نظم

وجافٍ وهو موصولٌ * وصولٌ ليس بالجافي

الامَ تنظُرون * وحتّام تُنظرُون * الَمْ يأنِ لكم استخراجُ الخبِيٓ * او استسلامُ الغَبِيّ * فقال لَوالهِ تاللّٰه لقد اعوصتَ * ونصبتَ الشّركَ فاقتنصتَ * فتحكّم كيف شئتَ * وحُزِ الغنم والصِّيتَ * ففرض من كلّ مُعَمّى فَرْضًا * واستخلصه منهم نَضّا * ثمّ فتح الاقفالَ * ووسمَ الاغفالَ * وحاولَ الاجفالَ * فاعتلق به مدرةُ القوم * وقال له لاالبتة بعدَ اليوم * فاستنسبْ قبلَ الانطلاق * وهبْها مُتعةَ الطّلاق * فاطرق حتّى قلنا مُريب * ثمّ انشدَ والدّمعُ يُجيب *

نظم

سَرُوجُ مَطلِعُ شَمسِي * ورَبعُ لهوِي وانسي
لكنْ حُرِمتُ نعِيمي * بها ولذّةَ نفسي
واعتضتُ منها اغترابًا * امَرّ يومِي وامسِي
ما لي مقَرٌّ بارضٍ * ولا قرارٌ لِعنسي
يومًا بنَجدٍ ويومًا * بالشّامِ اُضحِي وامسِي
ازجِي الزّمانَ بقُوتٍ * منغّصٍ مُستَخَسِّ
ولا ابِيتُ وعِندِي * فَلسٌ ومَن لي بفَلسِ
ومن يعِش مثلَ عيشي * باعَ الحيٰوةَ بِبَخسِ

ثمّ انّه اختبن خلاصةَ النّضّ * وبدرَ صاعِدًا في الارض * فناشدناه ان يعودَ * وامنيناه الوعُود * فلا وابيك ما رجعَ * ولا التّرغيب له نجعَ *

ثم تخازر تخازُرَ العِفريت * وأنشد مُلغِزًا * في طاقة الكِبريت * نظم

وما مَحفورةٌ تُدنَى وتُقصَى * وما منها اذا فكَّرتَ بُدُّ

لها رأسان مُشتبِهان جِدًّا * وكُلٌّ منهما لا خيرَ ضِدُّ

تُعذَّبُ اِنْ هما خُضِبا وتُلغَى * اذا عَدِما الخِضابَ ولا تعدُّ

ثم تَخمَّط تخمُّطَ القَرم * وانشد مُلغِزًا في حَلَبِ الكَرْم * نظم

وما شَيءٌ اذا فَسَدا * تحوَّلَ غَيُّه رَشَدا

وإنْ هو راقَ اوْصافًا * أَثارَ الشرَّ حَيثُ بَدا

زكيُّ العِرق والِدُهُ * ولكِنْ بئسَ ما وَلَدا

ثمّ اعتَضَدَ عَصا التَّسيار * وانشد مُلغِزًا في الطَّيار * نظم

وذي طَيشةٍ شِقُّهُ مائِلٌ * وما عابَهُ بهما عاقِلُ

يُرى ابدًا فَوقَ عِلِّيَّةٍ * كما يَعتَلي المَلِكُ العادِلُ

تَساوَى لَدَيهِ الحَصا والنُضارُ * وما يَستَوي الحَقُّ والباطِلُ

واعجَبُ اوصافِهِ اِنْ نَظَرتَ * كما يَنظُرُ الكَيِّسُ الفاضِلُ

تَراضِي الخُصُومِ به حاكِمًا * وقد عَرَفوا انَّهُ مائِلُ

قال فظَلَّتِ الافكارُ تَهيمُ في اودِيَةِ الاوهام * وتَجولُ جَولانَ المُستَهام * الى ان طالَ الامَد * وحَصحَصَ الكَمَد * فلما رآهم يَزنِدون ولا سَنا * ويَقضُون النَّهارَ بالمُنى * قال يا قَومِ

مُجِدّين * وارتحلنا مُدلِجين * ولم نزل نعاني السُّرى * ونعاصي الكرى * الى ان
بلغ الليل غايته * ورفع الفجر رايته * فلما اسفر الفاضح * ولم يبق الا واضح * توسمت
رفيق رحلتي * وسمير ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد * ومعلم الراشد * فنها دينا تحية
المحبين * اذا التقيا بعد البين * ثم تباثثنا الاسرار * وتناثثنا الاخبار * وبعيري ينحط من
الكلال * وراحلته تزف زفيف الرال * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت
استشف جوهرها * واسأله من اين تخيرها * فقال ان لهذه الناقة * خبرا حلو المذاقة * مليح
السياقة * فان احببت استماعه فانخ * وان لم تشأ فلا تصخ * فانخت بقوله نضوي * واهدفت
السمع لما يروي * فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت * وكابدت في تحصيلها الموت *
فما زلت اجوب عليها البلدان * واطس باخفافها الظران * الى ان وجدتها مبرا اسفار *
وعدة فرار * لا يلحقها العناء * ولا تواهقها وجناء * ولا تدري ما الهناء * فارصدتها
للخير والشر * واحللتها محل البر السر * فاتفق ان ندت منذ مدة * ومالي سواها عدة *
فاستشعرت الاسف * واستشرفت التلف * ونسيت كل رزء سلف * ومكثت ثلثا *
لا استطيع انبعاثا * ولا اطعم النوم الا احتثاثا * ثم اخذت في استقراء المسالك * وتفقد المسارح
والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحا * ولا استغشي بأسامريحا * وكلما ذكرت مضاءها في
السير * وانبراءها لمباراة الطير * لا مني الادكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حواء
بعض الاحياء * اذ سمعت من شخص مبتعد * وصوت منجرد * من ضلت له مطية *

المقامة الثالثة والاربعون البدويه
المعروفة بالبكر والثيب

اخبر الحارث بن همام * قال هفا بي البين المطوح * والسير المبرح * الى ارض يضل بها الخريت * وتفرق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * ورأيت ما كنت منه احيد * الا انني شجعت قلبي المزؤد * ونسأت نصوي المجهود * وسرت سير الضارب بقدحين * المستسلم للحين * ولم ازل بين وخد وذميل * واجازة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمس تجب * والضياء يحتجب * فارتعت لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام * ولم ادر اأكفت الذيل وارتبط * ام اقتعد الليل واختبط * وبينما انا اقلب العزم * وامتحص الحزم * ترأى لي شبح جمل * مستذر بجبل * فترجيته قعدة مريح * وقصدته قصد مشيح * فاذا الظن كهانة * والركوبة عيرانة * والمريح قد ازدمل ببجاده * واكتحل برقاده * فجلست عند راسه * حتى هب من نعاسه * فلما ازدهر سراجاه * واحس بمن فاجاه * نفر كما ينفر المريب * وقال أاخوك ام الذيب * فقلت بل خابط ليل ضل المسلك * فاضىء لي اقدح لك * فقال ليسر عنك همك * فرب اخ لم تلده امك * فانسري عند ذلك اشفاقي * وسرى الوسن الى آماقي * فقال عند الصباح يحمد القوم السرى * فهل ترى كما ارى * فقلت انني لك لاطوع من حذائك * واوفق من غذائك * فصدع بمحبتي * وتخبخ بصحبتي * ثم احتملنا

عِشرِین * وهاهُوَ من الْمُبْصِرِیْن * فقد کَذَبَ فی دَعْواہ * وکَبُرَمَا افْتَراہ * اللّٰھُمَّ اِلاَّ اَن یَمُدَّ قَذالَہ * وُیبیِّن مِصْداقَ ماقالَہ * فقال الحَکَمُ اللّٰھمَّ غَفرًا * وجَعَلَ یُقَلِّبُ النَعلَ بَطْنًا وظَھْرًا * ثم قال اَمّا ھٰذہ النَّعْلُ فنَعْلِیْ * واَمَّا مَطِیَّتُکَ ففِی رَحْلِی * فانھَضْ لِتَسلَّمِ ناقتِکَ * واجْعَلِ الخیرَ بحَسَبِ طاقتِکَ * فقُمْتُ وقُلْتُ *

نظم

اَقْسِمُ بالبَیْتِ العَتِیْقِ ذِی الحُرَمْ * والطائِفِیْنَ العاکِفِیْن فی الحَرَمْ

اِنَّکَ نِعْمَ مَنْ الیہِ یُحْتَکَمْ * وخَیْرُ قاضٍ فی الاَمَارِیْبِ حَکَمْ

فاسْلَمْ ودُمْ دَوْمَ النَّعامِ والنَّعَمْ *

نظم

فاَجابَ من غیرِ رَوِیَّۃٍ * ولامَقْدِنِیَّۃٍ * وقال *

جُزِیْتَ مَنْ شُکْرِکَ خَیرًا یَابنَ عَمْ * اِذْ لَسْتُ اَسْتَوْجِبُ شُکْرًا یُلتَزَمْ

شَرُّ الاَنامِ مَنْ اذا استَقْضِیْ ظَلَمْ * ثم مَنِ استُرْعِیْ فلم یَرْعَ الحُرَمْ

فذانِ والکَلْبُ سَواءٌ فی القِیَمْ *

ثُمَّ اِنَّہ نَفَذَ بَیْنَ یَدیَّ * مَنْ سَلَّمَ النّاقۃَ اِلَیَّ * ولم یَمْتَنَّ عَلَیَّ * فرُحْتُ اَجُرُّ ذَیْلَ الطَّرَب * واقولُ یالَلْعَجَب * قال الحارثُ بنُ ھَمّام فقلتُ لہ تا للّٰہِ لقَدْ اَطْرَفْتَ * وھَرَفْتَ بماعَرَفْتَ * فنا شَدْتُکَ اللّٰہَ ھَلْ لَقِیْتَ اَسْحَرَ منکَ بَلاغَۃً * واَحْسَنَ لِلَّفْظِ صِیاغَۃً * فقالَ اللّٰھُمَّ نَعَمْ * فاسْمَعْ ونَعَمْ * کُنْتُ عَزَمْتُ حِینَ اَتْھَمْتُ * عَلیٰ اَنْ اَتَّخِذَ ظَعِینَۃً * لتکُونَ لِی مُعِیْنَۃً * فحِیْنَ تَعَیَّنَ الخِطْبُ * وکادَ الاَمْرُ یَستَتِبُّ * اَنکَرْتُ فِکرَالمُتَحَرِّزِ من الوَھْم * المُتَأمِّلِ کَیْفَ مَسْقَطُ

حضرمية وطية * جلدها قد وسم * وعرها قد حسم * وزمامها قد ضفر * وظهرها كان
قد كسر ثم جبر * تزين الماشية * وتعين الناشية * وتقطع المسافة النائية * وتظل ابدا
لك مدانية * لا يعتورها الونى * ولا يعترضها الوجى * ولا تحوج الى العصا *
ولا تعصي فيمن عصى * قال ابو زيد فجذبني الصوت الى الصائت * وبشرني بدرك
الفائت * فلما افضيت اليه * وسلمت عليه * قلت له سلم المطية * وتسلم العطية * فقال
وما مطيتك * غفرت خطيتك * قلت ناقة جثتها كالهضبة * وذروتها كالقبة * وحلبها
ملأ العلبة * وكنت اعطيت بها عشرين * اذ حللت بيبرين * فاستزدت الذي
اعطى * ودريت انه اخطأ * قال فاعرض حين سمع صفتي * وقال لست بصاحب
لقطتي * فاخذت بتلابيبه * واصررت على تكذيبه * وهممت بتمزيق جلابيبه * وهو
يقول ياهذا اما مطيتي بطلبك * فاكفف من غربك * وعد عن سبك * والا فقاضني الى
حكم هذا الحي * البري من الغي * فان اوجبها لك فتسلم * وان زواها عنك فلا
تتكلم * فلم ار دواء قصتي * ولا مساغ غصتي * الا ان آتي الحكم * ولو لكم *
فانحدرنا الى شيخ ركين النصبة * انيق العصبة * يونس منه سكون الطائر * وان ليس
بالجائر * فاندرأت اتظلم واتألم * وصاحبي مرم لا يترمرم * حتى اذا انثلت
كنانتي * وقضيت من القصص لبانتي * ابرز نعلا رزينة الوزن * محذوة لمسلك
الحزن * وقال هذه التي عرفت * واياها وصفت * فان كانت هي التي اعطي بها

سَمِعتُ أنّ البِكرَ أشدُّ حُبًّا * وأقلُّ خِبًّا * فقال قد لعمري قيل ذا * ولكن كم قولٍ آذى *
ويحكَ أما هي المُهرةُ الأبيّةُ العِنان * والمطيّةُ البطيّةُ الإذعان * والزَّندةُ المتعسّرةُ الاقتداح *
والقلعةُ المستصعبةُ الافتتاح * ثمّ إنّ مَؤونتها كثيرةٌ * ومعونتها يسيرةٌ * وعِشرتها صَلِفةٌ * ودالّتها
مُكلِّفةٌ * ويدها خرقاءُ * وفتنتها صمّاءُ * وعريكتها خشناءُ * وليلتها ليلاءُ * وفي رياضتها عَناءٌ *
وعلى خِبرتها غِشاءٌ * وطالما أخزتِ المنازلَ * وفركتِ المغازلَ * وأحنقتِ الهازلَ * وأضرمتِ
الغنيقَ البازلَ * ثمّ إنها التي تقول أنا ألبسُ وأجلس * فاطلُبْ من تُطلِّقُ وتحبس * فقلتُ
له فما ترى في الثيّب * يا أبا الطيّب * فقال ويكَ أترغبُ في فضالةِ المأكل * وثُمالةِ المنهل *
واللباسِ المُستبذَل * والوعاءِ المُستعمَل * والذوّاقةِ المتطرِّفة * والخرّاجةِ المتصرِّفة *
والوقاحِ المتسلِّطة * والمحتكِرةِ المتسخِّطة * ثمّ كلمتُها كنتُ وصِرتُ * وطالما بُغِيَ عليَّ
فنُصِرتُ * وشتّانَ بين اليومِ وأمسِ * وهيهاتَ القمرُ من الشمسِ * وإن كانت
الحنّانةَ البَروك * أو الطمّاحةَ الهَلوك * فهي الغُلُّ القَمِلُ * والجُرحُ الذي لا يندمِلُ *
فقلتُ له هل ترى أن أترهّب * وأسلكَ هذا المذهب * فانتهرني انتهارَ المؤدِّب *
عند زلّةِ المتأدِّب * ثم قال ويلك أتقتدي بالرهبان * والحقُّ قد استبان * أُفٍّ لك
ولوهنِ رأيك * وتبًّا لك ولأولئك * أتراك ما سمعتَ بأن لا رهبانيّةَ في الإسلام *
ولا حُدِّثتَ بما نكحَ نبيُّك عليه السلام * ثمّ أما تعلمُ أنّ السَّكَنَ الصالحةَ تَرُبُّ بيتَك *
وتُلبّي صوتَك * وتغضُّ طرفَك * وتُطيِّبُ عَرفَك * وبها ترى قُرّةَ عينِك * وريحانةَ

السَّهَم * وبِتُّ لَيْلَتِي اُناجي القلبَ المُعذَّب * واُقلِّبُ العزمَ المُذَبْذَب * الى اَنْ
اَجمَعْتُ على اَن اُسحِر * واُشاوِرَ اَوّلَ مَن اُبصِر * فلما قوّضتِ الظُلمةُ اَطنابَها * ووَلَّتِ الشُّهُبُ
اَذنابَها * غدَوتُ غُدُوَّ المُتعرِّف * وابتكرتُ ابتكارَ المُتعيِّف * فانبرى لي يافعٌ * في وجهِهِ شافِعٌ *
فتيمّنتُ بمَنظَرِهِ البَهِج * واستقدحتُ رأيَهُ في التزويج * فقال اَوَ تَبغيها عَوانًا * اَمْ بِكرًا
تُعاني * فقلتُ اِختَرْ لي ما ترى * فقد اَلقيتُ اليكَ العُرى * فقال اِليَّ التَّبيينُ * وعليكَ
التعيينُ * فاسمعْ اَنا اَفديكَ * بعدَ اَن اُعاديكَ * اَمّا البِكرُ فالدُّرّةُ المَخزونةُ * والبَيضةُ
المَكنونةُ * والثَّمرةُ الباكورةُ * والسُّلافةُ المَذخورةُ * والرَّوضةُ الاُنُفُ * والطَّوقُ الذي ثَمُنَ
وشَرُفَ * لم يُدنِّسْها لامِسٌ * ولا استغشاها لابِسٌ * ولا مارَسَها عابِثٌ * ولا وَكَسَها طامِثٌ *
ولها الوجهُ الحَيِيُّ * والطَّرفُ الخَفِيُّ * واللِّسانُ العَيِيُّ * والقلبُ النَّقِيُّ * ثمّ هي الدُّميةُ
المُلاعِبةُ * واللُّعبةُ المُداعِبةُ * والغَزالةُ المُغازِلةُ * والمُلحةُ الكامِلةُ * والوِشاحُ الطاهرُ القَشيبُ *
والضَّجيعُ الذي يَشِبُّ ولا يَشيبُ * واما الثَّيِّبُ فالمَطيّةُ المُذلَّلةُ * واللُّهنةُ المُعجَّلةُ *
والبُغيةُ المُسهَّلةُ * والطَّبّةُ المُعلِّلةُ * والقَرينةُ المُتحبِّبةُ * والحَليلةُ المُترِّبةُ * والصَّناعُ
المُدبِّرةُ * والفَطِنةُ المُختبِرةُ * ثمّ اِنّها عُجالةُ الراكِبِ * واُنشوطةُ الحاطِبِ * وقُعدةُ العاجِزِ *
ونُهزةُ المُبارِزِ * عَريكتُها لَيِّنةٌ * وعُقلتُها هَيِّنةٌ * ودِخلتُها مُتبيِّنةٌ * وخِدمتُها مُزَيِّنةٌ * واُقسِمُ
لقد صَدقتُ في النَّعتَينِ * واَجليتُ المَهاتَينِ * فبِاَيّتِهما هامَ قلبُكَ * وعلى اَيّتِهما قامَ زُبُّكَ *
قال ابو زيد فرأيتُهُ جَندلةً يتّقيها المُراجِمُ * وتُدمى منها المَحاجِمُ * الّا انّي قلتُ له كُنتُ

جَهْداً * حتّى اذا ادّانا السَّيرُ * الى قريةٍ مَزَبَ منها الخَيرُ * قد حَلَلْناها للارتياد * وكلانا مُنفِضُ مِنَ الزّاد * فما اِن بلغنا المَحطَّ * والمُناخَ المُختَطّ * اَو لَقِينا غلامٌ لم يبلُغِ الحِنْث * وعلى عاتقه ضِغْث * فحيّاه ابوزيد تحيّةَ المُسلم * وسأله وَقفةَ المُفهم * فقال وعمّ تسأل وفّقك الله * قال أيُباعُ ههنا الرُّطَبُ * بالخُطَب * قال لا والله * قال ولا البَلَح * بالمُلَح * قال كلّا واللّه * قال ولا التَّمر * بالسَّمر * قال هيهاتَ والله * قال ولا العَصيدةُ * بالقَصيدة * قال اُسكُت عافاك الله * قال ولا الثَّرائد * بالفَرائد * قال اَين يُذهَبُ بك اَرشدك الله * قال ولا الدَّقيق * بالمعنى الدَّقيق * قال مَه عن هذا اضحك الله * واستحلى ابوزيد تراجُعَ السؤال والجواب * والتكايُلَ من هذا الجراب * ولمح الغلامُ اَنّ الشَّوطَ بَطينٌ * والشيخ شُيَيطينٌ * فقال له حسبُك يا شيخ قد عرفتُ فنّك * واستبنتُ اَنّك * فخُذِ الجوابَ صُبرةً * واكتفِ به خِبرة * اَمّا بهذا المكانِ فلا يُشترى الشِّعرُ بشَعيرة * ولا النّثرُ بنُثارة * ولا القَصَصُ بقُصاصة * ولا الرِّسالةُ بغُسالة * ولا حِكَمُ لُقمانَ بلُقمة * ولا اَخبارُ المَلاحم بلُحمة * وامّا جيلُ هذا الزّمانِ فما فيهم مَن يَميح * اذا اُصيغَ له المديح * ولا مَن يُجيزُ اذا اُنشدَ له الاراجيز * ولا مَن يُغيث * اذا اَطرَبه الحديث * ولا مَن يَمير * ولو انّه اَمير * وعندهم اَنّ مَثَلَ الاديب * كالرَّبعِ الجديب * اِن لم تَجُدِ الرَّبعَ دِيمةٌ * لم تكن له قيمةٌ * ولا دانته بَهيمةٌ * وكذا الادب * اِن لم يَعضُده نَشَب * فدرسُه نَصَب * وحِزبُه حَصَب * ثمّ انسدَّ رَيعُه * وولّى يَحدُو * فقال لي ابوزيد اَعلمتَ اَنّ الادب

اُنْفِک * وَفَرْحَةَ قَلْبِک * وَتِعِلَّة یَوْمِک وَغَدِک * فکَیفَ رَغِبْتَ عَن سُنَّة المُرْسَلِین * ومُتْعَةِ المُتَاَهِّلِین * وشِرْعَةِ المُحْصَنِین * ومَجْلَبَة المَال والبَنِیْن * وَاللّٰه لقد ساءَنِی فِیک * ما سَمِعْتُ من فِیْك * ثم اَعْرَضَ اعراضَ المُغْضَب * ونَزَا نَزَوانَ العُنْظُب * فقلتُ له قاتَلَک اللّٰهُ اتَنْطِلُق مُتَبَخْتِرًا * وتَدَعُنِی مُتَحیِّراً * فقال اَظُنُّك تَدَّعِی الحَیْرَةَ * لتَجْلُدَ عُمَیْرَةَ * وتَسْتَغْنی عن المُهَیْرَة * فقلتُ له قَبَّحَ اللّٰهُ ظَنَّک * ولا اَشَبَّ قَرْنَك * ثم رُحْتُ عنه مَراحَ الخَزیان * وتُبتُ من مُشاوَرَة الصِّبْیان * قال الحارثُ بن هَمّام فقلتُ له اُقْسِمُ بمَن اَنبَتَ الاَیْک * اِنَّ الجَدالَ منک والِیْک * فاَغْرَبَ فی الضَّحِک * وطَرِبَ طَرَبَةَ المُنْهَتِک * ثُمَّ قال اِلْعَقِ العَسَل * ولا تَسَل * فاخَذْتُ اُسْهِبُ فی مَدْحِ الاَدَب * واُفَضِّلُ رَبَّهٗ علی ذی النَّشَب * وهو یَنْظُـرُ الَیَّ نَظَرَ المُسْتَجْهِل * ویُغْضِی عَنِّی اِغْضاءَ المُمْهِل * فلَمَّا اَسْرَفْتُ فی العَصَبِیَّة * لِلعُصْبَةِ الاَدَبِیَّة * قال لی صَهْ * واسْمَعْ مِنِّی وَافْقَهْ *

نظم

یَقولُون اِنَّ جَمالَ الفَتی * وزِیْنَتَهٗ اَدَبٌ راسِخٌ

وما اِن یَزِیْنُ سِوی المُکْثِرِین * ومَن طَـوْدُ سُوْدَدِهٖ شامِخٌ

فاَمَّا الفَقِیْـرُ فخَیـرٌ له * مِنَ الاَدَبِ القُرْصُ والکامِخٌ

واَیُّ جَمـالٍ له اَنْ یُقالَ * اَدِیبٌ یُعَلِّـمُ اَو ناسِخٌ

ثُمَّ قال سَیَضِحُ لکَ صِدْقُ لَهْجَتِی * واستِنارَةُ حُجَّتِی * وسِرْنا لانَا لُو جُهْدًا * ولا نَسْتَفِیْقُ

وَلا بِمِعْتامِ القِرىٰ مِيخارِ * اِذا اقْشَعَرَّتْ تُرَبُ الاَقْطارِ

وَضَنَّتِ الاَنْواءُ بالاَمْطارِ * فَهْوَ عَلىٰ بُؤْسِ الزَّمانِ الضّارِيْ .

جَمُّ الرَّمادِ مُرْهَفُ الشِّفارِ * لم يَخْلُ في لَيْلٍ ولا نَهارِ

مِنْ نَحْرِ وارٍ وَاقْتِداحِ وارِي

ثمّ تَلَقّانِي بِمُحَيّا حَيِيٍّ * وصافَحَنِي براحَةِ اَرْيَحِيٍّ * واقْتادَنِي الى بَيْتٍ دِشارُهُ تَخُورُ * وَاَعْشارُهُ تَفُورُ * وَوَلائِدُهُ تَمُورُ * وَمَوائِدُهُ تَدُورُ * وَبِاَكْسارِهِ اَضْيافٌ قد جَلَبَهُم جالِبِي * وَقَلَبُوا في قالَبِي * وهُمْ يَجْتَنُون فاكِهَةَ الشِّتاءِ * وَيَمْرَحُونَ مَرَحَ ذَوِي الفَتاءِ * فاَخَذْتُ مَاْخَذَهم في الاِصْطِلاءِ * وَوَجَدْتُ بِهِم وَجْدَ الثَّمِلِ بالطِّلاءِ * وَلَمّا اَنْ سَرَى الخَصَرُ * وانْسَرى الخَصَرُ * اُتِينا بِمَوائِدَ كالْهالاتِ دَوْراً * والرَّوْضاتِ نَوْراً * وقد شُحِنَّ بِاَطْعِمَةِ الوَلائِمِ * وَحُمِيْنَ مِنَ العائِبِ واللاّئِمِ * فَرَفَضْنا ما قِيْلَ فِي البِطْنَةِ * وَرَاَيْنا الاِمْعانَ فيها من الفِطْنَةِ * حَتّىٰ اِذا اكْتَلْنا بِصاعِ الحُطَمِ * وَاَشْفَيْنا عَلىٰ خَطَرِ التُّخَمِ * تَعاوَرْنا مَشُوْشَ الغَمَرِ * ثمّ تَبَوَّأْنا مَقاعِدَ السَّمَرِ * وَاَخَذَ كُلٌّ مِنّا يَشُولُ بِلِسانِهِ * وَيَنْشُرُ ما في صِوانِهِ * ما عَدا شَيْخاً مُشْتَهِباً فَوْداهُ * مُخْلَوْلِقاً بُرْداهُ * فاِنَّهُ رَبَضَ حَجْرَةً * وَاَوْسَعَنا هَجْرَةً * فَغاظَنا تَجَنُّبُهُ * المُلْتَبِسُ موجِبُهُ * المعذورُ فيهِ مُؤَنِّبُهُ * اِلاّ اَنّا اَلَنّا له القَوْلَ * وخَشِيْنا فِي المَسْئَلةِ العَوْلَ * وكُلَّما رُمْنا اَنْ يُفِيضَ كَما اَفَضْنا * اوْيُفِيْضَ فيما اَفَضْنا * اَعْرَضَ اِعْراضَ العِلْيَةِ من الاَرْذَلِيْنَ * وَتَلا اِنْ هٰذا اِلاّ اَساطِيْرُ

قد بار * ووَلّت انصاره الادبار * فبوّتُ له بحُسنِ البَصيرة * وملْتُ بحكم الضرورة *
فقال دعنا الآن من المصاع * وخض في حديث القصاع * واعلم ان الاسجاع *
لاتشبع من جاع * فما التدبير فيما يمسك الرمق * ويطفى الحرق * فقلت الامر اليک *
والزمام بيديک * فقال اری ان ترهن سيفک * لتشبع جوفک وضيفک * فناولنيه
واقم * لانقلب اليک بما تلتقم * فاحسنت به الظن * وقلدته السيف والرهن * فما لبث
ان ركب الناقة * ورفض الصدق والصداقة * فمكثت مليّا اترقّبه ثم نهضت اتعقّبه *
فكنت كمن ضيّع اللبن فی الصيف * ولم القه ولا السيف *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارث بن همّام * قال مشوت في ليلة داجية الظّلم * فاحمة اللّمم * الى نار
تضرم على علم * وتخبر عن كرم * وكانت ليلة جوّها مقرور * وجيبها مزرور * ونجمها
مغموم * وغيمها مركوم * وانا فيها اصرد من عين الحرباء * والعنز الجرباء * فلما ازل
انص منسى * واقول طوبی لک ولنفسی * الى ان تبصّر الموقد آلی * وتبيّن ارقالی *
فانحدر يعدو الجمزی * وينشد مرتجزا *

نظم

حُيّيت من خابط ليل ساری * هداه بل اهداه ضوء النار
الی رحيب الباع رحب الدار * مرحّب بالطارق المُمتار
ترحاب جعد الكف بالدينار * لبس بمز ويمن الزوّار

وَمُصبِحَةٍ لَمْ تَرَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَقَدْ * حَجَّتْ جُثِيًّا بِلَا شَكٍّ عَلَى الرُّكَبِ

معنى حَجَّتْ جُثِيًّا اى غَلَبَتْ بِالْحُجَّةِ مُجَادِلِين جَاثِين على الرُّكَب * وجُثّى جَمْعُ جاث *

ونِسْوَةٍ بَيْنَ مَا اَدْلَجْنَ مِنْ حَلَبٍ * صَبَّحْنَ كَاظِمَةً مِنْ غَيْرِ مَا تَعَبِ

كَاظِمَةٌ فى هذا الْمَوْضِع من كَظْمِ الْغَيْظِ

ومُدلِجِينَ سَرَوْا مِنْ اَرْضِ كَاظِمَةٍ * واَصْبَحُوا حِينَ لَاحَ الصُّبْحُ فى حَلَبِ

اى اَصْبَحُوا يَحْلُبُون اللَّبَن

ويَافِعًا لَمْ يُلَامِسْ قَطُّ غَانِيَةً * شَاهَدْتُهُ وَلَهُ نَسْلٌ من الْعَقِبِ

اليَافِعُ الَّذِى قد ترعرع وناهز البُلُوغَ والنَّسْلُ هُهنا العَدْوُ * ومنه قوله تعالى من كل حَدَبٍ يَنْسِلُون والعَقِبُ مُؤَخَّرُ القَدَم *

وشَائِبًا غَيْرَ مُخْفٍ لِلْمَشِيبِ بَدَا * فى البَدْوِ وَهُوَ فَتِيُّ السِّنِّ لم يَشِبِ

الشائِبُ هُهنا مَازِجُ اللَّبَن والمَشِيبُ اللَّبَنُ المَمْزُوج يقال فيه مَشُوبٌ ومَشِيبٌ *

ومُرْضَعًا بِلِبَانٍ لم يَفُهْ فَمُهُ * رَأَيْتُهُ فى شِجَارٍ بَيِّنِ السَّبَبِ

الشِّجَارُ المِحَفَّةُ ما لم تَكُنْ مُظَلَّلَةً فَاِنْ ظُلِّلَتْ فهو الهَوْدَجُ والسَّبَبُ هُهنا الحَبْلُ ومنه قوله تعالى فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ اِلَى السَّمَاءِ *

وزارِعًا ذُرَةً حَتَّى اِذَا حُصِدَتْ * صارت غُبَيْرَاءَ يَهْوَاهَا اَخُو الطَّرَبِ

الغُبَيْرَاءُ السَّكَرُ المُتَّخَذُ من الذُّرَةِ وفى الحديث اِيَّاكُمْ والغُبَيْرَاءَ فَاِنَّهَا خَمْرُ العَالَم

الاوّلین * ثم کانّ الحمیّة ها جته * والنّفس الابیة ناجته * فدلف وازدلف * وخلع الصّلف * وبذل ان یتلا فی ماسلف * ثمّ استرعی سمع السّامر * واندفع کالسّیل الهامر * وقال *

نظم

عندی اعاجیب اْرویها بلاکذب * عن العیان فکنّونی ابا العجب

رأیت یا قوم اقوامًا غذاؤهم * بول العجوز وما اعنی ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ایضا من اسماء الخمر *

ومُستنبین من الاعراب قوتهم * ان یشتووا خرقة تغنی من السّغب

الخرقة القطعة من الجراد

وکاتبین وما خطّت انا ملهم * حرفًا ولا قرأوا ماخطّ فی الکتب

الکاتبون الخرّازون * یقال کتب السّقاء والمزادة اذا خرزهما *

وقادرین متی ما ساء صنعهم * اوقصّروا فیه قالوا الذّنب للحطب

القادر الطابخ فی القدر والقدیر المطبوخ فیها *

وتابعین عقابًا فی مسیرهم * علی تکمّیهم فی البیض والیلب

العقاب الرّایة * وکانت رایة النبی صلّی اللّه علیه وسلّم تسمّی العقاب *

ومُنتدین ذوی نبلٍ بدت لهم * نبیلة فانثنوا منها الی الهرب

النبیلة الجیفة ومنه تنبّل البعیر اذا مات واروح *

ومُغرَمًا بِمُنا جاةِ الرِّجالِ لهُ * ومالَهُ في حَديثِ الخَلقِ مَن ارَبِ

الخَلقُ هٰهنا الكذبُ ومنه قولُه تعالى اِنْ هٰذا اِلّا خَلقُ الاَوَّلِين *

وذا ذِمامٍ وفَتْ بالعَهدِ ذِمَّتُهُ * ولا ذِمامَ له في مَذهَبِ العَرَبِ

الذِّمامُ الاول العهدو الثانى جمع ذِمَّة وهى البئرُ القليلةُ الماءِ ومَنى بالمَذهَبِ المَسلَكَ

اى ما لَهُ فى البَدْوِ آبارٌ قليلةُ الماءِ *

وذا قُوًى ما استبانَتْ قطُّ لِينَتهُ * ولِينَهُ مُستَبِينٌ غيرُ مُحتَجِبِ

اللِّينُ النَّخلُ الدَّقَلُ ومنه قولُه تعالى ما قَطَعتُم من لِينَةٍ *

وساجِدًا فَوقَ فَحْلٍ غيرَمُكتَرِثٍ * بما اَتَى بل يَراهُ اَفضَلَ القُرَبِ

الفَحلُ الحَصيرُ المُتَّخَذُ من فُحّالِ النَّخلِ

وعاذِرًا مُؤلِمًا مَن ظَلَّ يَعذِرهُ * مَعَ التَّلَطُّفِ والمَعذُورُ في صَخَبِ

العاذِرُ الخاتِنُ والمعذُورُ المختونُ

وبَلدَةٍ ما بها ماءٌ لِمُغتَرِفٍ * والماءُ يَجرِي عليها جَرْيَ مُنسَرِبِ

البَلدَةُ الفُرجَةُ بين الحاجِبَينِ * وتُسمّى ايضا البَلَجَة *

وقَريَةٍ دُونَ اُفحوصِ القَطا شُحِنَتْ * بِذَيلَمٍ عَيشُهم من خُلسَةِ السَّلَبِ

القَريَةُ بَيتُ النَملِ والدَّيلَمُ النَملُ الكثيرُ *

وكَوكَبًا يَتوارى عِندَ رُؤيتِهِ * الاِنسانُ حَتّى يُرى فى اَمنَعِ الحُجُبِ

وتسمّى السُّكُرّكَة أيضا *

وراكِضًا وهو مَغْلُولٌ على فَرَسٍ * قد غُلّ ايضا وما يَنْفكُّ من خَبَبِ

المغلَــول ههنــا العَطْشانُ و غُلَّ اى عَطِش

وذا ايَدِ طُلُق يقتادُ راحِلَــةً * مُستعجِلًا وهو ما سُوْرًا خُو كُرَبِ

الماسُوْرُ الّذى يَجِدُ الأُسْر وهوا حتبا سُ البَــوْل

وجالِسًا ماشِياً تَهــوِى مَطِيّتُــهُ * به وما فى الّذِى اوْرَدتُ من رِيَبِ

الجالِسُ الآتى نَجدًا والماشِى الّذى كَثُرَتْ ماشِيتُه وعليه فَسّرَبعْضُهم قولَ الله تعالى

اَنِ امْشوا كأنّه دُعاءٌ لهم بالنّماء وكَثْرةِ الماشِية *

وحائكًا اَجْذَمَ الكَفّينِ ذا خَرَسٍ * فإن عَجِبْتم فكَمْ فى الخَلْقِ من عَجَبِ

الحائكُ ههُنا الّذى اذا مَشى حَرّكَ مَنكِبَيْه وفَجّج بين رُكبَتَيْه *

وصادِعًا بالقَنا من فِيرانَ مَلِقتْ * كفّــاهُ يَومًا برُمحٍ لا ولَم يَثِــبِ

القَنــا ارتفاعُ الأنفِ وتَحدُّبُ وسَطِــه و صَدَعَ به اى كشَفَــهُ

وذا شَطاطٍ كصَدْرِ الرّمحِ قامَتُهُ * صادَفتُه بِمِنًى يَشكو مِنَ الحَدَبِ

الحَــدَبُ ما ارتَفَــعَ من الارض

وما مِيًافِى مَسَرّاتِ الانام يرى * اِفْراحَهم مأثمًا كالظُّلْمِ والكَذِبِ

اِفْراحُهم اِثقالُهم بالدّين ومنه قولُه عليه السلام لا يُترَكُ فى الِاسْلامِ مُفْرَحٌ اى مُثقَــلٌ

وكُنتُ اَبصَرتُ كَرا زَّ الرا عيَةِ * بالدَّوِ يَنظُرُ مِن عَينَينِ كالشُّهُبِ

الكَرازُ الكَبشُ الَّذِي يَحمِلُ عليه الرّاعي اَداتَه *

وكم نَزَلتُ باَرضٍ لانَخِيلَ بها * وبَعدَيَومٍ رَاَيتُ البُسْرَفي القُلُبِ

البُسُرُ جمع بُسْرةٍ وهي الماءُ الحَدِيثُ العَهدِ بالمَطَروالقُلُبُ جمع قَلِيبٍ *

وكَم رَاَيتُ باَقطارِ الفَلا طَبَقًا * يَطِيرُ في الجَوِّ مُنصَبًّا الى صَبَبِ

الطَّبَقُ القِطعَةُ من الجَرادِ *

وكم مَشائِخَ في الدُّنيا رأيتُهُمُ * مُخَلَّدِينَ ومن يَنجُو من العَطَبِ

المُخَلَّدُ الذي اَبطَأَ شَيبُه

وكم بَدَا لِيَ وَحشٌ يَشتكِي سَغَبًا * بِمَنطِقٍ ذَلِقٍ اَمضَى مِنَ القُضُبِ

الوَحشُ الرَّجُلُ الجائِعُ

وكم دَعانِي مُستَنجٍ فخاَدَنَنِي * وما اَخَلّ ولا اَخلَلتُ بالاَدَبِ

المُستَنجِي الجالِسُ على نَجوةٍ وهي المَكانُ المُرتفعُ *

وكم اَنَختُ قَلُوصِي تحتَ جُنبُذَةٍ * تُظِلُّ ما شِئتَ من عُرُبٍ ومن عُرُبِ

الجُنبُذَةُ القُبَّةُ والعُرُبُ جمع عَرُوبٍ وهي المرأةُ المتحبِّبَةُ الى زوجِها *

وكم نَظَرتُ الى مَن سُرَّساعَتَهُ * ودَمعُهُ مُستَهِلُّ القَطرِ كالسُّحُبِ

سُرَّ اي قُطِعَ سِرَرُه ويُسمَّى مايَبقَى بعد القَطعِ السُّرَّةَ *

لكوكبُ النُكتة من البياضِ التي تحدثُ في العَين والانسانُ هٰهنا انسانُ العَين *

وَروْنَة قوّمتْ مالا له خطر * ونفس صاحبها بالمالِ لم تطِبِ

الروْنَة مُقدّمُ الانفِ *

وصَحْفة مِنْ نضارٍ خالصٍ شربتْ * بَعْدَ الكاسِ بقيراطٍ مِنَ الذّهبِ

النّضارُ ههُنا شجَرُ النّبع وإيّاهُ عنى ابراهيمُ النَخعِيّ بقوله لا باسَ بانْ يُشْربَ في قَدَح النّضار *

ومُستجيشًا بِخَشخاشٍ لِيدْفعَ ما * أظلّه من أعاديه فلم يُجِبِ

الخَشخاشُ الجماعةُ عليهم دُروعٌ وأسْلحة *

وطالما مرّ بي كلبٌ وفي فمِهِ * ثورٌ ولكنّه ثورٌ بلا عَصَبِ

الثّورُ القطعةُ مِنَ الأقِط *

وكم رأى ناظري فِيلاً على جَملٍ * وقد تورّك فوقَ الرّحْلِ والقتبِ

الفِيلُ الرجلُ الفائِلُ الرأي *

وكم رأتْ مُقلتي عينينِ ماؤُهما * يَجري من الغربِ والعَينانِ في حَلَبِ

الغَربُ مجرى الدّمع والعَينانِ ههُنا المُقلتانِ وحَلبُ البَلدةُ المعروفةُ *

وكم لَقيتُ بِعُرضِ البِيدِ مُشتكِيًا * وما اشتكى قطّ في جِدٍّ ولا لَعِبِ

المُشتكي المُتّخذُ شَكوةً وهي القِربةُ الصّغيرةُ *

لتشربوا نشاطاً * وتبعثوا انشاطاً * فتعوا ما أفسّر * ويتسهّل أكم المتعسّر * فانتصب كلّ ما رآه * وتوسّد وسادة كراه * فلما وسنت الاجفان * واغفت الضيفان * وثب الى الناقة فرحلها * ثم ارتحلها ورحّلها * وقال مخاطباً لها *

نظم

سروج يا ناق فسيري وخدي * وادلجي واوّبي واسئدي

حتّى تطأ خفّاك مرعاها الندي * فتنعمي حينئذ وتسعدي

وتأمني ان تتهمي او تنجدي * ايهٍ فدتك النوق جدّي واجهدي

وافري اديم فدفدٍ فدفدِ * واقتنعي بالنشح عند المورد

ولا تحطّي دون ذاك المقصد * فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرفيع العمد * انك ان احللتني في بلدي

حللت منّي بمحلّ الولد *

قال فعلمت انه السروجيّ الذي اذا باع انباع * واذا ملأ الصاع انصاع * ولمّا انبلج صباح اليوم * وهبّ النوّام من النوم * اعلمتهم انّ الشيخ حين افشاهم السبات * طلّقهم البنات * وركب الناقة وفات * فاخذهم ما قدم وما حدث * ونسوا ما طاب منه بما خبث * ثمّ انشعبنا في كلّ مشعب * وذهبنا تحت كلّ كوكب *

قال القاسم بن عليّ رضي الله عنه قد فسّرت سرّ كلّ لغز تحته * ولم ابعد على من يقرؤه كشفه * وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة * ربّما التبس تفسيرها

وكم رأيتُ قميصًا ضرّ صاحبهُ * حتّى انثنى واهى الأعضاء والعصب

القميص الدّابّةُ الكثيرةُ القماص

وكم ازارٍ لوانّ الدّهر اتلفهُ * لجفّ لبدُ حنيث السّيرِ مضطربِ

الإزارُ المرأة ومنهُ قول الشاعر *

فدىً لك من اخي ثقةٍ إزاري *

هذا وكم من أفانين مُعجّبةٍ عندي ومن مُلَحٍ تُلهي ومن نخب * فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي وَدَلّكُم طلعي على رطب * وان شدهتم فانّ العار فيه على من لا يميّز بين العودِ والخشب *

قال الحارثُ بن همّام فطفقنا نخبطُ في تقليب قريضه * وتاويل معاريضه * وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي * ويقول ليس بعشّك فادرجي * الى ان تعسّر النتاجُ * واستحكم الارتتاجُ * فالقينا اليه المقادة * وخطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع والياس * وقال الإيناسُ قبل الإبساس * فعلمنا انّه ممّن يرغب في النّكم * ويرتشي في الحكم * وساء ابا مثوانا ان نعرّض للغرم * او نخيّب بالرّغم * فاحضرنا فدعيديّة * وحلّة سعيديّة * وقال له خذهما حلالًا * ولا ترزأ أضيافي زبالًا * فقال اشهد انّها شنشنةٌ أخزميّةٌ * واريحيّةٌ حاتميّةٌ * ثمّ قابلنا بوجه بشرهُ يشفّ * ونضرته ترفّ * وقال يا قوم ان الليل قد اجلوّذ * والنّعاس قد استحوذ * فافزعوا الى المراقد * واغنموا راحة الرّاقد *

النَّارُ فَاكِهَةُ الشِّتَاءِ فَمَنْ يُرِدْ * اَكْلَ الفَوَاكِهِ شَاتِيًا فَلْيَصْطَلِ

اِنَّ الفَوَاكِهَ فِي الشِّتَاءِ شَهِيَّةٌ * وَالنَّارُ لِلْمَقْرُورِ اَفْضَلُ مَأْكَلِ

وقوله موائد كالهالات يَعْنِي دارة القَمَرِ واحدها هَالَةٌ ودارةُ الشَّمسِ تُسَمَّى الطُّفاوة * وقوله مَشُوشَ الغَمرِ يَعْنِي المِنْدِيل يُقالُ مَشَّ يَدَهُ بالمِنديل اي مَسَحها ومنه قَولُ امْرِءِ القَيس *

نظم

نَمُشُّ بِاَعْرافِ الجِيادِ اَكُفَّنا * اِذا نَحْنُ قُمْنا عَنْ شِواءٍ مُضَهَّبِ

وقوله مُشْتَهِبًا فَوداه اي صارمن الشَّيبِ في لَونِ الاَشْهَبِ * ومنه قولُ امْرِءِ القَيْسِ ايضا *

نظم

قالَتِ الخَنْساءُ لَمَّا جِئْتُها * شابَ بَعْدِي رَأْسُ هٰذا واشْتَهَبْ

وقوله رَبَضَ حَجْرَةً يعني ناحِيَةً * ويقال في المَثَل لِمَن يُشارِكُ في الرَّخاءِ * ويُجانِبُ عِنْدَ البَلاءِ * يَرْتَعُ وَسَطًا ويَرْبِضُ حَجْرَةً *

وقوله فاسْتَرْعي سَمْعَ السَّامِرِ * يعني السُّمَّار لِاَنَّ السَّامِرَ اسمٌ للجَمْعِ كالحاضِرِ اسمٌ لِلحَيِّ النّازِلِين على الماءِ وكالباقِرِ اسمٌ لِجماعَةِ البَقَرِ وقال بَعْضُ اَهْلِ اللُّغَةِ هو اسمٌ لِلْبَقَرِ مع رُعاتِها واشْتِقاقُ السّامِرِ من السَّمَرِ وهو ظِلُّ القَمَرِ ماخُوذٌ مِنَ السُّمْرةِ فلمّا كانَ غالِبُ احوال السُّمارِ اَنَّهُم يَتَحَدَّثُون في ظِلِّ القَمَرِ اُشْتُقَّ لَهُمُ اسمٌ منه والي هذا يَرْجِع قولهم لا اُكَلِّمُهُ القَمَرَ والسَّمَرَ * وقوله لَيْسَ بِعُشِّكَ فادْرُجي * هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَن يَتَعاطى مالا يَنْبَغِي

على بعض من تقع اليه فاحببت ايضاحها له * ليكفي حيرة الشبهة * وكلفة الفكرة * ووصمة البحث والمسئلة * وبالله تعالى الاستعانة والقوة * قوله عشوت الى نار * يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اي ومن يعرض * وقوله انا فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء * هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد * وذلك لان الحرباء تدور ابدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله *

نظم

ما بالها قد حسنت ورقيبها * ابدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى * ابدا تكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفؤ في الشتاء لقلة شعرها * وذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول * وقوله نخرو اريعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا * وقوله عشار نخور واعشاره تخور العشار النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع * والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد * وقوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين *

نظم

وَمن ادَّعى اَنَّ المَثَل له فقد سَهاَ فيه * قوله اجلوّذ اى اَسْرَع فى الذّهاب ومثله اِخْرَوَّطَ

وقوله وَثَبَ الى النَّاقَة فرَحَلَها بمعنى شَدَّ عليها الرَّحْلَ وبه سُمّيَت الرَّاحلة لانّها فاعلةٌ في

معنى مَفعولة كقوله تعالىٰ في عِيشَةٍ رَّاضِيَـةٍ اى مَرْضِيَّةٍ ومن ماءٍ دافقٍ اى مدفوق

والرَّاحِلَةُ تقعُ على النَّاقةِ والجَمَلِ ودخولُ الهاءِ فيها للمُبالغة مثل داهِيَةٍ وراوِيَةٍ * وقوله

ارْتحلها اى رَكِبهَا وفِى الْحَدِيث انَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عليه وسَلَّمَ سَجَدَ فرَكِبَهُ الحَسَنُ

رَضِيَ اللّٰهُ عَنه فَابْطَأَ في سُجُودِهِ فلَمَّاقَضَى صَلوٰتَه قال اِنَّ ابنى ارتحلَنى فكَرِهْتُ اَنْ اُعْجِلَه *

وقوله ورَحَّلَها اى اَزْعَجها واَشْخَصَها واَجَدَّ بِها فى الرَّحِيل ومنه الخَبَرُ تخْرُجُ عِنْدَ اقْتراب

السَّاعة نَارٌ مِن قعرِ عَدَن ترحّلُ النَّـــاسَ * وقوله فَادْلجِى واَوِّبى واَسْئِدِى * الاِدْلاجْ

اَنْ تَسِيْرَا للَّيْلَ كُلَّه والاِسْمُ منه الدَّلْجَة بفَتْحِ الدال والاِدّلاجُ بالتَّشْدِيْد اَنْ تَسيْرَمن

آخره والاسم منه الدُّلجَة بضمّ الدَّال وقِيْل اِنَّ الدلجة بفتح الدّال وضمّها بمعنىً

واحدٍ * والتَّاويبُ سَيْرُالنَّهارِ وَحْدَه * والاِسْآدُ اَن تَسِيْرَلَيْلاً ونَهاراً * والنَشْحُ اَن تَشْرَبَ

دُوْنَ الرِّيِّ * وقوله فَاَخَذَهُم ما قَدُمَ وما حَدُثَ يُقالُ ذٰلكَ لِمَن تَسْتولِيْ الهُمُومُ عليه

وَتَتَلاعَبُ به وتُضَمّ الدَّالُ من حَدُثَ في هٰذاالمَوضعِ وَحْدَهُ لِيُوافِقَ لَفْظُها لفظَ قَدُمَ فاِنْ

اُفرِدَ حَدَثَ من قَدُمَ وجبَ فَتْحُ الدَّالِ مِنْ حَدَثَ ومِثْلُهُ قَوْلُهُم هَنَــأَنِى ومَرَأَنِى

بحذف الالف من اَمْرَأَنِي اذا ذُكِرَ مَعَ هَنَأَنى فَاِنْ اَفْرَدْتَهُ وَجَبَ ان تقولَ

اَمْرَأَنِىْ الشَّيئُ وكذلكَ يقولون رِجْسٌ نِجْسٌ فيكَسِرُوْن النُّونَ مِنْ نَجَسٍ ويُسَكِّنُونَ

له والعُشّ ما يكون في شَجَرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وَكْر * وقوله الإيناس قبل الابساس * هذا مَثَل ايضا ومعناه انّه ينبغي ان يُونَس الانسان ثمّ يُكلَّف واصله انّ حالب النّاقة يُونِسها حين يروم حلبها ثمّ يبسّ بها للحلب والابساس ان يقول لها بَسْ بَسْ لتسْكن وتدرّ وتسمّى الناقة التي تدرّ على الابساس البَسُوس * وقوله يرغب في الشّكم * الشُّكْم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيته مبتدئًا فهو الشُّكْد * وقوله ساءَ اباَ مثوانا * يعني المضيف الّذي اووا اليه وثووا عنده * وقوله ناقةٌ عِيديّة * قيل انّها منسوبة الى فحل منجب اسمه عِيد وقيل انّها منسوبة الى فخذ من مَهْرة اسمه عِيد بن الآمريّ على وزن العامري بن مَهْرة وكانت مَهْرة وعِيد تتّخذ ان نجائب الابل فنسبت اليهما * وقوله حُلّة سعيديّة هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلامٌ حُلّةً فنسب جنسها اليه * وقوله لا ترزأ اضيافي زبالا اي لا ترزاهم شيأً وان قلّ والاصل في الزِّبال ما تحمله النملة بفيها * وقوله شِنْشِنَة اخزميّة * اشار به الى المثل الّذي ضربه جدّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطّائيّ حين نشأ حاتم وتقيّل اخلاق جدّه اخزم في الجود فقال شِنْشِنَة اعرفها من اخزم * وتمثّل عقيل بن عُلّفة به حين قال *

نظم

اِنّ بنيّ ضرّجوني بالدّم * مَن يلق آساد الرّجال يُكْلَم

شِنْشِنَة اعرفها آخزم

مَن قَبلِ ان اَخْلَعَ ثَوبَ الحَيا * فِي طَاعَةِ الشَّيخِ اَبِي مُرَّة

فقال له القاضِي قَد سَمِعْتَ ما عَزَتْك اليه * وتَوعَّدَتْكَ عليه * فَجانِبْ ما عَرَّك * وَحاذِرانْ تُفرَكَ وتُعرَك * فَجثا الشَّيخُ على ثَفِناته * وفَجَّرَ ينبُوعَ نَفَثاتِه * وَقال * نظم

اِسْمَع عَداكَ الذَّمُّ قَولَ امرِىءٍ * يُوضِحُ فِيما رابَها عُذْرَهْ

وَاللّهِ ما اَعْرَضْتُ عَنها قِلىً * ولا هَوىً قَلْبِي قضى نَدْرَهْ

وَاِنَّما الدَّهرُ عَدا اَصرُفُهُ * فَابْتَزَّنا الدُّرَّةَ والذَّرَّهْ

فَمَنزِلِي قَفْرٌ كَما جِيدُها * عُطْلٌ مِنَ الجَزْعَةِ والشَّذْرَهْ

وكُنتُ مِن قَبلُ اَرى فِي الهَوى * وَدِينِهِ رَأْيَ بَنِي عُذْرَهْ

فَمُذْ نَبا الدَّهرُ هَجَرْتُ الدُّمى * هِجرانَ عَفٍّ آخِذٍ حِذْارَهْ

وملْتُ عَنْ حَرْثِي لا رَغْبَةً * عَنْهُ وَلكِنْ اَتَّقِي بَذْرَهْ

فَلا تَلُمْ مَن هٰذِهِ حالُهُ * وَاعطِفْ عَلَيهِ وَاحْتَمِلْ هَذْرَهْ

قال فَانتَطَتِ المَرأةُ من مقاله * وانْتَضَتِ الحُجَجَ لِجدالِه * وقالتْ له وَيْلَكَ يا مَرقعان * يا مَن هُوَلا طَعامٌ ولا طِعان * اَتَضِيقُ بِالوَلَدِ ذَرعاً * وَلِكُلِّ اَكُولَةٍ مَرعىً * لَقد ضَلَّ فَهْمُك وَاَخْطَأَ سَهْمُك * وسَفِهَتْ نَفْسُك * وشَقِيَتْ بكَ عِرْسُك * فقال لها القاضِي اَمَّا اَنتِ فَلَو جادَلْتِ الخَنْساءَ * لاَنْثَنَتْ عَنكِ خَرْساءَ * واَمَّا هُوَفانْ كانَ صَدَقَ فِي زَعمِه * وَنَوى عُدمِه * فلهُ في هَمٍّ قَبْقَبِهِ * ما يَشغَلُه عن ذَبذَبِه * فَاَطرَقَتْ تَنظُرُ ازوِراراً

الجيمَ لِيُزاوِجَ لفظةَ رِجْسٍ فَإنْ أُفْرِدَ قيل نَجَسٌ بفتح النُّونِ وَالجيم كَمَا قال الله تعالىٰ إِنَّما المُشْرِكُونَ نَجَسٌ وقوله ذَهَبْنَا تَحتَ كُلِّ كَوْكَبٍ * هٰذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمن يَخْتلِفُ فِي السَّفَرِ طُرُقُهم * وتَتَبايَنُ سُبُلُهم *

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارثُ بن هَمَّامٍ قال كُنْتُ اَخَذْتُ عن أُولِي التَّجارِيبِ * اَنَّ السَّفَرَ مِرْآةُ الاَعاجِيبِ * فَلَم اَزَلْ اَجُوبُ كُلَّ تَنُوفَةٍ * وَاقْتَحِمُ كُلَّ مَخُوفَةٍ * حَتّى اجْتَلَيْتُ كُلَّ اُطْرُوفَةٍ * فَمِنْ اَحْسَنِ ما لَمَحْتُهُ * وَاَغْرَبِ ما استَمْلَحْتُهُ * اَنِّي حَضَرْتُ قاضِيَ الرَّمْلَةِ * وكانَ مِنْ اَرْبابِ الدَّوْلةِ والصَّوْلَةِ * وقد تَرافَعَ اليه بالٍ فِي بالٍ * وذاتُ جَمالٍ فِي اَسْمالٍ * فَهَمَّ الشَّيْخُ بِالكَلامِ * وتِبْيانِ المَرامِ * فَمَنَعَتْهُ الفَتاةُ مِنَ الإِفصاحِ * وخَسَأَتْهُ مِنَ النُّباحِ * ثُمَّ نَضَتْ منها فَضْلَةَ الوِشاحِ * وَاَنْشَدَتْ بِلِسانِ السَّلِيطَةِ الوَقاحِ * نظم

يا قاضِيَ الرَّمْلَةِ يا ذا الَّذِي * في يَدِهِ التَّمرةُ وَالجَمْرَةْ

اِلَيكَ اَشْكُو جَوْرَ بَعْلِي الَّذِي * لَمْ يَحْجُجِ البَيْتَ سِوىٰ مَرَّةْ

ولَيْتَهُ لَمّا قَضىٰ نُسْكَهُ * وَخَفَّ ظَهْرًا اِذْ رَمىٰ الجَمْرَةْ

كانَ عَلىٰ رَأْيِ اَبِي يُوسُفٍ * في صِلَةِ الحَجَّةِ بِالعُمْرَةْ

هٰذا عَلىٰ اَنِّي مُذْ ضَمَّنِي * اِلَيهِ لَمْ اَعْصِ لَهُ اَمْرَةْ

فَمُرْهُ اِمّا اَلْفَةٌ حُلْوَةٌ * تُرْضِي وَاِمّا فُرْقَةٌ مُرَّةْ

دُونَكِ نُصْحِي فَاقْتَفِي مُبلَـهْ * وَافْنَيْ مِنَ التَّفْصِيلِ بِالْجُمْلَهْ

طِيرِي مَتَى نَفَّرْتِ مِنْ نَحْلَةٍ * وَطَلِّقِيهَا بَتَّةً بَتْلَهْ

وَحَاذِرِي الْعَوْدَ إِلَيْهَا وَلَوْ * سَبَّلَهَا أَنَا طُوْرُهَا الْآبِلَهْ

فَخَيْرُ مَا لِلِّصِّ أَنْ لَا يُرَى * بِبُقْعَةٍ فِيهَا لَهُ مَثْلَهْ

ثم قَالَ لِي لَقَدْ عُنِيتَ بِمَا وُلِّيتَ * فَارْجِعْ مِن حَيْثُ جِئْتَ * وَقُلْ لِمُرْسِلِكَ إِن شِئْتَ *

نظم

رُوَيْدَكَ لَا تُعْقِبْ جَمِيلَكَ بِالْأَذَى * فَتُضْحِي وَشَمْلُ الْمَالِ وَالْحَمْدِ مُنْصَدِعْ

وَلَا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزَيُّدِ سَائِلٍ * فَمَا هُوَ فِي صَوْغِ اللِّسَانِ بِمُبْتَدِعْ

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَدِيعَةٌ * فَقَبْلَكَ شَيْخُ الْأَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعْ

فقالَ له القَاضِي قَاتَلَهُ اللهُ فما أحسَنَ شُجُونَه * وَأَمْلَحَ فُنُونَه * ثُمَّ إِنَّهُ أَصْحَبَ رَائِدَهُ بُرْدَيْنِ * وصُرَّةً مِنَ الْعَيْنِ * وقال له سِرْ مُبْرَمِن لا يرى الالتفات * إلى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ والفَتَاةَ * فَبُلَّ يَدَهُمَا بِهذا الحِبَاء * وبَيِّنْ لهما انحِدَاعِي لِلْأُدَبَاء * قالَ الرَّاوِي فَلَمْ أَرَ فِي الاغتراب * كَهذَا العُجَاب * وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جَالَ وجَاب *

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حَدَّثَ الحَارِثُ بنُ هَمَّام قالَ نَزَعَ بِي إِلَى حَلَبَ * شَوْقٌ غَلَبَ * وَطَلَبٌ يَالَهُ مِنْ طَلَبٍ * وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ خَفِيفَ الحَاذ * حَثِيثَ النَّفَاذ * فَأَخَذْتُ أُهْبَةَ السَّيْر * وخَفَفْتُ

وَلاترجعُ حِوارًا * حتّى قُلْنا قد راجَعَها الخَفَر * اوحاق بِهَا الظَّفَرُ * فقال لها الشيخ تَعْسًا لكِ اِنْ زَخْرَفْتِ * اوكَتَمْتِ مَا عَرَفْتِ * فقالَتْ وَيْحكَ وَهَلْ بعدَ المُنا فرةَ كَتمٌ * اَوْ بقِي لَنا على سِرِّخَتْمٌ * وَمافِينا اِلّا مَنْ صَدَقَ * وهتكَ صَوْنَهُ اِذ نَطَقَ * فَلَيتنا لاقَيْنا البَكَم * و لَمْ نَلْقَ الحَكَم * ثُمَّ التَفَعتْ بِوشاحِها * وتَباكَتْ لاِفْتِضاحِها * وجَعَلَ القاضِي يَعْجَبُ مِنْ خَطْبِهِما وَيُعَجِّبُ * وَيَلُومُ الدَّهْرَ لهما ويُوَنِّبُ * ثُمَّ اَحْضَرَ مِنَ الوَرِقِ الْفَيْن * وقالَ اَرْضِيا بِهِما الاَجْوَفَيْن * وَما صِيا النّازِغَ بينَ الاِلْفَيْن * فشكَراهُ على حُسْنِ السَّراح * وانطَلَقا وَهُما كالماءِ والرّاح * وطفِقَ القاضِي بعدَ مَسْرَحِهِما * وَتَنائِي شَبَحِهِما * يُثْنِي على اَدَبِهِما * ويقُولُ هَلْ من عارِفٍ بِهِما * فقالَ له عَيْنُ اَعوانِه * وخالِصَةُ خُلْصانِه * اَمّا الشيخُ فالسَّرُوجِيُّ المشهُودُ بفَضْلِه * واَمّا المَرْاَةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِه * وَاَمّا تَحاكُمهما فمَكِيدَةٌ مِن فِعْلِه * واُحْبُولَةٌ مِن حَبائِلِ خَتْلِه * فاَحفظَ القاضِيَ ما سَمِعَ * وتَلَهَّبَ كَيْفَ خُدِعَ * ثمَّ قالَ لِلواشِي بِهِما * قُمْ فرُدَّهُما * ثمّ اقْصِدْهُما وَصُدَّهُما * فَنَهَضَ يَنفُضُ مِذْرَوَيْه * ثُمَّ عادَ يَضْرِبُ اَصْدَرَيْه * فقالَ له القاضِي اَظْهِرْنا على ما نَبَثْتَ * ولا تُخْفِ منّا ما اسْتَخْبَثْتَ * فقال ما زِلْتُ اَسْتَقْرِي الطُّرُقَ * واَسْتَفْتِحُ الغُلُقَ * اِلى اَنْ اَدْرَكْتُهُما مُصْحِرَيْن * وقد زَمّا مَطِيَّ البَيْن * فَرَغَّبْتُهما في العَلَل * وَكَفَلْتُ لهما بِنَيْلِ الاَمَل * فاُشْرِبَ قَلْبُ الشيخِ اَنْ يَيْأَس * وَقالَ الفِرارُ بقُرابٍ اَكْيَس * وقالَتْ هي بَلِ العَوْدُ اَحْمَدُ * وَالفَروقَةُ يَكْمَدُ * فَلَمّا تبَيَّنَ الشيخ سَفَهَ رائِها * وفَرَطَ اجْتِرائِها * اَمْسَكَ ذَلاذِلَها * ثمَّ انشَأَ يقولُ لها

نظم

ما أسمع الآمل ردّا ولا * ما طلهُ والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لمّا دعا * ولا كسا راحاته كاس راح
سوّده أصلا حسه سره * وردمه أهواءه والطماح
وحصّل المدح له علمه * ما مهر العور مهور الصباح

فقال له أحسنت يا بدير * يا راس الدير * ثم قال لتلوه * المشتبه بصنوه * أدن يا نويرة * يا قمر الدويرة * فدنا ولم يتباطأ * حتى حل منه مقعد المعاطي * فقال له أجل الابيات العرائس وإن لم يكن نفائس * فبري القلم وقط * ثم اختجر اللوح وخط

نظم

فتنتني فجننتني تجني * بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض * غنج ايقتضي تغيض جفني
غشيتني بزينتين فشغفتني * بري يشق بين تثني
فتظنيت تجتبيني فتجزيني * بنفث يشفي فخيب ظني
ثبتت في غش جيب بتزيين * حبيث يبغي تشفي ضغني
فنزت في تجني فتنتني * بنشيج يشجي بكن ففن

فلما نظر الشيخ الى ما حبره * وتصفح ما زبره * قال له بورك فيك من طلا * كما بورك في لا ولا * ثم هتف اقرب * يا قطرب * فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية * او تمثال دمية * فقال له ارقم الابيات الاحياف * وتجنب الخلاف * فاخذ القلم * ورقم *

نحوها خفوفَ الطّيرِ * ولم ازل مذ حللتُ ربوعها * وارتبعتُ ربيعها * اُفانى الايامَ * فيما يشفي الغرامَ * ويروي الاوامَ * الى ان اقصر القلبُ من ولوعه * واستطار غرابُ البين بعد وقوعه * فاغرانى البالُ الخلوُ * والمرح الحلو * بان اقصد حمصَ لاُطاف ببقعتها * واستبرز قاعة اهلِ رقعتها * فاسرمتُ اليها اسراعَ النجمِ * اذا انقض للرجم فحين خيمتُ برسومها * ووجدتُ روحَ نسيمها * لمح طرفي شيخا قد اقبل هربرة * وادبر غريرة * وعنده عشرة صبيانٍ * صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ * فطاوعتُ في قصده الحرص * لاُخبر به ادباء حمص * فبشّ بي حين وافيته * وحيّا باحسن مما حييته * فجلستُ اليه لابلو خبيّ نطقه * واكتنه كنه حمقه * فما لبث ان اشار بعصيّه * الى كبيرِ اُصيبيته * وقال له انشدِ الابياتَ العواطل * واحذر ان تماطل * فجثا جثوة ليثٍ * وانشد من غير ريثٍ *

نظم

اَعدِد لحسّادك حدَّ السلاحْ * واوردِ الآملَ وِردَ السماحْ

وصارِمِ اللهوَ وصلِ المها * واعملِ الكومَ وسمرَ الرماحْ

واسعَ لادراكِ محلٍّ سما * عمادهُ لا لادّراعِ المراحْ

واللهِ ما السؤددُ حسوُ الطلا * ولا مرادُ الحمدِ رودٌ رداحْ

واهًا لحرٍّ صدرهُ واسعٌ * وهمُّه ما سرّ اهلَ الصلاحْ

موردهُ حلوٌ لسُوّالهِ * وما لهُ ما سألوهُ مُطاحْ

بستانِ * فقال له أنشدِ البيتينِ المطرفين * المشتبهيِ الطرفين * اللذينِ أسكتا كلَّ نافثٍ * وأمنا أن يعززا بثالثٍ * فقال له اسمعْ لا وُقِرَ سمعُك * ولا هُزِمَ جمعُك * وأنشد من غير تلبُّثٍ ولا تريُّثٍ

نظم

سِمْ سِمَةً تحسنُ آثارُها * واشكرْ لمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ

والمكرَ مهما اسْطَعْتَ لا تأتِهِ * لتقتنيَ السؤددَ والمَكْرُمَهْ

فقال له أجدتَّ يا زُغلول * يا أبا الغلول * ثمَّ نادى أوضحْ يا ياسين * ما يُشكِلُ مِن ذواتِ السين * فنهض ولم يتأنَّ * وأنشد بصوتٍ أغنَّ *

نظم

نِقْسُ الدواةِ ورُسْغُ الكفِّ مثبتةٌ * سِينًا هما إنْ هما خُطَّا وإن دُرِسا

وهكذا السينُ في قَسْبٍ وباسقةٍ * والسَّقْرِ والبَخْسِ وافْسِرْ واقْتَبِسْ قَبَسا

وفي تَقَسَّسْتُ بالليلِ الكلامَ وفي * مُسَيْطِرٍ وشَمُوسٍ واتَّخِذْ جَرَسا

وفي قَرِيسٍ وبردٍ قارسٍ فخُذِ * الصوابَ منِّي كُنْ للعلمِ مُقتبِسا

فقال له أحسنتَ يا نُغَيْش * يا صنَّاجةَ الجيش * ثمَّ قال ثِبْ يا عَنْبَسَة * وبيِّنِ الصاداتِ المُلْتَبِسَة * فوثبَ وثبةَ شِبْلٍ مُثارٍ * وأنشدَ مِن غيرِ عِثارٍ *

نظم

بالصادِ يُكتبُ قد قَبَصْتُ دراهمًا * يا نامِلي واصْغِ لتَستمعَ الخبرْ

وبَصَقْتُ ابْصُقُ والصِّماخُ وصَنْجةٌ * والفَصُّ وهو الصدرُ وانْقَصَّ الأثرْ

وبَخَصْتُ مُقْلَتَه وهذي قُرْصَةٌ * وقد ارْعدَتْ منه الفَرِيصةُ للخَوَرْ

نظم

اِسْمَعْ فَبَثُّ السَّماحِ زَيْنٌ * وَلَا تَخِبْ آمِلًا تَضَيَّفْ
وَلَا تُجِزْ رَدَّ ذِي سُؤَالٍ * فَنَّنَ امْ فِي السُّؤَالِ خَفَّفْ
ولا تَظُنِّ الدَّهْرَ تُبْقِي * مالَ ضَنِينٍ وَلَوْ تَقَشَّفْ
وَاحْلُمْ فَحِفْنُ الكِرامِ يُغْضِي * وَصَدْرُهُم فِي العَطاءِ نَفْنَفْ
وَلَا تَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدادٍ * ثَبْتٍ وَلَا تَبْغِ ما تَزَيَّفْ

فقال له لا شَلَّتْ يَداك * ولا كَلَّتْ مُداك * ثم نادى يا قَشْمَشَم * يا عِطْرَ مَنْشَم * فلباه غُلامٌ كَدُرَّةِ غَوّاص * وجُؤْذُر قَنّاص * فقال له اكْتُبِ الأبياتَ المَتائِم * ولا تَكُنْ من المَشائِيم * فتناولَ القلمَ المُثَقَّف * وكَتَبَ ولم يتوقَّف *

نظم

زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقُدُّ * وتَلاهُ وَيْلاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ
جُنْدُها جِيدُها وظَرْفٌ وطَرْفٌ * ناعِسٌ ناعِشٌ بِحَدٍّ يَحُدُّ
قَدْرُها قَدْ زَها وتاهَتْ وباهَتْ * واعْتَدَتْ واغْتَدَتْ بِخَدٍّ يَخُدُّ
فَأَرَقَتْنِي فَأَرْقَتْنِي وَشَطَّتْ * وَسَطَتْ ثُمَّ نَمَّ وَجْدٌ وَجِدُّ
فَدَنَتْ فَدَيْتُ وَحَنَّتْ وَحَيَّتْ * مُغْضِبًا مُغْضِيًا يَوَدُّ يَوُدُّ .

فطفق الشيخ يتأمّلُ ما سطره * ويُقلِّبُ فيه نظره * فلمّا استحسنَ خطَّه * واستصحَّ ضَبْطَه * قال له لا شَلَّ عَشْرُك * ولا استُخْبِثَ نَشْرُك * ثم اهابَ بِفَتًى فَتّانٍ * يَسْفِرُ عن أزهارِ

اِذَا الفِعْلُ يَوْمًا غُمَّ عَنكَ هِجَاؤُهُ * فَأَلْحِقْ بِهِ تاءَ الخِطَابِ ولا تَقِفْ

فَإِن تَرَ قَبْلَ التَاءِ يَاءً فَكَتْبُهُ * بِيَاءٍ وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالأَلِفْ

وَلَا تَحْسِبِ الفِعْلَ الثُّلاثِيَّ وَالَّذِي * تَعَدَّاهُ وَالمَهْمُوزُ فِي ذاكَ يَخْتَلِفْ

فَطَرِبَ الشَّيْخُ لِإِنْشَادِهِ * ثُمَّ عَوَّذَهُ وَفَدَّاهُ * ثُمَّ قَالَ هَلُمَّ يَا قَعْقَاعُ * يَا بَاقِعَةَ البِقَاعِ * فَأَقْبَلَ فَتًى أَحْسَنُ مِنْ نَارِ القِرَى * فِي عَيْنِ ابْنِ السُّرَى * فَقَالَ لَهُ اِصْدَعْ بِتَمْيِيزِ الظَّاءِ مِنَ الضَّادِ * لِتَصْدَعَ أَكْبَادَ الأَضْدَادِ * فَاهْتَزَّ لِقَوْلِهِ وَاهْتَشَّ * ثُمَّ أَنْشَدَ بِصَوْتٍ أَجَشَّ *

نظم

أَيُّهَا السَّائِلِي عَنِ الظَّاءِ وَالضَّادِ لِكَيْمَا تُضِلَّهُ الأَلْفَاظُ

إِنَّ حِفْظَ الظَّاءَاتِ يُغْنِيكَ * فَاسْمَعْهَا اسْتِمَاعَ امْرِئٍ لَهُ اسْتِيقَاظُ

هِيَ ظَمْيَاءُ وَالمَظَالِمُ وَالإِظْلَامُ وَالظَّلْمُ وَالظُّبَى وَاللِّحَاظُ

وَالعَظَا وَالظَّلِيمُ وَالظَّبْيُ وَالشَّيْظَمُ وَالظِّلُّ وَاللَّظَى وَالشُّوَاظُ

وَالتَّظَنِّي وَاللَّغْظُ وَالنَّظْمُ وَالتَّقْرِيظُ وَالقَيْظُ وَالظَّمَاءُ وَاللَّمَاظُ

وَالحَظِي وَالنَّظِيرُ وَالظِّئْرُ وَالجَاحِظُ وَالنَّاظِرُونَ وَالإِيقَاظُ

وَالتَّشَظِّي وَالظِّلْفُ وَالعَظْمُ وَالظُّنْبُوبُ وَالظُّهْرُ وَالشَّظَى وَالشِّظَاظُ

وَالأَظَافِيرُ وَالمُظَفَّرُ وَالمَحْظُورُ وَالحَافِظُونَ وَالإِحْفَاظُ

وَالحَظِيرَاتُ وَالمَظِنَّةُ وَالظِّنَّةُ وَالكَاظِمُونَ وَالمُغْتَاظُ

وقصرتُ هندًا اي حبستُ وقد دنا * فِصحُ النّصارىٰ وهو عيدٌ منتظَر

وقرصتُه والخمرُ قارصةٌ إذا * حذتِ اللّسانَ وكلُّ هذا مُستطَر

فقال له رعيًا لك يا بُنيَّ * فلقد أقررتَ عيني * ثمّ استنهض ذا جُثّةٍ كالعَبَنْقَق * ونَغْشَة كالشَّوذق * وامره بان يقف بالمرصاد * ويسرد ما أُجري على السين والصاد * فنهض يسحب بُردَيه * ثمّ انشد مشيرًا بيديه *

نظم

إن شئتَ بالسين فاكتب ما أُبيّنه * وإن تشأ فهو بالصادات يُكتتبُ

مَغْسٌ وفَقْسٌ وسُطارٌ ومُماسٌ * وسالغٌ وسراطُ الحقّ والسَّقَبُ

المَغسُ الوجعُ المُعترِضُ في الجوف وهو مسكّن الغين والفقس فقس البيضة * والمُسطار الخمرةُ المُزّةُ ويقال لها المُسطارةُ أيضا * والمُماسُ الّذي يسقط من يديك ولا تشعر به * والسّالغ آخر أسنانِ ذواتِ الظِّلف * والسَّقَبُ القُرب *

نظم

والسّامغانِ وسقرٌ والسّويقُ ومِسلاقٌ * ومن كلِّ هذا تفصحُ الكُتُبُ

السّامغانِ جانبا الفم * والمِسلاقُ الشّديدُ الصّوت * ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ * فقال له أحسنتَ يا حبقة * يا عينَ بقّة * ثمّ نادى يا دغفل * يا ابا زنفل * فلبّاه فتًى أحسنُ من بيضةٍ * في روضةٍ * فقال له ما عقدُ هجاءِ الأفعال * التي آخرُها حرفُ الاعتلال * فقال له اسمع لا صمَّ صداك * ولا سمعتَ صداك * ثمّ انشد * وما استرشد *

نظم

الشناظی نواحی الجبل * والدلظ الدفع والظاب الصخب وقد تبدل الباء منه میما و قیل ان الظاب والذأم اسمان لسلف الرجل * والعنظوان نبت * والظبظاب الداء یقال مابه ظبظاب کما یقال ما به قلبة * والجنعاظ الاحمق وقیل انه المتسخط عند الطعام

نظم

والشناظیر والنعاظل والعظلم * والبظر بعد والانعاظ

الشناظیر جمع شنظیر وهو السیئ الخلق * والنعاظل تلازم الجراد والکلاب عند السفاد * والعظلم الخطمی

نظم

هی هذی سوی النوادر فاحفظها لتقفو آثارک الحفاظ

واقض فیما صرفت منها کما تقضیه فی اصله کقیظ و قاظوا

فقال له الشیخ احسنت لافض فوک * ولا برمن یجفوک * فوالله انک مع الصبا الغض * لاحفظ من الارض * واجمع من یوم العرض * ولقد اوردتک ورفقتک زلالی * وثقفتکم تثقیف العوالی * واحفتکم جناح تکرمتی * وسقیتکم سلافة کرمتی * حتی لحقتم بالعلیة * وتحلیتم من الادب باحسن الحلیة * فاذکرونی اذ کرکم واشکروا لی ولا تکفرون * قال الحارث بن همام فعجبت لما ابدی من براعة معجونة برقاعة * واظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة * ولم یزل بصری یصعد فیه و

والوَظِيفاتُ والمُواظِبُ والكِظَّةُ* والانتظار والإلظاظُ

وَوَظِيفٌ وظالِعٌ وعَظِيمٌ * وظَهِيرٌ والغَظُّ والاغلاظُ

ونظيفٌ والظَّرفُ والظَّلَفُ الظّا هِرُ ثمَّ الغَطِيعُ والوعّاظُ

وَمُكاظٌ والظَّعنُ والمَظُّ والحَنظَلُ* والقارِظانِ والأَوشاظُ

المَظُّ رُمّانُ البَرِّ * والقارِظجانِي القَرظُ وهُوَ النَباتُ المَدبُوغُ بهِ والأَوشاظُ الأَخلاطُ والجَماعاتُ

نظم

وَظِرابُ الظِرّانِ والشَّظَفُ الباهِظُ والجَعظَرِيُّ والجَوّاظُ*

الظِرابُ الرُّبا الصِغارُ واحِدها ظَرِبٌ * والظِرّانُ الحِجارةُ المُحدَّدةُ واحِدها ظَرِرٌ والشَّظَفُ البُؤسُ وسُوءُ العَيشِ * والباهِظُ المُثقِلُ * والجَعظَرِيُّ المُتَنَفِّخُ بما لَيسَ عِندَه والجَوّاظُ الفاجِرُ وقيل الأَكُول المُختالُ

نظم

والظَّرابِينُ والحَناظِبُ والعُنظُبُ* ثمَّ الظَّيّانُ والأَرعاظُ

الظَّرابِينُ جمع ظَرِبانٍ وهي دابَّةٌ لا يُطاقُ فَسوُها وتُجمع ايضا على ظَرابىّ بحذفِ النُّون وعلى ظِربى وهو جمع شاذٌ ولم يجئ على فِعلى الا هذا وحِجلى جمع حَجَلٍ * والحَناظِبُ ذُكورُ الخَنافِسِ * والعُنظُبُ ذَكَرُ الجرادِ * والظَّيّانُ ياسمينُ البَرِّ * والأَرعاظُ جَمعُ رُعظٍ وهو مَدخَلُ النَّصلِ في السَّهمِ *

نظم

والشَّناظِي وَالدَّلظُ والظّابُ والظَّبظابُ* والعُنظُوانُ وَالجِنعاظُ *

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة * فأرشدت
الى شيخ يحجم بلطافة * ويسفر عن نظافة * فبعثت غلامي لاحضاره * وارصدت
نفسي لانتظاره * فابطأ بعد ما انطلق * حتى خلته قد ابق * او ركب طبقا عن طبق *
ثم عاد عود المخفق مسعاه * الكالّ على مولاه * فقلت له ويلك ابطاء فند * وصلود
زند * فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين * وفي حرب كحرب حنين * فعفت
المشي الى الحجام * وحرت بين اقدام واحجام * ثم رأيت ألّا تعنيف * على من
ياتي الكنيف * فلما شهدت موسمه * وشاهدت ميسمه * رأيت شيخا هيئته نظيفة *
وحركته خفيفة * وعليه من النظارة اطواق * ومن الزحام طباق * بين يديه فتى
كالصمصامة * مستهدف للحجامة * والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك * قبل
ان تبرز قرطاسك * وولّيتني قذالك * ولم تقل لي ذا لك * ولست ممن يبيع نقدا
بدين * ولا يطلب اثرا بعد عين * فان انت رضخت بالعين * حجمت في الاخدعين *
وان كنت ترى الشح اولى * وخزن الفلس في النفس احلى * فاقرأ عبس
وتولّى * واغرب عني والّا * فقال الفتى والذي حرّم صوغ المين كما حرّم صيد
الحرمين * انني لأفلس من ابن يومين * فثق بسيل تلعتي * وانظرني الى سعتي *

يصوب * وينقر عنه وينقب * وهو كمن ينظر في ظلماء * او يسري في يهماء * فلما استراث تنبهي واستبان تدلهي * حملق الي وتبسم * وقال لم يبق من يتوسم * فهمت لفحوى كلامه * ووجدته ابا زيد عند ابتسامه * واخذت الومه على تدير بقعة النوكى * وتخير حرفة الحمقى فكان وجهه أسف رمادا * او اشرب سوادا *

الا انه انشد وما تمادى *

نظم

تخيرت حمص وهذي الصناعة * لارزق حظوة اهل الرقاعة

فما يصطفى الدهر غير الرقيع * ولا يوطن المال الا بقاعه

ولا لاخي اللب من دهره * سوى ما لعير ربيط بقاعه

ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة * واربح بضاعة * وانجح شفاعة * وافضل براعة * وربه ذو امرة مطاعة * وهيبة مشاعة * ورعية مطواعة * ينسيطر تسيطر امير * ويترتب ترتيب وزير * ويتحكم تحكم قدير * ويتشبه بذي ملك كبير * لولا انه يخرف في امد يسير * ويتسم بحمق شهير * يتقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير * فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام * والساحر اللاعب بالافهام * المذلل له سبل الكلام * ثم لم ازل معتكفا بناديه * مغترفا من سيل واديه * الى ان غابت الايام الغبر * ونابت الاحداث الغبر * ففارقته ولعيني العبر *

و باعلاقک * لا با مراقک * ولا تطع الطمع فیذلک * و لا تتبع الهوی فیضلک * و للہ القائل لابنہ * نظم *

بنی استقم فالعود تنمی عروقہ * قویماً و یغشاہ اذا ما التوی التوی

و لا تطع الحرص المذل و کن فتی * اذا التہبت احشاؤہ بالطوی طوی

و عاص الہوی المردی فکم من محلق * الی النجم لما ان اطاع الہوی ہوی

و اسعف ذوی القربی فیقبح ان یری * علی من الی الحر اللباب انضوی ضوی

و حافظ علی من لا یخون اذا نأی * زمان و من یرعی اذا ما النوی نوی

و ان تقتدر فاصفح فلا خیر فی امری * اذا اعتلقت اظفارہ بالشوی شوی

و ایاک و الشکوی فلم تر ذا نہی * شکی بل اخو الجہل الذی ما ارعوی عوی

فقال الغلام للنظارۃ یا للعجیبہ * و الطرفۃ الغریبۃ * انف فی السماء * و است فی الماء * و لفظ کالصہباء * و فعل کالحصباء * ثم اقبل علی الشیخ بلسان سلیط * و غیظ مستشیط * و قال اف لک من ضواغ باللسان * رواغ عن الاحسان * تامر بالبر * و تعق عقوق الہر * فان یکن سبب تعنتک نفاق صنعتک * فرماہ اللہ بالکساد * و افساد الحساد * حتی تری افرغ من حجام ساباط * و اضیق رزقاً من سم الخیاط * فقال لہ الشیخ بل سلط اللہ علیک بثر الغم * و تبیغ الدم * حتی تلجا الی حجام عظیم الاشتطاط * ثقیل الاشتراط * کلیل المشراط * کثیر المخاط و الضراط * قال فلما تبین الفتی انہ یشکو

فقال الشیخ ویحک ان مثل الوعود * کغرس العود * هو بین ان یدرکه العطب * او یدرک منه الرطب * فما یدرینی ایحصل من عودک جنی * ام احصل منه علی ضنی * ثم ما الثقة بانک حین تبتعد * ستفی بما تعد * وقد صار الغدر کالتحجیل * فی حلیة هذا الجیل * فارحنی باللّٰه من التعذیب * وارحل الی حیث یعوی الذئب * فاستوی الغلام الیه * وقد استولی الخجل علیه * وقال واللّٰه ما یخیس بالعهد * غیر الخسیس الوعد * ولا یرد غدیر الغدر * الا الوضیع القدر * ولو عرفت من انا * لما اسمعتنی الخنا * لکنک جهلت فقلت * وحیث وجب ان تسجد بلت * وما اقبح الغربة والاقلال * واحسن قول من قال

* نظم *

ان الغریب الطویل الذیل ممتهن * فکیف حال غریب ما له قوت
لکنه ما تشین الحر مسوجعة * فالمسک یسحق والکافور مفتوت
وطالما اصلی الیاقوت جمر غضا * ثم انطفی الجمر والیاقوت یاقوت

فقال له الشیخ یا ویلة ابیک * وعولة اهلیک * اانت فی موقف فخر یظهر * وحسب یشهر * ام موقف جدال یکشط * وقفا یشرط * وهب ان لک البیت کما ادعیت * ایحصل بذلک حجم قذالک * لا واللّٰه ولو ان اباک اناف * علی عبد مناف * او اخالک دان * عبد المدان * فلا تضرب فی حدید بارد * ولا تطلب ما لست له بواجد * وباه اذا باهیت بموجودک * لا بجدودک * وبمحصولک * لا باصولک * وبصفاتک لا برفاتک *

أُقسِمُ بالبيتِ الحرامِ الذي * تهوي إليه الزُّمَرُ المُحرِمَه

لَو أنَّ عندي قوتَ يومٍ لما * مسَّتْ يدي المشراطَ والمِحجَمَه

ولا ارتضتْ نفسي التي لم تزلْ * تسمو إلى المجدِ بهذي السِّمَه

ولا اشتكى هذا الفتى غِلظةً * منّي ولا شاكتْهُ منّي حُمَه

لكنْ صروفُ الدهرِ غادرنني * كخابطٍ في الليلةِ المُظلِمَه

وأحضرني الفقرُ إلى موقفٍ * مِن دونه خوضُ اللظى المُضرَمَه

فهلْ فتىً تُدرِكُه رِقَّةٌ * عليَّ أو تعطِفُه مرحَمَه

قال الحارثُ بن همّام فكنتُ أوّلَ من أوى لبلواه * ورقَّ لشكواه * فنفحتُه بدرهمين * وقلتُ لا كانا ولو كان ذا امين * فانتهج بباكورةِ جَناه * وتفاءل بهما الغناه * ولم تزلِ الدراهمُ تنهالُ عليه * وتنثالُ لديه * حتى آلَ ذا ميشةٍ خضراءَ وحقيبةٍ بجراء * فازدهاه الفرحُ عند ذلك * وهنّأ نفسه هنالك * وقال للغلام هذا ريعٌ أنت بذرُه * وحلبٌ لك شطرُه * فهلمَّ لنقتسم * ولا نحتشم * فتقاسماه بينهما شقَّ الأبلمه * ونهضا متّفقي الكلمه * ولمّا انتظم عقدُ الاصطلاح * وهمَّ الشيخُ بالرواح * قلتُ له قد تبوّغ دمي * ونقلتُ إليك قدمي * فهل لك في أن تحجمني * تكفكفَ ما دهمني فصوّب طرفه في وصعّد *

ثمّ ازدلف إليَّ وأنشد

* نظم *

كيف رأيتَ خدعتي وختلي * وما جرى بيني وبين سخلي

اِلیٰ غیرِ مُصمتٍ * ویُراودُ استفتاحَ بابِ مُصمتٍ اَضربَ مَن رجعِ الکلام * واحتفز للقیام وعلِمَ الشیخُ انّہٗ قد الام * بما اَسمعَ الغُلام * فجنح اِلیٰ سِلمِہٖ * وبذلَ ان یذمِنَ لِحکمِہٖ * ولا یبغِیَ اجرا علیٰ حَجمِہٖ * وابَی الغُلامُ اِلّا المشیَ بدائِہٖ * والھربَ مِن لقائِہٖ * وما زالا فی حِجاجٍ وسِبابٍ * ولزازٍ وجِذابٍ * اِلیٰ اَن ضجّ الفتیٰ مِن الشِقاق * وتلاردنہٗ سُورۃَ الانشقاق * فاقولَ حینئذٍ لوفارۃِ خُسرِہٖ * وانعطاطِ مِرضِہٖ وظُمرِہٖ * واَخذَ الشیخُ یعتذِرُ مِن فَرطاتِہٖ * یُغیِضُ مِن عبراتِہٖ * وھو لا یُصغِی الی اعتذارِہٖ * ولا یُقصِرُ عن استعبارِہٖ * اِلیٰ اَن قالَ لہٗ فداکَ عمُّک * وعداکَ ما یغمُّک * اما تسأمُ الاعوالَ * اَما تعرِفُ الاحتمالَ اَما سَمِعتَ بمَن اَقالَ * واَخذَ بقولِ مَن قالَ *

نظم

اَخمِدْ بحِلمِکَ ما یُذکِیہٖ ذو سَفَہٍ * مِن نارِ غیظِکَ واصفَحْ اِن جَنا جانِی

فالحِلمُ افضلُ ما ازدانَ اللّبیبُ بہٖ * والاَخذُ بالعفوِ اَحلیٰ ما جَنیٰ جانِی

فقالَ لہ الغُلامُ اَما اَنَّکَ لو ظَھرتَ علیٰ مُبیِّنِ المُنکدِرِ * لعذرتَ فی دَمعِی المُنھمِرِ * ولکِن ھانَ علی الاَملَسِ ما لاقی الدّبِر * ثمَّ کَانّہٗ نزعَ الی الاستحیاء * فاقلعَ عن البُکاء * وفاءَ الی الاِرعواء * وقالَ للشیخِ قد صِرتُ اِلیٰ ما اشتھیتَ * فارقعْ ما اَوھیتَ * فقالَ ھیہاتَ شغلتْ شِعابی جَدوایَ * فشِمْ بارِقَ سِوایَ * ثمَّ اِنّہٗ نَھضَ یستقرِی الصُفوفَ * ویستجدِی الوقوفَ * ویُنشِدُ فی ضِمنِ ما یطوفُ * نظم *

النَّحْيين وشُحِّها على السَّمْنِ فلمّا قام عنها قالَت لا هَنَّأَكَ نَضْرِبَ المَثَلُ فيمن شُغِلَ وهي في هذا المَثَلِ مفعولة لِانَّها شُغِلَتْ وَاَكْثَرُ الامثالِ التي على اَفْعَلَ ياتي من فِعْلِ الفاعل * واما قوله اَنْفٌ فِي السَّماءِ واِسْتٌ فِي الماءِ فيُضْرَبُ هذا المَثَلُ لِمَنْ يَتَكَبَّرُ مقالاً ويصغُرُ فعالاً * واما قوله اَفْرَغُ مِن حَجّامِ ساباطَ فَذُكِرَ اَنَّه كانَ حَجّامًا مُلازِمًا ساباطَ المَدائِنِ يَحْجُمُ الجُنْدِيَّ بِدانِقٍ نَسِيئَةً ورُبَّما مَرَّتْ عليه بُرْهَةٌ لا يَقْرَبُه فيها اَحَدٌ فكان يبرِزُ اُمَّهُ عِندَ تمادِي عُطْلَتِه فَيَحْجُمُها لِكَيْلا يُقْرَعَ بالبطالة فمازال يَحْجُمُها حتّى نَزَفَ دَمُها وماتَتْ * واما قوله يَشْكُو اِلى غيرِ مُصْمِتٍ فهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَن لا يَكْتَرِث بِشانِ صاحِبِه ولا يُبالِي باستمرارِ شكايَتِهِ لانه لَوْ اَشْكاه لصَمَتَ واَمْسَكَ عن الكَلام ومنه قول الرّاجِزِ يُخاطِبُ جَمَلاً له

*** نظم ***

اِنَّكَ لا تَشْكُو اِلى مُصْمِتٍ * فاصْبِرْ عَلَى الحَمْلِ الثَّقِيْلِ اَو مُتِ

ونحو هذا المَثَلِ هانَ على الاَمْلَسِ ما لاقَى الدَّبِرُ * وامَّا قولُه شَغَلَتْ شِعابِي جَدْوايَ فالمرادُ بِه انه لَيْسَ يَفْضُلُ عَنّي ما اَصْرِفُه اِلى غيري والشِّعابُ النَّواحِي واحِدُها شِعْبٌ * وقوله كُلُّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافِي الوَقِعُ معناه اَنَّ المجهودَ يَقْنَعُ بما يَجِدُ والوَقِعُ اَن تُصِيبَ الحِجارةُ القَدَمَ فَتُوهِنَها * فامّا البَعِيرُ المُوَقَّعُ فهو الذي يَكْثُرُ آثارُ الدَّبَرِ بِظَهْرِهِ *

حَتَّىٰ انثَنَيْتُ فائِزًا بالخَصْلِ * أَرْعى رِياضَ الخِصْبِ بعدَ المَحْلِ

بِاللّٰهِ يا مُهْجَةَ قلبي قُل لِي * هل أَبْصَرَتْ عَيْناكَ قَطُّ مِثْلي

يَفْتَحُ بالرُّقْيَةِ كُلَّ قُفْلِ * ويَسْتَبِي بالشِّعْرِ كُلَّ عَقْلِ

ويُعْجِنُ الجِدَّ بِماءِ الهَزْلِ * إِن يَكُنِ الإِسْكَنْدَرِيُّ قَبْلي

فالطَّلُّ قد يَبْدُو أَمامَ الوَبْلِ * والفَضْلُ لِلْوابِلِ لا لِلطَّلِّ

قال فنبهني أُرْجُوزَتُه عليه * وأَرَتْنِي أَنَّهُ شيخُنا المُشارُ إليه * فقرَّعْتُهُ على الابتذال * والالتحاف بالأَرذال * فأَعرَضَ عمّا سَمِعَ * ولم يُبَلْ بما قُرِعَ * وقال كُلُّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافي الوَقِعُ * ثُمَّ قاصاني مُقاصاةَ المُهانِ * وانطلق هو وابنُه كفرسَيْ رِهانٍ * قال ابو محمّد القاسم بن عليّ رضي الله عنه * قد أَوْدَعْتُ هٰذه المقامة بِضْعَةَ عشر مَثَلًا من أَمثالِ العرب * وها أَنا أُفَسِّرُ منها ما أَخالُهُ يَلْتَبِسُ على من يَقْتَبِسُ * أَمّا قولُه بطْءٌ فيدٍ فهو مولى لعايشةَ بنتِ سعدِ بنِ أَبي وقّاصٍ وكانت بعثتْه بالمدينة ليقتبِسَ لها نارًا فقصدَ مِصرَ وأَقامَ بها سنةً ثُمَّ جاءها بعد السَّنَةِ يشتدُّ ومعه جمرٌ فتبدَّدَ منه فقال تعِسَتِ العَجَلَةُ * وأَمّا ذاتُ النِّحْيَيْنِ فهي امرأةٌ من تيم الله بن ثعلبة حضرتْ سوقَ عُكاظٍ ومعها نِحْيا سَمْنٍ فاستَخْلَى بها خَوّاتُ بن جُبَيْرٍ الأَنصاريّ لِيَبْتاعَهما منها ففتح أَحدَهما وذاقه ودفعه اليها فأَخذته بإِحدى يديها ثم فتح الآخرَ وذاقه ودفعه اليها فأَمسكته بيدها الأُخرى ثم غَشِيَها وهي لا تقدرُ على الدفع عن نفسها لحفظها فم

وكَمْ من معَلّمٍ للعلمِ فيها * ونَادٍ للنَّدى حُلْوِ المَجاني
ومَغْنًى ما تزالُ تغَنُّ فيه * اَغارِيدُ الغَواني والاغاني
فَصِلْ اِنْ شئتَ فيها من يُصَلِّي * واِمَّا شئتَ فادْنُ مِنَ الدِّنانِ
ودُونَكَ صُحبَةَ الاَكْياسِ فيها * اوالكاساتِ مُنطَلِقَ العِنانِ

قال فبينما اَنا اَنْقُضُ طُرُقَها * واَستَشِفُّ رَونَقَها * اِذ لمحتُ عند دُلوكِ بَراحٍ * واِظلالِ الرَّواحِ * مَسجِدًا مُشتَهِرًا بطَرائفِهِ * مُزدَهِرًا بطَوائفِهِ * وقد اَجرى اَهلُهُ ذِكرَ حُروفِ البَدَلِ * وجرَوا في حَلبةِ الجَدَلِ * فعُجتُ نَحوَهم * لاَستَمطِرَ نَوءَهم * لا لِاَقتَبِسَ نَحوَهم * فلم يكُ اِلَّا كَنَبسةِ العَجلانِ * حتى ارتفعتِ الاَصواتُ بالاَذانِ * ثمَّ رَوِفَ النَّاذِ بنَ بُرُوزُ الامامِ * فاُغمِدَت ظُبَى الكَلامِ * وحُلَّتِ الحُبى للقِيامِ * شغُلًا بالقُنوتِ * من استمدادِ القُوتِ * وبالسُّجودِ * عن استنزالِ الجُودِ * ولمَّا قُضِيَ الفَرضُ * وكادَ الجَمعُ يَنفَضُّ * انبرى من الجماعةِ * كَهْلٌ حُلْوُ البَراعةِ * لهُ مَعَ السَّمتِ الحَسَنِ * ذَلاقةُ اللَّسِنِ وفَصاحَةُ الحَسَنِ * وقال يا جِيرَتي الذينَ اصطَفَيتُهم على اَغصانِ شَجَرَتي * وجَعَلتُ خِطَّتَهم دارَ هِجرَتي * واتَّخَذتُهم كَرِشي وعَيبَتي * واَعدَدتُهم لِحَضَري وغَيبَتي * اَمَا تعلَمُونَ اَنَّ لَبُوسَ الصِّدقِ اَبهى المَلابِسِ الفاخرةِ واَنَّ فُضُوحَ الدُّنيا اَهوَنُ من فُضُوحِ الآخِرَةِ * واَنَّ الدِّينَ اِمحاضُ النَّصيحةِ * والاِرشادَ عُنوانُ العَقيدةِ الصَّحيحةِ * واَنَّ المُستَشارَ مُؤتَمَنٌ * والمُستَرشِدَ بالنُّصحِ قَمِنٌ * واَنَّ اَخاكَ هُوَ الَّذي عَذَلَكَ * لا الَّذي

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

رَوَى الحارث بن همّام عن ابى زيد السُّروجى * قال ما زلتُ مُذ رَحَلتُ عنسى * وارتحلتُ عن عِرسى وغرسى * احنّ الى عيانِ البصرة * حنينَ المظلوم الى النُّصرة * لما اجمع عليه ارباب الدّراية * واصحاب الرّواية * من خصائص معالمها وعلمائها * ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله تعالى ان يُوطِئَنى ثراها * لأفوز بمرآها * وان يُمطِيَنى قراها * لاقتَرِى قُراها * فلمّا احلّنيها الحظّ * وسرّح لى فيها اللّحظ * نظم

رأيتُ بها ما يملأُ العينَ قُرّةً * ويُسلِى عن الاوطانِ كُلَّ غريب

فغلّستُ فى بعض الايّام * حين نَصَل خضابُ الظّلام *

وهتف ابو المنذر بالنُّوَّام * لاخطُوَ فى خططها * واقضى الوطر من توسّطها * فادّانى الاختراق فى مسالكها * والانصلاتُ فى سككها * الى محلّة موسومة بالاحترام * منسوبة الى بنى حرام * ذات مساجد مشهودة * وحياض مورودة * ومبانٍ وثيقة * ومغانٍ انيقة * وخصائص اثيرة * ومزايا كثيرة * نظم *

بها ما شئتَ من دينٍ ودنيا * وجيرانٍ تنافوا فى المعانى
فمشغوفٌ بآياتِ المثانى * ومفتونٌ برنّاتِ المثانى
ومضطلعٌ بتلخيصِ المعانى * ومطّلعٌ الى تخليصِ عانِ
وكم من قارئٍ فيها وقارٍ * اضرّا بالجفونِ وبالجفانِ

صَيد * فشمّر من يدٍ وايدٍ * فانتهضت من مجثمی انتهاض الشّهم * وانخرطت من الصّفّ انخراط السّهم * و قلت *

نظم

ایها الاروع الذی * فاق مجدا وسوددا
والذی یبتغی الرشاد * لینجو به فدا
ان عندی علاج ما * بتّ منه مسهّدا
فاستمعها عجیبة * فادرتنی مُلدّدا
انا من ساکنی سروج * ذوی الدین والهدا
کنت ذا ثروة بها * ومطاعا ممّودا
مربعی مألف الضیوف * ومالی لهم سدا
اشتری الحمد باللُّهی * وافی العرض بالجدا
لا ابالی بمنفسٍ * طاح فی البذل والندا
او قد النار بالیفاع * اذا النکس اخمدا
و برابی لمؤمّلون * ملاذا و مقصدا
لم یشم بارقی صدٍ * فانثنی یشتکی الصدا
لا ولا رام قابسٌ * قدح زندی فاصلدا
طالما ساعد الزمان * فاصبحت مسعدا

مذكرك * وصديقك مَن صَدَقك * لا مَن صدَّقك * فقال له الحاضرون أيها الخِلّ الودود * والخِدن المودود * ما سِرّ كلامك المُلغِز * وما شرح خطابك المُوجَز * وما الذي تبغيه منّا لِيُنجَز * ولو أعجز * فوالذي حبانا بمحبّتك * وجعلنا من صفوة أحبّتك * ما نألوك نُصحاً * ولا ندّخر عنك نُصحاً * فقال لهم جُزيتم خيراً * ووُقيتم ضَيراً * فإنكم من لا يشقى بهم جليسٌ * ولا يصدُر عنهم تلبيسٌ * ولا يخيبُ فيهم مظنونٌ * ولا يُطوى دونهم مكنونٌ * سأنبئكم ما حكّ في صدري * واستفتيكم فيما عِيلَ له صبري * اعلموا أني كنتُ عند صُلود الزَّند * وصُدود الجدّ * أخلصتُ مع الله نيّة العقد * وأعطيته صفقة العهد * على أن لا أسبأ مُداما * ولا أعاقر نداماى * ولا أحتسي قهوةً * ولا أكتسي نشوةً * فسوّلت لي النفسُ المُضلّة * والشهوة المُزِلّة * أن نادمتُ الأبطال * وعاطيتُ الأرطال * وأضعتُ الوقار * وارتضعتُ العُقار * وامتطيتُ مطا الكُميت * وتناسيتُ التوبة كالميت * ثم لم أقنع بها تيكُم المرّة * في طاعة أبي مُرّة * حتى عكفتُ على الخندريس * في يوم الخميس * وبتُّ صريعَ الصهباء * في الليلة الغرّاء * وها أنا بادي الكآبة * لرفض الإنابة * نامي الندامة * لوصل المُدامة * شديدُ الإشفاق * من نقض الميثاق * مُعترفٌ بالإسراف * في عبّ السُّلاف * فيا قوم هل كفّارةٌ تعرفونها تُباعدني من ذنبي * وتُدنيني إلى ربّي * قال أبو زيد فلمّا حلّ أُنشوطة نفثه * وقضى الوطر من إشكال بثّه * ناجتني نفسي يا أبا زيد * هذه نُهزة

فَاقبَلِ النُّصحَ والهِدايَةَ واشكُرْ لِمَنْ هَدا
وَاسمَعِ الآنَ بِالَّذِي * يَتَسَنّى لِتَحمَدا

قال ابو زيد فلمّا اتممتُ هذرمتي * واوهمتُ المسئولَ صِدقَ كلمتي * آفرا القرمَ الى الكرم بمواساتي * ورغبةُ الكلف بحمل الكلف في مقاساتي * فرضخ لي على الحافرة * ونضح لي بالعِدّةِ الوافرة * فانقلبتُ الى وكري * فرحا بنُجحِ مكري * وقد حصلتُ مِنْ صَوغِ المكيدة * على سَوغِ الثريدة * ووصلتُ من حوكِ القصيدة * الى لوكِ العصيدة * قال الحارثُ بنُ همّام فقلتُ له سبحانَ من ابدعك * فما اعظمَ خدعك * فاستغرب في الضحك * ثم انشد غير مرتبك

نظم

عِشْ بِالخِداعِ فَانْتَ في * دَهْرٍ بَنُوهُ كَاُسْدِ بِيشَة
وَادِرْ قَناةَ المَكْرِ حَتّى تَستَدِيرَ رَحَى المَعِيشَة
وَصِدِ النُّسُورَ فَاِنْ تَعَذَّرَ صَيدُها فَاقنَعْ بِرِيشَة
وَاجْنِ الثِّمارَ فَاِنْ تَفُتْكَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالحَشِيشَة
وَاُرِحْ فُؤادَكَ اِنْ نَبا * دَهْرٌ مِنَ الفِكَرِ المُطِيشَة
فَتَغايُرُ الاَحداثِ يُؤذِنُ بِاسْتِحالَةِ كُلِّ عِيشَة

المقامة التاسعة والاربعون

حكى الحارثُ بنُ همّام * قال بلغني انّ ابا زيد حين ناهز القبضة * وابتزّه قيدُ الهرم

فعصى اللئام ليغير ما كان معودا

بوا الروم أرضنا * بعد ضغن توالدا

فاستباحوا حريمهم من * صادفوه موحدا

وحووا كل ما استسر بها لي وما بدا

فتطوحت في البلاد طريدا مشردا

اجتدي الناس بعد ما * كنت من قبل مجتدا

وتري بي خصاصة * اتمنى لها الردى

والبلاء الذي به * شمل انسي تبددا

استباء ابنتي التي * اسروها لتفتدا

فاستبن محنتي ومد الى نصرتي يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدا

واعني على فكاك ابنتي من يد العدا

فبذا انثني الملا ثم عمن تمردا

وبه تقبل الانابة ممن تزهدا

وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى

ولئن قمت منشدا * فلقد نهت مرشدا

الاقوات * ولا انا ثقة في جميع الاوقات * ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة ولم ارما
هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافي المكسب * صافي المشرب * الا الحرفة التي وضع
ساسان اساسها * ونوع اجناسها * واضرم في الخافقين نارها * واوضح لبني غبراء
منارها * فشهدت وقائعها معلما * واخترت سيماها لي ميسما * اذ كانت المتجر الذي
لا يبور * والمنهل الذي لا يغور * والمصباح الذي يعشوا اليه الجمهور * ويستصبح به
العمي والعور * وكان اهلها اعز قبيل * واسعد جيل * لا يرهقهم مس حيف * ولا
يقلقهم سل سيف * ولا يخشون حمة لاسع * ولا يدينون لدان ولا شاسع * ولا يرهبون من برق
ورعد * ولا يحفلون بمن قام وقعد * انديتهم منزهة * وقلوبهم مرفهة * وطعمهم معجلة
* واوقاتهم غر محجلة * اينما سقطوا لقطوا * وحيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون
اوطانا * ولا يتقون سلطانا * ولا يمتازون عمن تغدو خماصا * وتروح بطانا * فقال له
ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت * ولكنك رتقت وما فتقت * فبين لي كيف
اقتطف * ومن اين تؤكل الكتف * فقال يا بني ان الارتكاض بابها * والنشاط
جلبابها * والفطنة مصباحها * والقحة سلاحها * فكن اجول من قطرب * واسرى
من جندب * وانشط من ظبي مقمر * واسلط من ذئب متنمر * واقدح زند جدك *
بجدك * واقرع باب رزقك * بسعيك * وجب كل فج * وخض كل لج * وانتجع
كل روض * والق دلوك الى كل حوض * ولا تسأم الطلب * ولا تمل الداب *

النهضة * أحضر ابنه * بعدما استجاش ذهنه * وقال له يا بني إنه قد دنا ارتحالي من
الفناء * واكتحالي بمرود الفناء * وأنت بحمد الله ولي عهدي * وكبش الكتيبة
الساسانية من بعدي * ومثلك لا تقرع له العصا * ولا ينبه بطرق الحصا * ولكن قد
ندب إلى الإذكار * وجعل صيقلا للأفكار * وإني أوصيك بما لم يوص به شيث
الأنباط * ولا يعقوب الأسباط * فاحفظ وصيتي * وجانب معصيتي * واحذ مثالي *
واقتف أمثالي * فإنك إن استرشدت بنصحي * واستصبحت بصبحي * أمرع خانك
* وارتفع دخانك * وإن تناسيت سورتي * ونبذت مشورتي * قل رماد أثافيك *
وزهد أهلك ورهطك فيك * يا بني إني جربت حقائق الأمور * وبلوت تصاريف
الدهور * فرأيت المرء بنشبه * لا بنسبه * والفحص عن مكسبه * لا عن حسبه *
وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارست هذه الأربع
* لأنظر أيها أوفق وأنفع * فما أحمدت منها معيشة * ولا استرغدت فيها عيشة *
أما فرص الولايات * وخلس الإمارات * فكأضغاث الأحلام * والفيء المنتسخ
بالظلام * وناهيك غصة بمرارة الفطام * وأما بضائع التجارات * فعرضة للمخاطرات
* وطعمة للغارات * وما أشبهها بالطيور الطيارات * وأما اتخاذ الضياع * والتصدي
للازدراع * فمنهكة للأعراض * وقيود مانعة من الارتكاض * فلما خلا ربها
من إذلال * أو رزق روح بال * وأما حرف أولي الصناعات * فغير فاضلة من

لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واذا خيرت بين ذرة منقودة * ودرة موعودة * فمل الى النقد * وفضل اليوم على الغد * فان للتاخير آفات * وللعزائم بدوات * وللعدات معقبات * وبينها وبين النجز عقبات * وعليك بصبر اولى العزم * ورفق ذوى الحزم * وجانب خرق المشتط * وتخلق بالخلق السبط * وقيد الدرهم بالربط * وشب البذل بالضبط * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * ومتى نبا بك بلد * اونابك فيه كمد * فبت منه املك * واسرح عنه جملك * فخير البلاد ما حملك * ولا تستثقلن الرحله * ولا تكرهن النقله * فان اعلام شريعتنا * واشياخ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * والطراوة سفتجة * وزروا على من زعم ان الغربة كربة * والنقلة مثلة * وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيله * ورضي بالحشف وسوء الكيله * واذا ازمعت الاغتراب * واعددت له العصا والجراب * فتخير الرفيق المسعد * من قبل ان تصعد * فان الجار قبل الدار * والرفيق قبل الطريق * **نظم** *

خذ ها اليك وصية * لم يوصها قبلي احد

فرا محا ويه خلاصات المعاني والزبد *

نقحتها تنقيح من * محض النصيحة واجتهد

فاعمل بما مثلته * عمل اللبيب اخي الرشد

فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب * جلب * ومن جال * نال * واياك
والكسل فانه عنوان النحوس * ولبوس * ذوى البؤس * ومفتاح المتربه *
ولقاح المتعبة * شيمة العجزة الجهلة * وشنشنة الوكلة * التكلة * وما اشتار العسل *
من اختار الكسل * ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة * وعليك بالاقدام * ولو
على الضرغام * فان جراءة الجنان * تنطق اللسان * تطلق العنان * وبها تدرك
الحظوة * وتملك الثروة كما ان الخور صنو الكسل * وسبب الفشل * ومبطاة
العمل * مخيبة الامل * لهذا قيل في المثل * من جسر * ايسر * ومن هاب * خاب *
ثم ابرز يا بني في بكور ابى زاجر * وجراءة ابى الحارث * وحزامة ابى قترة *
وختل ابى جعدة * وحرص ابى عقبة * ونشاط ابى وثاب * ومكر ابى الحصين *
وصبر ابى ايوب * وتلطف ابى غزوان * وتلون ابى براقش * واخلب بصوغ
اللسان * واخدع بسحر البيان * وارتد السوق قبل الجلب * وامتر الضرع قبل
الحلب * وسائل الركبان قبل المنتجع * ودمث لجنبك قبل المضطجع * واشحذ
بصيرتك للعيافه * وانعم نظرك في القيافه * فان من صدق توسمه * طال تبسمه *
ومن اخطأت فراسته * ابطأت فريسته * وكن يا بني خفيف الكل * قليل الدل
* راضيا عن العل * قانعا من الوبل بالطل * وعظم وقع الحقير * واشكر على النقير *
ولا تقنط عند الرد * ولا تستبعد رشح الصلد * ولا تيأس من روح الله انه

ضَرِيرُ الأَقلام * فطلقتُ اليه غيرَ وانٍ * ولا لاوٍ على شانٍ * فلمّا وَطِئتُ حصاه *
واستشرفتُ اقصاه * تراءى لي ذو اطمارٍ باليةٍ * فوقَ صخرةٍ عاليةٍ * وقد عصبت
به عُصَبٌ لا يُحصى عديدُهم * ولا يُنادى وليدُهم * فابتدرتُ قصدَه * وتوردتُ
وِردَه * ورجوتُ ان اجدَ شِفائي عِندَه * ولم ازلْ انتقلُ في المراكزِ * واُغضي
اللّاكزِ والواكزِ * الى أن جلستُ تجاهَه * وبحيثُ امِنتُ اشتباهَه * فاذا هوَ
شيخُنا السَّروجي لا ريبَ فيه * ولا لبسَ يُخفيه * فتسرّى بمرآه همّي * وارفضّتْ
كتيبةُ غمّي * وحين رآني * وبصرَ بمكاني * قال يا اهلَ البصرة رعاكُمُ اللّهُ و
وقاكمُ * وقوّى تقاكم * فما اضوعَ ريّاكم * وافضلَ مزاياكم * بلدُكم
اوفى البلاد طُهرةً * وازكاها فِطرةً * وافسحُها رُقعةً * وامرعُها نُجعةً * واقومُها قِبلةً *
واوسعُها دِجلةً * واكثرُها نهراً ونخلةً * واحسنُها تفصيلاً وجُملةً * دِهليزُ البلدِ الحرام
* وقُبالةُ البابِ والمقام * واحدُ جناحَي الدّنيا * والمِصرُ المؤسّسُ على التّقوى * لم يتدنّس
ببيوتِ النّيران * ولا طِيفَ فيه بالاوثان * ولا سُجِدَ على اديمه لغيرِ الرّحمن *
ذو المشاهدِ المشهودة * والمساجدِ المقصودة * والمعالمِ المشهورة * والمقابرِ المزورة *
والآثارِ المحمودة * والخِططِ المحدودة * به تلتقي الفُلكُ والرِّكابُ * والحيتانُ
والضِّبابُ * والحادي والملّاحُ * والقانِصُ والفلّاحُ * والنّاشبُ والرّامحُ * والسّارحُ
والسّابحُ * وله آيةُ المدِّ الفائض * والجزرِ الغائض * وامّا انتم فمَن لا يختلفُ في

حَتّى يقولَ النّاسُ هذا الشِّبْلُ مِن ذاكَ الأَسَدْ

ثمّ قال لهُ يا بُنَيَّ قد اَوْصَيتُ * و استَقْصَيتُ * فانِ اقتدَيتَ * فوا هاً لك * و انِ اعتَدَيتَ فآ هاً منكَ * و اللّهُ خَليفَتي عليك * و اَرْجو اَنْ لا تُخالِفَ ظَنّي فيك * فقالَ له ابنه يا اَبَتِ لا وُضِعَ عرشُك * و لا رُفِعَ نعشُك فلقد قُلتَ سَدَداً * و عَلَّمتَ رَشَداً * و بَيَّنتَ لي سُوْدَداً * و نَحَلتَ ما لم يَنحَلْ والدٌ وَلَداً * و لَئِنْ اُمْهِلتُ بعدكَ * و لا ذُقتُ فَقْـدَكَ * فَلَاَتَأَدَّبَنَّ بآدابِكَ الصّالحة * و لَاَقتَـدِيَنَّ بآثارِكَ الواضِحة * حَتّى يقالَ ما اَشبهَ اللَّيلةَ بِالبارحة * و الغادِيةَ بالرّائحه * فاهتَزَّ ابو زيد لجَوابِهِ و ابتَسم * و قال مَن اَشْبهَ اباهُ فما ظَلَم * قال الحارثُ بن هَمّام فاُخبِرتُ اَنَّ بَني ساسان * حِينَ سَمِعُوا هذه الوَصايا الحِسان * فضَّلوها على وَصايا لُقْمان * و حَفِظوها كما نُحفَظُ اُمّ القرآن * حتّى انهم لَيرَونها الى الآن * اَولى ما لَقَّنوهُ الصِّبْيـان * و اَنفَعَ لهم من نِحْلةِ العِقْيان *

*المقامةُ الخمسون البصرية *

حكى الحارثُ بنُ همّام * قال اُشعِرتُ في بعضِ الاَيّام همّاً بَرَّحَ بي استعِارُهُ * ولاحَ على شعارُه * و كُنتُ سَمِعتُ اَنّ غِشيانَ مَجالِسِ الذِّكر * يَسرُو غَواشيَ الفِكر * فلم اَرَ لاِطْفاءِ ما بي منَ الجَمْرِ * اِلّا قَصْدَ الجامعِ بِالبَصْرة * و كانَ اِذْ ذاكَ ماهولَ المَسانِدِ * مَشفُوهَ الموارِد * يُجتَنى مِنْ رِياضِهِ اَزاهِيرُ الكَلام * و يُسمَعُ في اَرجائه

على السُّروج * ثم ولَجتُ المَضائق * وفتحتُ المَغالِق * وشهدتُّ المعارك * واَلْثَتُ العرائك * واقتدتُ الشَّوامِس * وارغمتُ المعاطِس * واذبتُ الجوامِد * واَمْعتُ الجَلامِد * سلُوا عنّي المَشارِقَ والمَغارِبَ * والمَناسِمَ والغوارِبَ * والمحافِلَ والجحافِلَ * والقبائِلَ والقنابِلَ * واستَوضِحُوني مِن نَقَلَةِ الاَخبار * ورُواةِ الاَسْمار * وحُداةِ الرُّكبان * وحُذّاق الكُهّان * لِتَعلَمُوا كَم فجٍّ سَلَكتُ * وحجابٍ هتكتُ * ومَهلَكةٍ اقتَحَمْتُ * وملحمةٍ الحَمتُ * وكم اَلبابٍ خَدَعتُ * وبِدَعٍ ابتَدَعتُ * وفُرَصٍ اختَلَسْتُ * واُسُدٍ افترَسْتُ * وكم مُحاقٍ فادَرتُه لَقى * وكائِن استخرجتُه بالرُّقى * وحجرٍ سحرتُه حتّى انصدَع * واستنبطتُ زُلالَهُ بالخُدَع * ولكن فرَطَ ما فرَطَ والغُصنُ رَطيبٌ * والفَودُ غِربيبٌ * وبُردُ الشّابِ قَشيبٌ * فاَمّا الآن وقد استشَنّ الاَديمُ * وتأوّدَ القويمُ * واستنارَ اللّيلُ البَهيمُ * فليسَ اِلّا النّدَمُ اِن نَفَع * وترقيعُ الخَرْقِ الّذي قد اتَّسَع * وكنتُ رُوِيتُ فى الآثارِ المُسنَدة * والاَخبارِ المُعتَمَدة * اَنَّ لَكُم مِنَ اللّهِ تعالى فى كُلِّ يومٍ نظرة * واَنَّ سِلاحَ النّاسِ الحَديدُ وسِلاحُكم الاَدعيه * فقصدتُكم اُنضِي الرَّواحِلَ * واَطوِي المَراحِلَ * حتّى قُمتُ هذا المَقامَ فيكم * ولا مَنَّ لى عليكم * اذ ما سَعَيتُ اِلّا فى حاجتي * ولا تعِبتُ اِلّا لِراحتي * ولستُ اَبغِي اَعطِيتَكم * بَل اَستَدعِي اَدعِيَتَكم * ولا اَسألُكم اَموالَكم * بل استنزِلُ دُعاءكم * فادعوا اللّه تعالى بتوفيقي للمَتاب * والاِعدادِ للمآب * فاِنَّهُ رَفيع

خَصائِصِهم اِثنان * ولا يُنكِرها ذوشنآن * دَهماؤكم اَطوع رعيّةٍ لِسلطان * وَاَشكرهم لِاِحسان * وزاهِدكم اَورع الخليقه * واَحسنهم طريقةً على الحقيقه * وما لِمُكم عَلّامةُ كُلِّ زمانٍ * والحجّةُ فِي كُلِّ اوانٍ * مِنكم مَنِ استنبط عِلمَ النحو ووضعه * والّذِي ابتدع ميزانَ الشعرِ واخترعه * وما مِن فخرٍ اِلّا لكم فيه اليدُ الطُولى * والقِدحُ المُعلّى * واَنتم اَحقّ به واَولى * ثم اِنكم اَكثر اهلِ مِصرٍ مُؤذِّنين * واَحسنهم فِي النُسكِ قوانين * وبِكم اقتدى فِي التعريف * وعُرِف التسحير فى الشهرِ الشريف * ولكم اِذا اقترتِ المَضاجِع * وهجع الهاجِع * تذكارٌ يوقِظ النائم * ويؤنس القائم * وما ابتسم ثغرُ فجرٍ * ولا بزغ نورُه فِي برٍ ولا بحرٍ * اِلّا ولِتاذينِكم بالاَسحار * دويٌّ كدويِّ الرِيحِ فى البحار * وبهذا عنكم صدع النقلُ * واَخبر النبيُّ عليه السلام مِن قبلُ * وبيّن اَنّ دوِيّكم بالاَسحار * كدويِّ النحلِ فى القفار * فشرفاً لكم بِبِشارةِ المُصطفى * وواهاً لِمِصرِكم واِن كان قد عفا * ولم يبقَ منه اِلّا شفا * ثم اِنّه خزن لِسانه * وختم بيانه * حتّى حدج بالاَبصار وقرف بالاِقصار * فتنفّس تنفّس مَن قيد اِلى القودِ * اوضبثت به براثِنُ اَسدٍ * ثم قال اَمّا اَنتم يا اهل البصرةِ فما مِنكم اِلّا العلمُ المعروف * ومَن له المعرِفةُ والمعروف * واَمّا اَنا فمن عرفني فاَنا ذاك * وشرُّ المعارِفِ مَن آذاك * ومَن لم يثبِت عِرفتي * فساَصدُقه صِفتي * اَنا الّذِي اَنجد واَتهم * واَيمن واَشأم * واَصحر واَبحر * واَدلج واَسحر * نشأتُ بِسروج * وربيتُ

والتحسس علينا * فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة * فما رأيك في النوبة * فقال أقسم بعلام الخفيات * وغفار الخطيات * ان شاني لعجاب * وان دعاء قومك لمجاب * فقلت زدني إفصاحا * زادك الله صلاحا * فقال وابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع * فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه * وويل لمن باتوا يدعون عليه * ثم ودعني وانطلق * واودعني القلق * فلم ازل اغاني الفكر * واتشوف الى خبرة ماذكر * وكلما استنشيت خبره من الركبان * وجوابة البلدان * كنت كمن حاور عجماء * اوناد بي صخرة صماء * الى ان لقيت بعد تراخي الامد * وترامي الكمد * ركبا قافلين من سفر * فقلت هل من مغربة خبر * فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العنقاء * واعجب من نظر الزرقاء * فسألتهم ايضاح ما قالوا * وان يكيلوا لي بما اكتالوا * فحكوا انهم الموا بسروج * بعد ما فارقها العلوج * فرأوا ابا زيدها المعروف * قد لبس الصوف * وأم الصفوف * وصار بها الزاهد الموصوف * فقلت اتعنون ذا المقامات * فقالوا انه الآن ذو الكرامات * فحفزني اليه النزاع * ورأيتها فرصة لا تضاع * فارتحلت رحلة المجد * وسرت نحوه سيرا المجد * حتى حللت بمسجده * وقرارة متعبده * فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه * وانتصب في محرابه * وهو ذو عباءة مخلولة * وشملة موصولة * فهبته مهابة

الدَّرجات * ومُجِيبُ الدَّعوات * وهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ من عِبادِهِ ويَعفُو عَنِ السَّيِّآت * ثمَّ آنشد

* نظم *

آستَغفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبٍ * اَفرَطتُ فيهنَّ وافتَديتُ

كم خُضتُ بَحرَ الضَّلالِ جَهلاً * ورُحتُ فى الغَيِّ وافتَدَيتُ

وكم اَطَعتُ الهوى اغتِرارًا * واحتَلتُ وافتَلتُ وافتَرَيتُ

وكم خَلَعتُ العِذارَ رَكضًا * اِلى المَعاصِي وما وَنَيتُ

وكم تَناهَيتُ فى التَّخَطِّى * الى الخطايا وما انتَهَيتُ

فَلَيتَني كُنتُ قَبلَ هذا * نَسيًا ولم اَجنِ ما جَنَيتُ

فالمَوتُ لِلمُجرِمِين خَيرٌ * مِنَ المَعاصِي الَّتِي سَعَيتُ

يا رَبِّ عَفوًا فَاَنتَ اَهلٌ * لِلعَفوِ عَنِّي واِنْ عَصَيتُ

قال الرَّاوى فطفِقَتِ الجَماعةُ تمُدُّه بالدُّعاء * وهو يُقَلِّبُ وَجهَهُ فِي السَّماء * الى آن دَمَعَت آجفانُه وبَدَا رَجَفانُه * فَصاحَ اَللّٰهُ اَكبَرُ بانَت آمارةُ الاِستِجابَه * وانجابَت غِشاوَةُ الاِستِرابَه * فجُزِيتم يا اَهلَ البَصرَه * جَزاءَ مَن هَدى مِنَ الحَيرَه * فلم يَبقَ فِي القَومِ اِلَّا مَن سُرَّ لِسُرُورِه * ورَضَخَ له بِمَيسُورِه * فقَبِلَ عَفوَ بِرِّهم * واَقبَلَ يَهرِفُ فِي شُكرِهم * ثُمَّ انحَدَرَ مِنَ الصَّخرَه * يَؤُمُّ شاطِيَ البَصرَه * وَاَعقَبتُه اِلَى حيث تَحاَلَينا * واَمِنَّا التَجَسُّسَ

وتوبة نكثتها * لملعب ومرتع

وكم تجرأت على * رب السموات العلى

ولم تراقبه ولا * صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره * وكم أمنت مكره

وكم نبذت أمره * نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب * وفهت عمدا بالكذب

ولم تراع ما يجب * من عهده المتبع

فالبس شعار الندم * واسكب شآبيب الدم

قبل زوال القدم * وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف * ولذ ملاذ المقترف

واعص هواك وانحرف * عنه انحراف المقلع

إلام تسهو وتني * ومعظم العمر فني

فيما يضر المقتني * ولست بالمرتدع

أما ترى الشيب وخط * وخط في الرأس خطط

ومن يلح وخط الشمط * بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي * على ارتياد المخلص

من ولج على الاسود * والفتية ممن سيماهم فى وجوههم من اثر السجود *
ولما فرغ من سبحته * حيانى بمسبحته * من غير ان نغم بحديث * ولا استخبر
من قديم ولا حديث * ثم اقبل على اوراده * وتركنى اعجب من اجتهاده *
واغبط من يهدى الله من عباده * ولم يزل فى قنوت وخشوع * وسجود
وركوع * واخبات وخضوع * الى ان اكمل اقامة الخمس * وصار اليوم
امس * فحينئذ انكفأ بى الى بيته * واسهمنى فى قرصه وزيته * ثم نهض الى
مصلاه * وتخلى بمناجاة مولاه * حتى اذا التمع الفجر * وحق للمتهجد الاجر *
عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * وجعل يرجع بصوت فصيح

* نظم *

خل ادكار الاربع * والمعهد المرتبع
والظعن المودع * وعد عنه ودع
واندب زمانا سلفا * سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا * على القبيح الشنع
كم ليلة اودعتها * مآثما ابدعتها
لشهوة اطعتها * فى مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها * فى خزية احدثتها

وشَبَّ نِيرانَ الوَغى * لِمطعمٍ ومَطمعِ

يا مَن عليه المُتَّكل * قد زادَ ما بي مِن وَجل

لِما اجترحتُ مِن زَلَل * في عُمري المُضيَّعِ

فاغفِر لِعَبدٍ مُجتَرِمْ * وارحَم بُكاهُ المُنسَجِمْ

فأنتَ أولى مَن رَحِمْ * وخيرُ مَدعوٍّ دُعي

قال فلم يَزَل يُرَدِّدُها بِصوتٍ رَقيقٍ * ويَصِلُها بِزَفيرٍ وشَهيقٍ حَتّى بَكَيتُ لِبُكاءِ عَينَيهِ * كما كُنتُ مِن قَبلُ أبكي عليه * ثمَّ بَرَزَ إلى مَسجِدِهِ * بِوُضوءِ تَهجُّدِهِ * فانطلقتُ رِدفَهُ * وصَلَّيتُ مَعَ مَن صَلّى خَلفَهُ * ولمّا انفَضَّ مَن حَضَرَ وتَفَرَّقوا شَغَرَ بَغَرَ * أخَذَ يُهَينِمُ بِدَرسِهِ * ويَسبُكُ يَومَهُ في قالَبِ أمسِهِ * وفي ضِمنِ ذلكَ يُرِنُّ إرنانَ الرَّقوبِ * ويَبكي ولا بُكاءَ يَعقوبَ * حَتّى استَبَنتُ أنَّهُ قد لَحِقَ بالأفرادِ * وأُشرِبَ قَلبُهُ هَوى الانفرادِ * فأخطَرتُ بِقَلبي عَزمَةَ الارتِحالِ * وتَخلِيَتَهُ والتَّخَلّي بِذلكَ الحالِ * فكأنَّهُ تَفَرَّسَ ما نَوَيتُ * أو كُوشِفَ بِما أخفَيتُ * فَزَفَرَ زَفرَةَ الأَوّاهِ * ثمَّ قرأ فإذا عَزَمتَ فتَوَكَّل على اللهِ * فاستَجلَيتُ عند ذلكَ بِصِدقِ المُحَدِّثينَ * وأيقَنتُ أنَّ في الأُمَّةِ مُحَدَّثينَ * ثمَّ دَنَوتُ إليه كما يَدنو المُصافِحُ * قلتُ أوصِني أيُّها العَبدُ الصّالِحُ * فقال اجعَلِ المَوتَ نَصبَ عَينِكَ * وهذا فِراقُ بَيني وبَينِكَ * فوَدَّعتُهُ وعَبَراتي

وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي * وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي

وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى * مِنَ الْقُرُونِ وَانْقَضَى

وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ الْقَضَا * وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي

وَانْتَهِجِي سُبْلَ الْهُدَى * وَادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى

وَأَنَّ مَثْوَاكَ غَدَا * فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ

آهًا لَهُ بَيْتِ الْبِلَى * وَالْمَنْزِلِ الْقَفْرِ الْخَلَا

وَمَوْرِدِ السَّفْرِ الْأُلَى * وَاللَّاحِقِ الْمُتَّبِعِ

بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهْ * قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتَوْدَعَهْ

بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَةْ * قِيدُ ثَلَاثِ أَذْرُعِ

لَا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ * دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ

أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ * مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ

وَبَعْدَهُ الْعَرْضُ الَّذِي * يَحْوِي الْحَيِيَّ وَالْبَذِي

وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي * وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِي

فَيَا مَفَازَ الْمُتَّقِي * وَرِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِي

سُوءَ الْحِسَابِ الْمُوبِقِ * وَهَوْلَ يَوْمِ الْفَزَعِ

وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى * وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى

يتحدّرن من المآقي * وزفراتي يتصعّدن من التراقي * وكانت هذه خاتمة التلافي * قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار * واَمليتها بلسان الاضطرار * وقد الجئت الى ان ارصدتها للاستغراض * وناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع * ولو غشيني نور التوفيق * ونظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عواري الذي لم يزل مستورا * ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا *

وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو * واضاليل اللهو *

واسترشده الى ما يعصم من السهو * ويحظي بالعفو * انه هو

اهل التقوى واهل المغفرة * وولي الخيرات في الدنيا

والآخرة * قد تمت مقامات الحريري *

بعون الله الغني * ويتلوها

حل لغاتها * وكشف

معضلاتها

* *
*